جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا التاريخية والحضارية



الخليفة الأموى
الحكم المستنصر
٣٥٠ - ٣٦٦هـ

بحث مقدم

لنيل درجة الماجستير فى التاريخ الإسلامى

بإشراف

الأستاذ الدكتور أحمد السيد دراج

بحث الطالبة

وفاء عبد الله بن سليمان المزروع

١٤٠٢ / ١٤٠٣هـ
١٩٨٢ / ١٩٨٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

﴿ شكر وتقدير ﴾

فمن الشكر الواجب أن أسجل اعترافي بالجهد الصادق الذي بذله استاذي الفاضل الدكتور/ احمد السيد دراج في الاشراف على هذه الرسالة ، والتوجيه الدقيق المفيد لي في فصولها ، وما عدل من ميلها حتى استوت على سوقها .

ولن أستطيع في هذه الكلمات القليلة ان أوفيه حقه ولكن ابتهل الى الله أن يجزيه أكرم الجزاء ، وأن يوفقني بتأييده وأن يشملني برعايته وأن يلهمني الصواب في طريق البحث والمعرفة حتى أكون قد وفيت بواجب العلم .

المقدمة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

الحمد لله حمدا كثيرا يوافي نعمه علينا ويستوجب شكرنا له والصلاة والسلام على معلم البشرية محمد .

أما بعد ..

ان الدارسين للتاريخ الأندلسي يجدونه حافلا بالجوانب المضيئة والخصائص الفريده والمزايا العديده . ومن بين تلك الجوانب والخصائص والمزايا توفيق الاندلسيين بين المحافظة على كل ما هو أصيل والنزوع الى التجديد والاجتهاد والسعي الحثيث الى الابتكار والاختراع في كل شأن من شئون الحياه . يتجلى ذلك في تراثهم الفكرى الذى خلفوه وحضارتهم التى لا تزال تتألق بريقا ولمعانا على تطاول الأعصر وتراسي الأعوام .

واذا كان هناك عصر في التاريخ الاندلسي يستلزم ان يدرس ويكتب عنه أكثر من غيره فهو عصر الدوله الأمويه في الاندلس لأن هذه الدولة كثيرا ما صورت على غير حقيقتها أو كتب تاريخها على غير ما يرضى الحقيقه والعدل . فطالما حمل عليها وأسيء تقدير رجالها وذلك لأنها قامت نتيجة صراع مع عناصر متعددة متباينه ، ومن ثم كان لها منذ نشأتها أعداء كثيرون ، ومازاد الطين بله أن بعض الدارسين لتاريخ هذه الدولة بنوا أحكامهم على معلومات سطحية أو خاطئه وهذا لا يعني انعدام وجود الدراسات المنهجية الدقيقة عن تاريخ الأندلس ، فقد كتب عن الأندلس ورجالها الكثير .

غير أن جهود الباحثين فى التاريخ الأندلسى قد تركزت على دراسة فترات معينه دون غيرها ربما لتوفر المصادر والمراجع لتلك الحقبه من الزمن أو لأسباب موضوعيه أخرى يطول شرحها .

ولقد بلغت الأندلس فى عهد عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر قمة القوة السياسيه فى العالم المعروف يومها ، وتقرب الى الخلافه أقوى الحكام الاوروبيين المعاصرين كالامبراطور أوتو الاول امبراطور المانيا ، والامبراطور البيزنطى قسطنطين السابع ، فقد أرسلوا السفارات الى قرطبه تخطب ود الخلافه وتسعى الى صداقتها . وفضلا عن هذه العظمة السياسية التى شهدتها الاندلس فى عهد هذين العاهلين ، فقد واكب ذلك ازدهارا حضاريا فى مختلف جوانب الحضاره .

ويعد عصر الحكم المستنصر بالذات فى طليعة عصور الخصب والنماء فى تاريخ الاندلس فى ميادين العلم ومجالات التفكير ، وفى دنيا الآداب والعلوم المختلفة . فقد نبغ فيه العلماء الاعلام فى مختلف مجالات النشاط الفكرى والفنى من لا يحصون كثرة ولا يدركون عمقا حتى كان للفكر الاسلامى فى الأندلس صرح ثابت الدعائم قوى الاركان ينشر نوره شرقا وغربا . كما أن الحكم المستنصر نفسه كان عالما شارك بمواهبه وبجهوده العلمية فيما تحقق فى الاندلس فى عهده من نهضه علمية كبرى . ومن ثم كانت حياة الحكم المستنصر وكذلك تاريخ الأندلس فى عهده فى حاجة الى دراسة علمية جاده

تتسم بالشمول والعمق وتوضح جوانب شخصيته وجهوده فيما تحقق للاندلس فى عهده من عظمة وسياسة ونهضة علمية .

فالحكم المستنصر الذى ندرسه فى هذه الرسالة يمثل أحد خلفاء " الاسلام العظماء " الذى يرقى الى الصف الأول من بناة المجد بفضل الله عز وجل ثم بفضل الخدمات الجليله التى قدمها لأمته بما وهبه الله من علم وحرية وفكر واتساع افق .

ولقد وقع اختيارى على دراسة عهد الحكم المستنصر لما لهذه الفترة من أهمية بالغة فى أحداث الأندلس الداخلية والخارجية ، وأيضا لارتباطى وحبى العميق لفردوسنا المفقود ، فكل مسلم يشعر بهذه العاطفة الجياشه لهذا الصقع النائى اعاده الله للاسلام والمسلمين .

هذا وتضم الرسالة أربعة فصول يحتوى كل فصل على عدة مباحث رئيسيه ولو رفعت عناوين الفصول والمباحث لاتصل البحث من أوله الى آخره بشكل مترابط ووثيق . كما قدمت لهذه الفصول الأربعة بمقدمة أوضحت فيها أهمية عهد الحكم المستنصر فى تاريخ الأندلس والدوافع التى دفعتنى الى دراسته ثم تلا ذلك عرض موجز لما تضمنه كل فصل من الفصول من مباحث .

فأما الفصل الأول فقد كان عنوانه : " الخليفة عبد الرحمن الناصر يهئ " ابنه الحكم للخلافة " ، وفيه تناولت بالبحث نقطتين رئيسيتين :

الأولى : اعداد عبدالرحمن الناصر ابنه الحكم لتولى الخلافة من بعده ، والثانية : تولية الحكم المستنصر الخلافة .

وقد ركزت فى النقطة الأولى على حياة الحكم منذ ان كان وليا للعهد وعلى حرص ابيه الناصر على تنشئته نشأة صالحة واعداده ليكون خلفا له ، وعلى أن يذلل له كل العقبات التى اعترضت طريقه فى الوصول الى مقام الخلافة ، والقيام بمهامها المختلفة .

أما النقطة الثانية : فكانت عن توليته الخلافة بعد وفاة ابيه فى شهر رمضان سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م . فبعد ان تربى الحكم فى هذه المدرسة العالية وتدرب على تسيير شئون الخلافة وتنظيم مصالح الشعب والبلاد وتولى الخلافة وهو فى الاربعينات من عمره أى فى الثامنة والاربعين من عمره تقريبا بعد ان بويع بها البيعة الخاصة ثم البيعه العامة ، وانصرف بعدها الى ادارة دفة البلاد وادارة شئون الخلافة بكل قوة ونشاط وحكمة واقتدار .

ثم انتقلت الى الفصل الثانى وقد أفردته عن جهاد الحكم المستنصر ضد الممالك والامارات الاسبانية النصرانية وضد النورمان ، وقد قسمته الى أربعة أجزاء .

الجزء الأول كان بعنوان " نظرة عامة عن أحوال الممالك الاسبانية النصرانية وعلاقاتها بالاندلس حتى نهاية عهد عبدالرحمن الناصر " ، وتحدثت فيه عن كل مملكة وامارة اسبانية ، وعن موقعها وعلاقتها

بدولة الخلافة فى الاندلس فى عهد عبدالرحمن الناصر ، وعن خضوع قوادها له واستنجادهم به واحدا ضد الآخر .

أما الجزء الثانى فكان عن علاقات الحكم المستنصر بالممالك الاسبانية النصرانية ، وتناولت فيه الحديث عن هؤلاء الامراء وعلاقاتهم المتفككة ببعضهم البعض ثم عن حربهم سويا للخلافة الاسلامية ، وما تلا ذلك من عودتهم الى التفكك والتناحر والانقسام واستنجاد بعضهم بالحكم المستنصر ضد البعض . وقد ركزت فى هذا الجزء على جهاد الحكم المستنصر لمملكة نبره ولامارة قشتاله واخضاعه كل منهما تارة بالحرب ، وتارة أخرى بالمعاهدات السلمية .

وأما الجزء الثالث فكان عن نقض ملوك وأمراء النصارى العهود والمواثيق وعودتهم الى شن الغارات على الدولة الاسلامية بعد أن أخذت وفودهم لا تنقطع عن بلاط الحكم المستنصر حاملين له الهدايا والتحف من رؤسائهم .

وفى الجزء الرابع كان الحديث عن جهاد الحكم المستنصر ضد النورمان ، وفيه تحدثت عن هؤلاء الأقوام واستعرضت تاريخ حياتهم وأصلهم ، والدوافع التى أدت بهم الى الخروج من موطنهم وغاراتهم على بلاد الاندلس قبيل عهد الحكم المستنصر وبالتحديد منذ عصر الامارة فى عهد الامير عبدالرحمن الاوسط وابنه الامير محمد ، فعهد الخليفة عبدالرحمن الناصر ثم عهد ابنه الحكم المستنصر .

وأما الفصل الثالث فقد خصصته للنزاع بين الحكم المستنصر وبين الفاطميين على المغرب الأقصى ، وقد قسمته الى عدة نقاط رئيسية :

الاولى عن النزاع بين عبدالرحمن الناصر وخلفاء الفاطميين على المغرب الاقصى ، وفيها تحدثت عن مزاحمة الفاطميين للأمويين في المغرب الأقصى ومحاولة نشرهم للمذهب الشيعي هناك ، ووقوف عبدالرحمن الناصر في وجههم عن طريق تقوية اسطول الاندلس واعداد العدد لحربهم ، وجذب كبار رؤساء البربر للوقوف معه ضدهم ، واستيلائه على معابر الاندلس المهمة مثل سبتة وطنجة ومليلة ، وتوطيد علاقاته باعداء الفاطميين ، فضلا عن اهتمامه بموانئ الاندلس والعناية بها وبتطويرها .

ثم انتقلت الى النقطة الثانية وهي النزاع على المغرب الاقصى بين الحكم المستنصر والمعز لدين الله الفاطمي . فالمعز لدين الله الفاطمي بمجرد ولايته بادر بتدعيم نفوذ الفاطميين على المغربين الأوسط والأقصى ، وجرد الحملات لتحقيق هذا الهدف والوقوف في وجه الأمويين ، وبالتالي وجدنا ان الخليفة الحكم المستنصر يعد للأمر عدته باهتمامه بالاسطول وتجريد الحملات الى بلاد المغرب الاوسط والاقصى للقضاء على دعوة الفاطميين وتمكنت هذه الحملات من تحقيق انتصارات عظيمة أدت الى تراجع الفاطميين ثم خروجهم مرة أخرى للأخذ بالثأر واسترداد ماخرج من نفوذهم ، وأخيرا ما كان من خروج المعز لدين الله الفاطمي الى مصر تاركا بنو زيري

نوابا عنه فى بلاد المغرب يحاربون نيابة عن الفاطميين النفوذ الأموى هناك .

وأما النقطة الأخيرة فى هذا الفصل فهى عن محاولة آخر أمراء الادارسة الحسن بن قنون فى استعادة نفوذهم على المغرب الأقصى . فبعد أن نجح الحكم المستنصر فى توطيد نفوذ الأمويين فى المغرب الاقصى اصطدم ذلك بمصالح امراء الادارسه من بنى محمد الذين طمعوا فى الاستقلال والسيطرة على الجهة الشمالية من المغرب الاقصى فقرروا القيام بثورة وقطع دعوة الأمويين ، ولكن الحكم المستنصر كان لهم بالمرصاد فحشد الجيوش الجرارة ، وارسل القواد المهرة وأكثر لهم الأموال وأعد لهم العدة لمسيرة الجيوش فسارت لحربهم واستئصال شأفتهم ونجحت خطته فى القضاء عليهم ، فعاد قواده منتصرين ومصطحبين زعيم الادارسه الحسن بن قنون الذى سمح له الحكم المستنصر بالاقامة فى قرطبه .

وبعد تلك الاحداث وقعت بين الحكم المستنصر والحسن بن قنون جفوة أمر الخليفة على أثرها ابعاد الحسن فتوجه الى تونس ومنها اتجه الى مصر مستعينا بالفاطميين .

ثم انتقلت الى الفصل الرابع والأخير وكان عن الحياة العلمية فى الاندلس فى عهد الحكم المستنصر ، وقد قسمته الى ثلاثة أجزاء :

الجزء الاول وهو صورة موجزة عن تطور الحياة العلمية فى الاندلس

فى عهد عبد الرحمن الناصر . ثم انتقلت الى الجزء الثانى عن الحكم المستنصر الخليفة العالم وجهود ه العلمية والتعليمية وقد قسمته الى عدة اقسام تناولت فيها بالحديث عن تنشئته العلمية وهو ولى العهد ، وشخصيته العلمية ، وجهوده العلمية والتعليمية بعد ان تولى الخلافة ثم انشائه لمكتبة القصر والمكتبات الفرعية بمختلف أقاليم الاندلس ، وماقام به رجال الاندلس من انشاء المكتبات الخاصة ، وأخيرا توسعته للمسجد الجامع فى قرطبه وتحويله الى جامعة علمية ثم أفردت القسم الأخير من هذا الفصل عن الحياة العلمية فى الأندلس فى عهد الحكم المستنصر وبخاصة فى مجالات الدراسات الشرعيه واللغوية والأدبية والعلوم التجريبية .

التعريف بأهم المصادر والمراجع

لقد اعتمدت فى كتابة هذه الرسالة على عدد كبير من المصادر القديمة والمراجع الحديثة يجد القارئ الكريم ثبتا بها فى آخر الرسالة ، غير أننى فى هذه المقدمة اقتصر على ابراز أهم هذه المصادر والمراجع التى اعتمدت عليها بصفة رئيسية ، وفيما يختص بالمصادر يأتى فى مقدمتها :

١ - المقتبس لابن حيان (٣٣٧ - ٤٦٩ هـ / ٩٨٧ - ١٠٧٦م) وقد كان اعتمادى فيه على الجزء الذى حققه عبد الرحمن الحجى ، وتناول فيه تاريخ خمس سنوات من عصر الخليفة الحكم المستنصر .

وهذا الكتاب بالنسبة لتاريخ الاندلس بصفة عامة له أهمية كبيرة ، فهو يعتمد على المؤرخين الذين سبقوه فيستفيد من أخبارهم وينقله لنا بالاضافة الى ماعنده ، فهو يكتب من الرازى ، ومن محمد بن يوسف الوراق . وبهذه الطريقة يكون قد حفظ لنا نصوصا غاية فى الأهمية كان يمكن ان تضيع وتفقد لولا أن حفظها لنا هذا الكتاب . وأما عن الكتاب بالنسبة لموضوع البحث بصفة خاصة فله أهمية كبيرة اذ اعتمدت عليه فى تغطية جوانب عدة من البحث سواء عن جهاد الحكم المستنصر ضد النورمان ، وحربه مع الادارسة ومع زعيمهم الحسن بن قنون وانتصاره عليه ، كما تحدث لنا ابن حيّان عن مجالس الحكم

واجتماعاته وتصريفه الأمور وكيفية توزيعه لقادته اثناء المعارك .

٢ ـ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، للمقرى (ت ١٠٤١ هـ) .
ولكتاب المقرى بالنسبة لتاريخ الاندلس بصفة خاصة أهمية كبيرة ،
فلقد حفظ لنا اخبار الأندلس وخلاصة تجاربه وارتحاله الى
البلاد التى زارها وأمضى فيها وقتا للبحث والعلم ، وهذه
سنه جميده مضى عليها معظم المؤرخين والعلماء فى تلك الفترة ،
فدون لنا خلال رحلاته المتكررة معظم مايخصنا من تلك الفترة
من حكم دولة الاسلام فى الاندلس . وبالنسبة لتاريخ الحكم
المستنصر بصفة خاصة تبدو أهمية هذا الكتاب عظيمة جدا فى
تغطية جوانب كثيرة من البحث فهو يحدثنا عن كل ما له علاقة
بالحكم منذ ان كان وليا للعهد حتى تسلم منصب الخلافة ،
ويستعرض لنا اثر توجيه الأب لابنه فى فترة ولايته للعهد ، ومدى
اهتمام الحكم بالعلم وأهله ، ويروى لنا عن حروبه وجهاده مع
الممالك النصرانية ، ويحدثنا عن أهم رجال الدولة فى تلك
الفترة ، بالاضافة الى أبرز العلماء الذين قدموا الى الاندلس .
بأسلوب مبسط سهل جدا ولكن لا يخلو من التكرار .

٣ ـ البيان المغرب لابن عذارى (ت ٦٩٥ هـ) . ويعد هذا الكتاب
من أهم الكتب فى تاريخ الاندلس بصفة خاصة فهو بما يحوى
من معلومات قيمة عن تلك الفترة من حكم الاسلام فى الاندلس
يعد من أوائل الكتب المعتمده ، فلقد حفظ لنا الشىء الكثير

عن حكم الامراء والخلفاء في الاندلس وكل مايخصهم من جهاد وحروب وتطور ونهضة . أما بالنسبة لموضوع البحث بصفة خاصة فلقد حفظ لنا الشيء الكثير عن حياة الحكم المستنصر ، فهو يذكر لنا أهم أعماله وجهاده وحروبه ، وبعض رجال دولته البارزين ،وأهم أعماله الانشائيه ، ودوره في تشجيع العلماء ، وتطوير قرطبه وتزيدها بكل وسائل التطور والنهضة . ولقد اتبع ابن عذارى في كتابه اسلوبا غاية في الوضوح مع التركيز على أهم الاحداث وتتبع الامور بطريقة متسلسلة بعيدة عن الاستطرادات .

٤ - تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ) . وهذا الكتاب بما حوى بين دفتيه من تراجم لعلماء الاندلس يعد من أهم الكتب في تاريخ رجال العلم في الاندلس بصفة عامة ، فلقد حفظ لنا اخبار هولاء العلماء ورحلاتهم ودراستهم ومؤلفاتهم وعلاقاتهم بالدولة والحكم .

وتبدو أهميته الكبيرة بالنسبة لموضوع البحث بصفة خاصة فيما حواه من اخبار ومعلومات غاية في الأهمية من الكتب القديمة التي سبقته والتي لولا حفظه لها لضاعت اكثر تلك المعلومات القيمة بضياع تلك الكتب التي فقدت ، بالاضافة الى انه أمدنا بأشهر وأهم العلماء ورجال الفكر المعاصرين لفترة حكم الحكم المستنصر ،فغطى بذلك كثيرا من الجوانب المهمة والمضيئة في حياة أولئك الرجال الافذاذ .

٥ - جذوة المقتبس - للحميدى (ت ٤٨٨ هـ) . وهذا الكتاب بالنسبة لتاريخ الاندلس يعد من الكتب المهمة التى حفظت لنا تراجم العلماء الذين برزوا فى العلوم الشرعية والأدبية بصفة خاصة . أما بالنسبة لموضوع البحث فالكتاب يعد من المصادر القيمة التى اعتمد عليها فى الكتابة عن أشهر رجال وعلماء الأدب بفروعه المتعددة من نحو وشعر ونثر وغيرها .

ويعد الحميدى من المؤرخين القلائل الذين جمعوا فى كتابتهم بين الجانب العلمى والأدبى معا . ويتمثل الجانب الأدبى فى اختياره للقطع الادبية الشعريه التى تشع وتظهر بوضوح فى هذا الكتاب . ولقد امتاز الحميدى فى كتابته بالوضوح والتركيز بصورة صادقة .

٦ - بغيه الملتمس للضبى (ت ٥٩٩ هـ) . وفى هذا الكتاب تحدث الضبى عن الأندلس منذ فترة الفتح حتى عصره أى القرن السادس الهجرى . ولقد اعتمد الضبى فى كتابه على أكثر ما ذكره من كتاب الجذوه للحميدى ولكنه لم يكتف بذلك بل أضاف عليه الكثير من التراجم . فلقد كتب عن جميع العلماء البارزين فى العلوم الشرعيه من رواة الاحاديث وأهل الفقه . بالاضافة الى أهل الأدب والشعر . وتبدو أهمية هذا الكتاب بالنسبة لتاريخ الاندلس بصفة عامة فى الترجمه لأبرز العلماء الذين كانوا فى تلك الفترة سواء من رجال الدين أو الادب أو للزعماء الذين اشتهروا بالرئاسة

والحروب ، بالاضافة الى ذكر المشهورين بالعلم سواء داخل الاندلس أو خارجها . وتبدو أهميته بالنسبة للبحث بصفة خاصة فى ابراز تراجم أهل الادب والشعر والعلم فى تلك الفترة من حكم المستنصر .

٧ ـ الحلة السيراء ـ لابن الابار (ت ٦٥٨ هـ) . ويعد كتاب ابن الابار من الكتب المهمة فى تاريخ الاندلس ، فلقد حفل كتابه بأهل العلم فى المغرب والاندلس وبتاريخ الاسلام عامة ، ويعد بالنسبة لموضوع البحث من المصادر النادرة التى حفظت لنا نصوصا غاية فى الأهمية عن اهتمام الحكم المستنصر بالعلم ومنافسة أخيه عبد الله له ، وعن طريقة الحكم العلمية ، ودراسته لكتبه ، وما حوته مكتبته من ذخائر ونفائس كان لها أثر كبير فى تشجيع العلماء والدارسين على الاستزادة . كل ذلك تم بأسلوب ادبى قوى جميل ، ويعد ابن لابار من المؤرخين الثقات الحفاظ بتناوله للمعلومات بصورة صادقة .

٨ ـ طبقات الامم لصاعد الاندلسى (ت ٤٦٣ هـ) . وهذا الكتاب أيضا من الكتب المهمة فى تاريخ علماء أهل الاندلس بصفة عامة ، وتاريخ الحكم المستنصر بصفة خاصة ، فهو من الكتب الهامة التى اعتمدت عليها فى دراسة نهضة وتطور العلوم فى عصر الحكم المستنصر وأبرز العلماء الذين ظهروا فى تلك الفترة . فلقد دون لنا أبرز العلماء فى كل من العلوم الرياضية

والتجريبيه والانسانية بصورة واضحة ألقت الضوء على جميع العلماء في دولة الاسلام بالاندلس بصفة خاصة ، بالاضافة الى علماء آخرين في عدد كبير من الاصقاع . ويعتبر كتاب صاعد من أهم الكتب لأنه كان معاصرا لفترة الخلافة في الاندلس ، فهو ينقل لنا سيرة هؤلاء العلماء ومؤلفاتهم وكأنه واحد منهم .

٩ ـ العبر لابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) . وابن خلدون غني عن التعريف وقد افادني كتابه هذا في تغطية جوانب كبيرة في دولة الاسلام في الاندلس بصفة عامة ، وعن حكم الخلافه بصفة خاصة بأسلوب غاية في الاختصار والتوضيح والتركيز . فلقد حدثنا عن جهاد الحكم المستنصر مع النصارى ، وعن حربه مع الادارسه وعن كثير من مجهوداته ومحاولاته في تطوير ونضهة بلاده في جميع المجالات .

وبالاضافة الى هذه المصادر الرئيسية ، فهناك عدد آخر من المراجع التي تتصل بموضوع البحث اتصالا كبيرا ويأتي على رأس هذه المراجع الكتب الآتيه :-

١ ـ كتاب دولة الاسلام في الاندلس لمحمد عبد الله عنان ، ويعد هذا الكتاب موسوعة علمية قيمة عن تاريخ دولة الاسلام في الاندلس بصفة عامة . ولقد اعتمدت عليه بالنسبة لموضوع بحثي في تغطية الكثير من الجوانب المهمة . فلقد كتبت منه عن فترة ازدهار عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر تمهيدا للدخول في عهد ابنه

الحكم المستنصر ، ثم غطيت منه جوانب كبيرة عن حياة الحكم المستنصر الخاصة والعامة ، وجهاده مع الممالك الاسبانية النصرانية ، والمجوس ، والفاطميين ، ثم عن اهتمامه بالعلم والعلماء ، وعن أبرز رجال عصره ، وأقوال المؤرخين والمستشرقين فى تقييم أعمال الحكم المستنصر ، فكان بذلك كتابا حافلا استوفى جميع النقاط الهامة عن فترة عهد الحكم المستنصر الزاهر .

٢ ـ المغرب الكبير للسيد عبد العزيز سالم ، ويعتبر من أهم الكتب التى اعتمدت عليها فى الحديث عن جهود عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر فى صد أطماع وتوسعات الفاطميين فى المغرب ، وفى جهاد الحكم بصفة خاصة معهم ووقوفه فى وجههم زمنا طويلا ، وعن أبرز المعارك التى دار رحاها بين الطرفين وعن عمق الخلاف بينهما . وهذا الكتاب بحق يعد من الكتب القيمة بما حوى من معلومات هامة تعتبر مرجعا أساسيا لكل من طرق موضوع تصدى الخلافة الاسلامية فى الاندلس لاطماع الفاطميين .

٣ ـ تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والاندلس للسيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى ، وهو من الكتب التى غطت جوانب كبيرة من البحث من ناحية تطور البحرية فى الاندلس منذ عهد الاماره حتى عهد الخلافة . فقد تعرض لنشأة البحرية فى

بلاد الاندلس وتطورها وأثر تطور البحرية وتفوقها فى صد أطماع النورمان والفاطميين على الاندلس فترة طويلة . فهو بما يحوى من معلومات غزيرة استقيت من بعض المراجع الاوربية والعربية كان كافية لتغطية هذه الجوانب المتعددة التى أشرت اليها آنفا .

٤ - فى تاريخ المغرب والاندلس لاحمد مختار العبادى ، ويعد هذا الكتاب من الكتب التى حوت تاريخ دولة الاسلام فى الاندلس سواء فى فترة الامارة أو فى فترة الخلافة بصورة شاملة . ولقد ركز فيه على بعض المظاهر الحضارية والتطورات التى شهدتها فترة حكم الخلافة فى الاندلس بصفة عامة . وأفادنى هذا الكتاب بصفة خاصة بما حوى من معلومات قيمة وواسعة عن فترة جهاد الحكم المستنصر ضد الممالك الاسبانية النصرانية وعن علاقتها بدولة الخلافة ولجوئها اليها وغدرها بها واعلان الحرب عليها مرات تلو مرات .

٥ - سياسة الفاطميين الخارجية لمحمد جمال الدين سرور . لاغنى للباحث فى تاريخ الدولة الفاطمية وعلاقتها بدولة الخلافة فى الاندلس عن هذا الكتاب القيم الذى ركز فيه الموقف على عمق الصراع والحرب والاطماع بين الفاطميين والأمويين ومحاولة كل منهما الاطاحة بأطماع الاخر . ولقد أفادنى هذا الكتاب بصفة خاصة فى تغطية جوانب الصراع بين الطرفين ، وعلاقة خلفا*

الاندلس بخلفاء الدولة الفاطمية وأطماع كل منهما فى ممالك الآخر ، والحروب المتكرره التى لم تتوقف أبدا حتى بعد انتقال الخلافة الفاطميه الى القاهرة ، فكان كتابا غزيرا بالمعلومات القيمة وذو فائدة عظيمة .

٦ - تاريخ التعليم فى اسبانيا الاسلامية لمحمد عيسى . وهو رسالة دكتوراه لم تطبع بعد . ولقد عظمت استفادتى من هذه الرسالة بصفة خاصة فى الباب الرابع من الرسالة الذى خصصته للحديث عن اهتمامات الحكم المستنصر العلمية ، وتشجيعه لطلاب العلم للبحث والدراسة وتوفيره المناخ العلمى المناسب لمتابعة الدراسة والبحث واستقطاب العلماء من كل مكان للاندلس ، وتوسيعه لجامع لقرطبه وتحويله الى جامعة علمية هامه .

٧ - الاسلام بين العلماء والحكماء لعبد العزيز البدرى ، ويعد هذا الكتاب من الكتب النادرة التى تناولت مواقف الحكام مع العلماء فى توجيههم الوجهه الاسلامية الصحيحة التى يرتضيها الله ورسوله استنادا على كتاب الله وسنة رسوله . ولقد كان اعتمادى عليه فى تغطية الجانب الاول من البحث وهو مدى استفادة الحكم المستنصر فى حياة ابيه من حيث توجيهه الوجهه السليمه فى تلقى العبء من بعده . فكان لتوجيه العلماء الصالحين امثال المنذر بن سعيد وغيرهم أثر كبير فى حياة عبد الرحمن الناصر وأثر كبير أيضا فى استفادة ابنه الحكم المستنصر من تلك المواقف

التي يبدو فيها أثر الحياة العامرة بالايمان في توجيه هؤلاء العلماء للحكام الى مافيه من رفعة وتقدم للدولة .

٨ ـ الاسلام في اسبانيا للطفي عبد البديع . وهذا الكتاب رغم صغر حجمه ذو فائدة علمية كبيرة من حيث تناوله كل العلوم التي عنيت بها وبتطويرها دولة الاسلام في الاندلس ، بالاضافة الى التركيز على أبرز العلماء الذين ظهروا وتفوقوا في كل علم من العلوم . ولقد استفدت من هذا الكتاب القيم في تغطية جزء ليس بالقليل في الحديث عن الحياة العلمية في عهد الحكم المستنصر وعن أبرز العلماء الذين برزوا في تلك الفترة سواء من برز منهم في العلوم الشرعيه أو الانسانيه أو التجريبية .

والله الموفق ..

وفاء المزروع

الفصل الأول

الخليفة عبد الرحمن الناصر يهيئ ابنه الحكم للخلافة

١) اعداد عبد الرحمن الناصر ابنه الحكم لتولي الخلافة .

٢) تولية الحكم المستنصر الخلافة .

(١) اعداد عبد الرحمن الناصر ابنه الحكم لتولى الخلافة

حرص الخليفة عبد الرحمن الناصر على تنشئة ابنه الحكم تنشئة ممتازة تؤهله ليكون قائداً عظيماً وخلفاً أميناً للاضطلاع بأعباء الخلافة من بعده ، فعنى بتربيته تربية خاصة منذ حداثته دون بقية أبنائه وخصه بأن يكون خلفاً له وهو لم يتجاوز الثامنة من العمر (١) .

كما كان شديد الحرص على استقرار أمور دولته ودولة ابنه من بعده ، فمهد له كل أمور ملكه ليتولى زمام الحكم والبلاد تنعم فى بحبوحة من الأمن والاستقرار ، وقد بلغ من حرصه على تفضيل الحكم انه لم يتورع عن قتل ابنه الثانى عبد الله عندما علم بتدبيره لمعارضته ، وفى ذلك يقول ابن خلدون : [كان الناصر قد رشح ابنه الحكم وجعله ولى عهده وآثره على جميع ولده ودفع اليه كثيراً من التصرف فى دولته ، وكان اخوه عبد الله يساميه فى الرتبه فغص لذلك وأغراه الحسد بالتنكث فنكث ، ودخل فى قلبه مرض من أهل دولته فأجابوه وكان منهم ياسر الفتى ونمى الخبر بذلك الى الناصر فاستكشف أمرهم حتى وقف على الجلى فيه فقبض على ابنه عبد الله وعلى ياسر الفتى

---

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الاندلس ، عصر الخلافة والدولة العامرية ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م ، الطبعة الرابعة ، العصر الأول القسم الثانى ، ص ٤٨٣ .

سيمون حايك : صبح البشكنسيه أو الاندلس على عهد الحكم المستنصر والدولة العامرية ، ١٩٧٦م ، ص ٢٣ .

وعلى جميع من داخلهم وقتلهم أجمعين] [1] .

ولقد حرص عبد الرحمن الناصر منذ البداية على تدريب ابنه الحكم على ادارة أمور الدولة وخوض الصعاب ، فقد كان يتركه أثناء غيابه في الحروب نائبا عنه في ادارة شئون الدولة ، وليرى كيف تسير الأمور والأحوال بدونه ، وكيف يتصرف بالحكم وحده . فعندما غزا عبد الرحمن الناصر كورة البيره [2] تركه في البداية في القصر ليخلفه فيه وليمده بكل ما يحتاجه أثناء غزوه ، وليطمئن على سير الاعمال وتصريف الأمور في الدولة في يد أمينة هي يد ابنه [3] ، كما اشركه كثيرا معه في خوض غمار الحروب ليصبح محاربا مقداما . فعندما خرج عبد الرحمن الناصر لغزو مدينة بطليوس [4] لمحاربة أهلها الخارجين عليه ، كان الحكم معه كمعين له ويده اليمنى في تلك المعركة [5] .

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ . بيروت - موسسة جمال للطباعة والنشر ، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م ، جـ ٤ ، ص ١٤٣ .

(٢) كوره من كور الاندلس ، جليلة القدر ، نزل بها جند دمشق من العرب وموالي الامير عبد الرحمن بن معاويه ، وهو الذى أسسها وأسكن بها مواليه ثم خالطهم العرب بعد ذلك .
(الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، منتخبه من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار ، نشر وتصحيح وتعليق حواشيه أ . ليفي بروفنسال ، القاهرة ، ١٩٣٧م ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ص ٢٩) .

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب . تحقيق ومراجعة ج . س . كولان وليفي بروفنسال - بيروت - دار الثقافة ، جـ ٢ ، ص ١٨٢ .

(٤) مدينة بالقرب من اقليم ماردة ، وهى حديثة الاتخاذ بناها عبد الرحمن الجليقي ، وهى مدينة جليلة في بسيط من الارض وتقع على ضفة نهر الغور (الحميرى : مصدر سابق ، ص ٤٦) .

(٥) ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ٢٠٢ .

ولم يكتف عبد الرحمن الناصر بتقديم ابنه معه في حروبه فقط ، بل قدمه أيضا في فترات السلم كان كثيرا مايعهد اليه بالاشراف على تنظيم الأمور وتنسيقها . فمثلا عندما قدم رسل امبراطور الروم[1] أحب ان يحتفل بهم احتفالا عظيما وان يقوم الخطباء والشعراء بين يديه في ذلك المجلس الحافل بالقاء كلماتهم وقصائدهم ، فطلب الناصر من ابنه الحكم ان يقوم بأعداد هذا المجلس الخطابي الشعري لأظهار عظمة الخليفة ومكانته الكبرى بين شعبه وامام هؤلاء الرسل[2] . ولقد كان باستطاعته ان يعهد بهذا الأمر الى أي ابن من أبنائه الكثيرين أو الى أي رجل من رجال الدولة ، ولكن اختياره للحكم لم يكن مصادفة أو لأنه أكبر أبنائه ، ولكن لاظهار تفوقه في هذا المجال ولتعويده من جهة أخرى على اختيار الرجل المناسب والكلمات المناسبة للمقام . فما كان من الحكم الا أن عهد الى الفقيه محمد بن عبد البر الكشكيناني[3] باعداد خطبة ليغة تناسب جلال المكان والمناسبة وذلك لتأكده من ان الفقيه محمد هو خير من يقوم بهذا العمل وبهذه المهمة الأدبية الكبيرة . ولم يكتف الحكم بتنظيم هذا الاحتفال بل دعا اليه كثيرا

---

(١) هو الامبراطور قسطنطين السابع .

(٢) المقري : نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، حققه وضبط غرائبه وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد - بيروت - لبنان - ١٣٦٩ هـ - دار الكتاب العربي ، جـ ١ ، القسم الاول ، ص ٣٤٠ .

(٣) هو فقيه من أهل قرطبة ، يعرف بابن الكشكيناني ، كان معروفا بفصاحته وبلاغته .
(المقري : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٣٤٥) .

من الخطباء والعلماء والشعراء وكان فى مقدمة الجميع أبو على القالى[1] ، والمنذر بن سعيد البلوطى [2] ، وهما من كبار رجالات العلم والدين . واستعد الجميع لاستقبال أولئك الوفود رسل ملوك الروم واجتمع الجميع فى ذلك المحفل البهيج وقام الفقيه المعهود اليه بالقاء كلمة الافتتاح (محمد ابن عبد البر) لاداء المهمة فارتج عليه لجلال الموقف ولم يستطع القيام بالمهمة الموكلة اليه ، فقد هاله ذلك المجلس ومافيه من أبهة الخلافة وبهره هول المقام . فلم يهتد الى أى لفظ بل سقط مغشيا عليه . عندها أشار الحكم الى ابو على القالى ليحل محله وليصلح ما أفسده الأول ، وكان ابو على القالى رجلا من رجال تلك المواقف فقد كان أمير الكلام وبحراً فى اللغة ، ولكن حدث له ما حدث للفقيه ابن عبد البر فوقف ساكتا متفكرا لا ناسيا ولا متذكرا . حينئذ قام المنذر بن سعيد وخطب خطبة رائعة أنست الحاضرين مواقف الخطباء

---

(١) هو اسماعيل بن القاسم ابو على اللغوى ، ولد بمنازجرد ، من ديار بكر . فنشأ بها ورحل الى العراق وطلب العلم ودخل بغداد سنة ثلاث وثلاثمائة وسمع من كبار علمائها وأدبائها فمال بطبعه الى اللغة وعلوم الأدب فبرع فيها واستكثر منها . واقام ببغداد خمسا وعشرين سنة ، ثم خرج قاصدا الى المغرب سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ، ووصل الى الاندلس سنة ثلاثين وثلاثمائة فى أيام عبد الرحمن الناصر وكان ابنه الامير الحكم من أحب ملوك الاندلس للعلم ، فتلقاه بالجميل وحظى عنده وقربه وبالغ فى اكرامه . وكان اماما فى اللغة فاستفاد الناس منه وله عدة مؤلفات تدل على غزارة علمه .
(الضبى : بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الاندلس ، القاهرة ، ١٩٦٧م - دار الكتاب العربى ، ص ٢٣١) .

(٢) قاضى الجماعة بقرطبه وخطيب بليغ وله كتب مؤلفه فى القرآن والسنة والرد على أهل الاهواء ، وهو شاعر بليغ . ولقد قربه الخليفة عبد الرحمن الناصر الى ان مات ثم ولى ابنه الحكم فأقره على ماهو عليه .
(المقرى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٣٤٨) .

السابقين ، فأبدع فى خطبته ايما ابداع حتى اندهش الجميع ببلاغته وفصاحته (١) .

ولو تأملنا هذا الموقف لوجدناه كأنه أمر مرتب ومعد له ، وكأن الحكم يعلم ماسوف يحدث فى ذلك الحفل ، فاحتاط لذلك وأعد للأمر عدته ، وجمع كل هؤلاء العلماء الأفذاذ دفعة واحدة ، فاذا قصر أحدهم أكمل الآخر . ان هذا الامر وهذا التنظيم ان دل على شئ فانما يدل على فطنة الحكم وذكائه . ولم يكتف عبد الرحمن الناصر بأن يعهد الى ابنه الحكم بمثل هذه المهمات فحسب ، بل حرص على اقحامه فى كل مجال ، فنراه يعهد اليه بالاشراف على بناء مدينة الزهراء ، وكانت من المدن العظيمة الجليلة ذات الشأن الكبير بين المدن الاسلامية ولقد استغرق بناؤها بقية عهد عبد الرحمن الناصر وكذلك عهد ابنه الحكم واستمر العمل فيها من عام خمسة وعشرين وثلثمائة حتى آخر دولة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم أى نحوا من أربعين عاما (٢) .

وحرص الناصر فى حياته على أن لاتمر حادثة من الحوادث امام ابنه الحكم الا ويكون له منها الدرس البليغ المستفاد فى حياته ومن

(١) المقرى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٤٥ - ٣٤٦ . المراكشى : المعجب فى تلخيص اخبار المغرب ، تحقيق الاستاذ محمد العريان ـ القاهرة ، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣م ، مطابع شركة الاعلانات الشرقية .

(٢) المقرى : مصدر سابق ، جـ ١ ، القسم الثانى ، ص ٩٩ .

بعده ، فيدرك كيف يحيط نفسه ودولته بالرجال الحكماء المحنكين وكيف يتصرف في شئون دولته وفي تقدير كافة الأمور .

فعندما اندفع عبد الرحمن الناصر الى عمارة الارض وتشييد القصور وتوفير المياه رغبة في تخليد الآثار الدالة على عظمة ملكه وقوة سلطانه أدى به ذلك الى الانهماك في الناحية العمرانية حتى قامت مدينة الزهراء بقصورها الشامخة البديعة وانصرف الى زخرفة أعمدتها وجدرانها ومداخلها انصرافا أدى به الى أن عطلت صلاة الجمعة بالمسجد (١) . فلما رأى القاضي المنذر بن سعيد من ذلك ما رأى أراد ان يعطيه درسا قاسيا لعله يتعظ ويعتبر ، فبدأ خطبته بقوله تعالى : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢) . وواصل تلك الآيات بكلام ذم فيه الاسراف في البناء والمغالاة في الزخرفة والنفقة ثم واصل كلامه بذكر قول الله تعالى مرة أخرى حيث قال : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣) . وأتى

---

(١) المقري : المصدر السابق ، ج ١ ، القسم الثاني ، ص ١٠٥ .
(٢) سورة الشعراء ، الآية : ١٢٨ - ١٣٥ .
(٣) سورة التوبة ، الآية : ١٠٩ - ١١٠ .

يخطب بأمثال هذه المعانى والآيات ومن التخويف بالموت والتحذير من النار والدعاء الى الله عز وجل فى اعتزال الدنيا الفانية والترغيب فى الآخرة ومافيها ، والتقليل من طلب الدنيا ونهى النفس عن الشهوات ، وأكثر من آيات القرآن العظيم ما يوافق كلامه وأورد من الاحاديث والآيات ما يوافق المقام ، حتى بكى الناس وخشعوا وضجوا بالدعاء والتضرع والتوبة والانابة الى الله عز وجل .

أدرك الناصر من خطبته انه هو المقصود فندم على مافرط وتقرب الى الله عز وجل بالاعمال الصالحة واستعاذ من سخطه ، الا انه عز عليه طريقة المنذر فى توجيهه وقسوة ألفاظه عليه ، فشكا بذلك الى ابنه الحكم وقال : [والله لقد تعمدنى المنذر بخطبته وأسرف فى ترويعى ، وأفرط فى تقريعى ولم يحسن السياسة فى وعظى فزعزع قلبى ، وكاد بعصاه يقرعنى ، واستشاط غضبا عليه فأقسم ان لا يصلى خلفه صلاة الجمعة] (١) . وعندما رأى الحكم كثرة وجد ابيه على المنذر قال له : [وما الذى يمنعك من عزله والاستبدال به ؟] . ولكن الناصر زجره بشدة ووبخه وقال له : [أمثل المنذر بن سعيد فى فضله وخيره وعلمه لا أم لك يعزل لارضاء نفسى ناكبة عن الرشد ، سالكة غير القصد ، هذا ما لا يكون . وانى لأستحى من الله أن لا أجعل بينى وبينه فى صلاة الجمعة شفيعا مثل المنذر فى ورعه وصدقه ولكنه احرجنى ، فأقسمت ولوددت أن أجد سبيلا الى كفارة يمينى بملكى ، بل يصلى بالناس

---

(١) المقرى : مصدر سابق ، ج ١ ، القسم الثانى ، ص ١٠٦ .

حياته وحياتنا ان شاء الله تعالى ، فما اظننا نمتاض منه أبدا] (١) .

تلك صورة رائعة من محاسبة العلماء للحكام ، وتلك هى الطريقة المثلى ، وذلك هو حكم الاسلام المفروض فى وجوب محاسبة الحكام وفى تبيان وايضاح عاقبة الله تعالى لمن لم يقم به ويفسح المجال له ، ولقد تمسك سلفنا الصالح بذلك حكاما ومحكومين فقاموا باداء المهمة على خير قيام .

ان محاسبة الحكام بالانكار على أعمالهم المخالفة لشريعة الله المتناقضة مع دين الاسلام لا تعنى الاساءة الى أشخاصهم لأن كل البشر معرض للخطأ والزيغ والانحراف عدا رسول الله صلى الله عليه وسلم المعصوم . فالانكار عليهم يكون بمحاسبتهم وتقويم اعوجاجهم والسعيد من وعظ فاتعظ . ويكون تقويمهم بقول لين كما قال تعالى لموسى وأخيه عندما بعثنا الى الطاغية فرعون : ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (٢) . وكان الناصر من الناس السعداء ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ (٣) . وبقدر اكبارنا لموقف العالم الخطيب المنذر بن سعيد ، يكون اكبارنا لهذا الخليفة التقى الذى لا يستكبر عن الرجوع

---

(١) ابن خاقان : مطمح الانفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الاندلس ، قسطنطينية ، ١٣٠٢ هـ ، الطبعة الاولى ، مطبعة الجوائب ، ص ٤٠ - ٤١ - النباهى : تاريخ قضاة الاندلس ، بيروت ، المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، ص ٤٠ - ٤١ . المقرى : مصدر سابق ، جـ ١ ، القسم الثانى ، ص ١٠٥ .

(٢) سورة طه : الآية : ٤٣ ، ٤٤ .

(٣) سورة الزمر : الآية : ١٨ .

الى الحق رغم قدرته على البطش والعزل ، وكل مافعله ان لا يصلى خلفه ولكن سرعان ماندم على ماقرر فأعطى بذلك لابنه درسا واقعيا كان فيه لابنه قدوة حسنة ومثلا يحتذى به فى الرجوع الى جادة الصواب.

وأحس الناصر ان المبالغة فى الانفاق على مدينة الزهراء بتلك الصورة كان أمرا ينقصه الصواب ، وان الصواب فى البعد عن التمادى فى الاسراف . واذا لم يكن الحاكم متزنا ومعتدلا فلا أقل فى ان يستمع الى القول الحسن ، فأوضح بتصرفه ان الحريص على مصلحة الدولة ورئيسها ليس من يداهن ويخادع وانما الحريص هو الذى يرشده الى عيوبه فكان هذا الموقف درسا رائعا من الخليفة الى ابنه عرفه فيه أنواع الرجال ومن الجدير منهم بالادناء أو الاقصاء (١) .

لم يكن هذا الدرس وحده هو الذى تلقاه الحكم من أبيه فى حياته بل تكررت المواقف وتعددت التجارب خاصة مع الرجل الصالح المنذر بن سعيد ولكن بطريقة أخرى . فعندما اتخذ الناصر [لسطح القبيبة المصغرة الاسم للخصوصية التى كانت ماثلة على الصرح الممرد المشهور شأنه بقصر الزهراء قراميد ذهب وفضة انفق عليهما مالا جسيما ، وقرمد سقفها به ، وجعل سقفها صفراء فاقعة الى بيضاء ناصعة تستلب الابصار بأشعة نورها] (٢) وجلس بعد اتمامها يوما لأهل مملكته وقال

---

(١) عبدالعزيز البدرى : الاسلام بين العلماء والحكام ، المدينة المنورة ، ١٩٦٦م ، المكتبة العلمية ــ وبيروت ، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر ، ص ٧٥ .

(٢) المقرى : المصدر السابق ، جـ ١ ، القسم الثانى ، ص ١٠٨ .

لمن حضر مجلسه من الوزراء والاعيان وأهل الخدمه مفتخرا عليهم بما صنعه من روائع الفن وبدائع الصنعه : [هل رأيتم أو سمعتم بملك كان قبلى فعل مثل هذا أو قدر عليه ؟] وكعادة المتملقين والمداحين من الحاشية فى كل مكان وزمان ، كان ردهم واجابتهم واحد ، فقالوا له : انهم لم يسمعوا قط بملك فعل مافعله . فأبهجه وأعجبه قولهم وداخله الزهو والكبرياء بما فعل . وبينما هم فى تلك الحالة من الابتهاج والسرور اذ دخل عليهم القاضى المنذر بن سعيد وهو ناكس الرأس حزين النفس لما رأى وسمع فلما أخذ مجلسه قال له مثلما قال لوزرائه ، فانهمرت الدموع على لحيته ورد عليه ردا بليغا كله صدق وايمان ، قال له :[والله يا أمير المؤمنين ما ظننت ان الشيطان لعنه الله يبلغ منك هذا المبلغ ولا أن تمكنه من قيادك هذا التمكين مع ما آتاك الله من فضله ونعمته وَفَضَّلَكَ به على العالمين ، حتى ينزل بك منازل الكافرين] (١) . ولكن الناصر انفعل لقوله وقال له : [وكيف انزلنى منازلهم ؟] ، فرد عليه المنذر بقوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ * وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) .

فوجم الناصر ونكس رأسه ودموعه تجرى على لحيته خوفا وخشوعا لله عز وجل ، واقبل على المنذر وقال له : [جزاك الله ياقاضى عنا وعن

---

(١) المقرى : المصدر السابق ، ص ١٠٩ .
(٢) سورة الزخرف : آية ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ .

نفسك خيرا وعن الدين والمسلمين أجل جزائه وكثر فى الناس أمثالك ، فالذى قلت هو الحق] ، وقام من مجلسه مستغفرا متضرعا الى الله بالتوبة وأمر بنقض القبه واعادتها ترابا . وندم الناصر وهو أمير المؤمنين وأكبر شخصية فى الدولة على سابق عمله ولم يتأخر عن الرجوع الى الحق والصواب مثل أى رجل من الرعية (١) .

هكذا كان العلماء مع الحكام حيث برزت صلابتهم فى التمسك بدينهم والاعتزاز به . لقد مر بالحكم هذا الموقف فوعاه جيدا كدرس تربوى عملى فى تراجع الحكام عن اعوجاجهم بنصيحة العلماء العاملين وصدق ارشادهم الى الصراط المستقيم . فبمثل هذه الدروس العملية أدرك الحكم ان التقرب لتلك الفئة من الصالحين وسماعه لنصائحهم فيه الخير والسعادة .

وتمر العبر بجميع صورها ومعانيها ، فيتعظ بها الحكم ، سواء أيام كان وليا للعهد أم بعد أن صار خليفة حاكما للبلاد .

وتمر حادثة أخرى بالحكم حينما أصيب الناس بقحط شديد فى أواخر عهد الناصر ، ودعى الناس للخروج لصلاة الاستسقاء طلبا لرحمة الله وعفوه ، ويبرز المنذر بن سعيد مرة ثالثة لكى يصلى بالناس صلاة الاستسقاء بعد ان استعد لها بالصوم ثلاثة أيام يناجى فيها ربه ويستغفره

---

(١) المقرى : المصدر السابق ، جـ ١ ، القسم الثانى ، ص ١٠٩ .

ويتضرع اليه ثم اجتمع الناس فى مصلى الربض بقرطبه [1] ، ولكن المنذر الخطيب والامام أحب قبل أن يبدأ صلاته وتضرعه الى الله أن يطلع على حال أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر فقيل له : [ما رأيناه قط أخشع منه فى يومنا هذا ، انه منتبذ حائر منفرد بنفسه لابس أخس الثياب مفترش التراب ، وقد رمّد به على رأسه وعلى لحيته ، وبكى واعترف بذنوبه وهو يقول : هذه ناصيتى بيدك ، أتراك تعذب بى الرعية وأنت أحكم الحاكمين ؟ لن يفوتك شىء منى] [2] . فعندما علم المنذر بذلك تهلل وجهه بشرا وقام فى الناس خطيبا واعظا وأدرك تماما انه اذا خشع جبار الارض فقد رحم جبار السماء ، وبشر الناس بالسقيا والغيث ولم ينصرف من مصلاه الا والغيث قد هطل منة ورحمة من الله [3] .

لقد كان لهذا الموقف أثره الكبير فى صقل حسه الدينى ، فأدرك جيدا ان صلاح الراعى فى قربه من الله ، وعرف ان الرعية دائما تكون

---

(١) اتخذ المسلمون منذ الفتح الاسلامى بقرطبه مصلى لهم ، والمصلى فى المدن الاسلامية عبارة عن ساحة فسيحه يجتمع فيها المسلمون لاداء الصلاة ، كصلاة الاستسقاء ، أيام الجدب والجفاف وصلاة العيدين فى العراء ، وكان مصلى الربض يؤدى هذه الوظيفة فى تلك الايام .
(السيد عبد العزيز سالم : قرطبه حاضرة الخلافه ، بيروت ، ١٩٧١م ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، جـ ١ ، ص ٢٦ - ٢٧) .

(٢) المقرى : المصدر السابق ، جـ ١ ، القسم الثانى ، ص ١٠٨ .

(٣) النباهى : تاريخ قضاة الاندلس ، ص ١١٧ - ابن خاقان : المصدر السابق ، ص ٤٥ - ٤٦ - ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، بيروت ، دار الكتاب العربى ، جـ ٧ ، ص ٨٢ .

على دين ملوكها فان صلحوا صلحت وان فسدوا فسدت . وادرك ان نصائح العلماء للحكام هي للحكام أنفسهم لا عليهم وانها تجنبهم الوقوع في الاخطاء ، فالحاكم المسلم يعلم ان كل خطأ جالب للاثم يسيء للرعية التي أولته أمرها ليحسن رعايتها . وهكذا استطاع الحكم ان يدرك ان في تقريب أهل العلم والعلماء الفضل الكبير في البعد عن الزيغ[1] ، فأخذ يقرب العلماء في عهده الزاهر ويسبغ عليهم عطفه ورعايته فكان عهده عهد العلم والعلماء . وكان هذا كله ثمرة لما أراده له أبوه من ان يكون نعم القدوة لرعيته .

وننتقل الآن وبعد التعرف على الحياة التي عاشها الحكم في ظل أبيه الى التحدث عن اعتلائه للعرش وتوليته الخلافة .

---

(١) عبدالعزيز البدري : مرجع سابق ، ص ٩٩ - ١٠١ .

(٢) تولية الحكم المستنصر الخلافة

في اليوم الذى توفى فيه عبد الرحمن الناصر في الثاني أو الثالث من شهر رمضان من عام ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م ، تولى ابنه الحكم الخلافه ، وكان يومئذ في الثامنة والاربعين من عمره تقريبا ، وبويع البيعة الخاصة من اخوته وكبار رجال الدولة والقصر ، ثم بويع البيعة العامة بعد ذلك .

البيعة الخاصة : وأول من بايعه بالخلافة أكابر الفتيان الصقالبة كجعفر صاحب الخيل والطراز وغيره من عظمائهم ، وقد تكفلوا بأخذها على من دونهم وتحت أيديهم ومن طبقتهم وغيرهم ، وبعد ذلك قام الكتاب والوصفاء والعرفاء فبايعوه . ولما اكتملت بيعة أهل القصر تقدم الحكم الى كبير دولته جعفر بن عثمان المصحفى [1] يطلب اليه النهوض الى شقيقه أبى مروان عبيد الله ليأمره بالحضور ، وتقدم الى موسى بن احمد بن حدير الى ابى الاصبغ عبد العزيز شقيقه الثاني ، وأمر غيرهم من وجوه القوم باحضار اخوته الباقين فمضوا اليهم بكتيبة

---

(١) هو ابو الحسن جعفر بن عثمان بن نصر بن فوز بن عبد الله بن كسيله القيسى ، كان لطيف المنزله عند الحكم المستنصر بالله ، قديم الصحبه قريب الخاصه ، وكان أول سبب ذلك تأديب والده للحكم في حياة الناصر ، ولما أفضت الخلافه الى الحكم قلده خطة الوزارة ، وامضاه على الكتابة الخاصة ثم جمع له الكتابه العليا بالخاصه ، وولى ابنيه الاعمال الكبار . وكان جعفر احد شعراء الاندلس المحسنين .

ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٥٤ - الحميدى : جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس ، القاهرة ، ١٩٦٦م ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ص ١٨٧) .

من الجند ليأتوا بهم جميعا الى مدينة الزهراء ، وكان عددهم يومئذ ثمانية اخوة فحضروا جميعا الى الزهراء ونزلوا فى دار الملك . وبعد ذلك قعد الخليفة المستنصر بالله ووصل اليه اخوته فبايعوه ، واستمعوا لصحيفة البيعة وتعاهدوا بالايمان المنصوصه . ثم بايع بعد ذلك الوزراء وأولادهم واخوتهم ، ثم أصحاب الشرطه ، وطبقات أهل الخدمة . وجلس الاخوة والوزراء ووجوه القوم ، وقام عيسى بن فطيس وهو من كبار رجال الدولة ليأخذ البيعة من الجميع بعد أن جلسوا فى مجلس الخليفة على حسب مراتبهم فى الدولة وأخذت البيعة منهم جميعا . ولما تمت البيعة انصرف الجميع الا الاخوة والوزراء وأهل الخدمة مكثوا حتى دفن الناصر . وبهذه الصورة انتهت البيعة الخاصة للحكم المستنصر .

البيعة العامة : فى شهر ذى الحجة من عام ٣٥٠ هـ / ٩٦١م ، تكاثرت الوفود من جوانب الاندلس وقواعدها ، واجتمعت بباب الحكم المستنصر للبيعة ، فأذن لهم بالدخول الى مجلسه بمحضر من جميع الوزراء والقضاه فأخذت له البيعه (١) .

وهكذا تولى الحكم الخلافة دون ان يقف فى وجهه أحد من أعامه أو اخوته أو أقربائه أو غيرهم . وقد جلس فى البهو الأوسط من الابهاء المذهبة فى السطح الممرد فبايعه الجميع من رجاله وخاصته واخوانه والوزراء وأولادهم وأصحاب الشرطة وكبار رجال الدولة فى جلسه يسودها الاخاء والمودة .

---

(١) المقرى : المصدر السابق ، جـ ١ ، القسم الاول ، ص ٣٦٣ ، ص ٣٦٥ .

ولقد أبدع الشعراء في وصف ذلك اليوم البهيج يوم ولايته ،
فقال اسماعيل بن بدر الذي كان قد تولى أشبيلية للناصر :

لئن غربت شمس لقد طلعت شمس
فما في صلاح الأرض ريب ولا لبس
مستنصر بالله دان لملكه
وأيامه المأمونة الجن والانس
تولى أمير المؤمنين فأصبحوا
وما بينهم نجوى بعدوى ولا همس
فلا سقيت أرض بغير سحابه
بلالا ولا سرت لسكانها نفس
وان شد حلس لا يكون ثيابه
فلا انهضت يوما بمن شده عنس (١)

وهكذا تمت البيعة وقام الحكم المستنصر باعباء الخلافة عقب وفاة أبيه . ولقد بدا حكمه بالنظر في تمهيد سلطانه ، وتوطيد أمور مملكته ، وترتيب أجناده ، وايضاح طريقته وخطته في الحكم ، فحرص منذ أول يوم على أن تتم مراسم البيعة فور وفاة أبيه وحرص على أن تبدأ بأهل بيته وخصوصا اخوته حتى لا يبدو أي خلاف بينهم امام الرعية وبلغ من حرصه على ذلك أن ارسل الى اخوته قطعا من الجند حتى لا يفكر أحد منهم بالخروج عليه أو التنصل من بيعته فيبدو امام الرعية بمظهر لا يحمد

---

(١) سيمون حايك : المرجع السابق ، ص ٢٤ .

عقباه ، ولما اكتمل عددهم وصاروا كالعقد المنظوم تمت البيعة الخاصة له . فهذا موقف ودرس عظيم وعاه المستنصر من ابيه الناصر ، وهو انه ليس في مصلحة الحاكم ان يبدو أي خلل في صفوفه امام الرعيه ،واذا وجد شيء من ذلك يجب بتره نهائيا وبصورة سريعة كما فعل الناصر مع ابنه عبد الله . ولقد حرص المستنصر على ابقاء جهاز الدولة كاملا مثلما كان في عهد ابيه لثقته بقدرة أبيه في اختيار الرجال الافذاذ .

وتولى الحكم المستنصر الخلافة وهي على أسس ثابته راسخة وعلى حال من الاستقرار والرخاء لم تعهدها الدولة قط .

وعقب توليته الخلافة ولى الحكم المستنصر جعفر المصحفي حجابته وقد ظل في منصبه طوال سنوات خلافته . وقد أهدى جعفر المصحفي للحكم المستنصر يوم توليته الحجابة هدية كبيرة تدل على مدى ما كانت عليه الدولة وقتئذ من الرخاء والرفاهية (١) .

ولقد تولى الحكم المستنصر الخلافة وهو في سن الثامنة والاربعين ، أي في الوقت الذى تكاملت له مزايا الرجل الخبير المحنك التي أعانته على تصريف الشئون الخاصة بالخلافة . فضلا عما كانت عليه الدولة من ازدهار واستقرار وقت ان تركها له أبوه فلم تعترضه الثورات الجامحة التي اعترضت أباه في العشرين سنة الأولى من عهده ، بل ورث دولة

---

(١) المقرى : المصدر السابق ، ص ٣٥٨ .

موطدة الأركان تحكمها حكومة مركزية قوية .

وبعد ان بويع الحكم المستنصر بالخلافة واستقرت له الأمور التفت الى أمور مملكته لضبطها ، والى أعدائه لحربهم ، والى جميع مرافق الدولة للاشراف عليها والعناية بأمورها .

* *

الفصل الثاني

جهاد الحكم المستنصر ضد الممالك والامارات الأسبانية النصرانية وضد النورمان

١) نظرة عامة عن أحوال الممالك الأسبانية النصرانية وعلاقاتها بالأندلس حتى نهاية عبد الرحمن الناصر .

٢) علاقات الحكم المستنصر بالممالك الأسبانية النصرانية :-
أ ـ جهاد الحكم المستنصر ضد مملكة ليون ، ومملكة نبره ، وامارة قشتاله .
ب ـ عهود السلام بين الحكم المستنصر وملوك الأسبان وأمرائهم النصارى .
جـ ـ نقض ملوك وأمراء الأسبان النصارى لعهود السلام وعودتهم الى شن الغارات على الاراضي الاسلامية .

٣) جهاد الحكم المستنصر ضد النورمان :-
أ ـ النورمان وغاراتهم على الأندلس قبل عهد الحكم المستنصر .
ب ـ غارات النورمان على الاندلس في عهد الحكم المستنصر .

(١) نظرة عامة عن أحوال الممالك الأسبانية النصرانية وعلاقاتها بالأندلس حتى نهاية عهد عبد الرحمن الناصر

لو تتبعنا بداية ظهور خطر الامارات الاسبانية النصرانية لوجدنا أنها في بداية الأمر قد استقرت واعتصمت بالجبال ، ولم تستطع التوسع والانتشار جنوبا بسبب خوفها من المسلمين الأقوياء في تلك الفترة الاولى من حكمهم ، ولكن بمرور الوقت واختلاف الأوضاع تجددت الأطماع مرة أخرى بسبب انشغال المسلمين وانقسامهم على أنفسهم ، فبدأ الاسبان بالتطلع الى الامتداد الى المناطق المجاورة ، وخصوصا أن تلك الامارات النصرانية كانت قريبة من أوروبا وعلى اتصال بفرنسا والبابوية والعالم الكاثوليكي . ولقد ساعدها هذا الاتصال والقرب على تدعيم قواها من الناحيتين المادية والروحية ضد دولة الاسلام في الاندلس . ففي جليقية (قالسيا) تلك المنطقة الجبلية التي تقع في شمال غرب شبه جزيرة ايبيريا قامت الانطلاقة الأولى لحركة الاسترداد الأسبانية تحت راية النصرانية ، وظهر ذلك جليا في حروب الأسبان النصارى للمسلمين في الأندلس التي طفحت بكل صور العداء والكراهية المتمثلة في نفوسهم للمسلمين (١) .

وفي أواخر عصر الامارة بالاندلس ضعفت سلطة أمراء بني أمية وانقسمت الأندلس الى امارات مستقلة ، وقام الصراع بين هذه الامارات

---

(١) احمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والاندلس ، الاسكندرية ، موسسة الثقافة الجامعية ، ص ٢٠٩ .

ضد بعضها البعض، وحينا آخر بينهما وبين حكومة قرطبة . أما بالنسبة للممالك الأسبانية النصرانية فقد انقسمت مملكة جليقية النصرانية واستقل عنها الباسك والنافاريون وكونوا مملكة نبرة (نافار) ، وظهرت امارة قطلونية فى الشمال الشرقى لأسبانيا النصرانية ، ثم قام الصراع بين هذه الدويلات المسيحية ، واستعان بعضها بالمسلمين فى الاندلس ، اما البعض الآخر فقد استعان بالفرنجة فى صراعهم ضد بعضهم الآخر . ولقد أدى هذا التشابه فى الأوضاع السياسية لكل من الاندلس والممالك الاسبانية النصرانية فى أواخر عصر الامارة الى وجود توازن بينهما على الصعيدين العسكرى والسياسى .

وفى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى تغيرت الموازين وتبدلت الأمور ومال الميزان والقوة الى جانب الممالك الأسبانية النصرانية ، حتى وصلت حدودها الى نهر دويرة ، برغم محاولة الامارة الأموية القيام لصد هجمات النصارى على الأندلس(١) .

وبعد تولى الامير عبد الرحمن الناصر واعلانه للخلافة تحول الميزان السياسى طوال القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى فى جانب دولة الاسلام فى الاندلس ، وذلك لعدة أسباب منها : أن دولة الاسلام فى الاندلس أصبحت فى عصر الخلافة دولة موحدة ، تسيطر على كافة أراضيها حكومة واحدة هى الخلافة الأموية فى عهد عبد الرحمن الناصر

---

(١) على عبد الله القحطانى : الدولة العامرية فى الاندلس . دراسة سياسية وحضارية ، رسالة ماجستير من كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة أم القرى ، ١٤٠٢ هـ ، ص ١٧٢ .

الذى استطاع ان يقضى على الثورات فى الأندلس ، ووحد الاراضى الأندلسية وجعلها تحت حكمه . وقد استمرت وحدة الاندلس وتفوقها العسكرى على الممالك الأسبانية النصرانية طوال عهد الخليفتين عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر ، ومما ساعد على ذلك انقطاع مساعدة ملوك الفرنجة لمسيحى شمال اسبانيا ، بسبب ماعقد بين أمراء بنى أمية وبين ملوك فرنسا من معاهدات تنص على ألا يتدخل أى منهما فى شئون الآخر نظير أن يتخلى المسلمون عن برشلونة . ومن هذه الأسباب أيضا انقطاع امراء الثغر الأعلى الاندلسى (١) عن مساعدة نصارى الشمال ، مما ساعد على ازدياد ضعفهم ، وبالتالى ساعد على قوة الخلافة الأموية وسيطرتها على الاندلس .

وكانت الخلافة الاموية ممثلة فى شخص عبد الرحمن الناصر قد نجحت فى أن تسيطر على أمراء المسلمين ، وقضت على نفوذهم سواء كانوا من العرب أم البربر أم المولدين ، بعكس الشمال النصرانى الذى كان فيه

---

(١) الثغر : مفردها ثغر وهو كل موضع قريب من ارض العدو ويسمى ثغرا ، كأنه مأخوذ من الثغرة أى الفرجة فى الحائط . وكان يدير مناطق الثغور ويشرف عليها لبعدها النسبى عن قرطبه وقربها من أرض العدو قواد عسكريون تحت امرتهم جيش يطلق عليه جيش الثغر وهم دائما على أهبة الاستعداد اذ وكلت اليهم مهمة مراقبة تحركات الاعداء وصد جيشهم وكان فى الاندلس فى عهد الامارة ثلاثة ثغور :-

أ) الثغر الاعلى أو الاقصى ويواجه مدينة برشلونه ومملكة نافار وعاصمته سرقسطه

ب) الثغر الادنى : وكان يواجه منطقة جليقيه النصرانية وكانت عاصمته مدينة بطليوس .

ج) الثغر الاوسط : يواجه مملكتى ليون وقشتالة وعاصمته طليطله .

ولكن فى عصر الخلافة لم يكن يوجد الا ثغران وهما الاعلى والاوسط ، وللمزيد من المعلومات انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٦٦ ، ٣٤٢-٣٤٣ ، ٣٤٥ - ٣٤٦ - ياقوت الحموى : معجم البلدان ، بيروت ، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م ، دار صادر ، ج ٣ ، ص

النبلاء يقومون بدور كبير فى مساعدة امير ضد آخر ، وفى اذكاء الاضطرابات والفتن ، وخصوصا فى مملكة ليون . وقد تمثلت قوة النبلاء فى كونت قشتالة الذى استطاع الاستقلال بامارتها ومحاربة مملكتى نبرة (نافار) وليون طوال القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى . هذه الاسباب مجتمعة أدت الى قوة الخلافة الأموية وازدياد نفوذها سواء فى الاندلس أم فى دول الشمال النصرانى (١) .

وفى شىء من الايجاز نتعرف على أحوال هذه الممالك الاسبانية النصرانية فى هذه الفترة المعاصرة لموضوع بحثى حتى تتضح لنا علاقاتها بالاندلس فى عهد الخليفة الحكم المستنصر .

مملكة ليون :- وتقع فى الشمال الغربى بين المحيط ونهر دويرة ، وكانت من الممالك القوية التى تولت قيادة اسبانية النصرانية فى غزو أراضى المسلمين ، وخصوصا فى فترة انقسامهم . وفى بداية القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى كانت هذه المملكة تهدد وجود الخلافة الاسلامية ، وخاصة بعد ان تولى عرش ليون اردون بن الفونش الثالث الذى أغار على الثغور الاسلامية وعقد حلفا مع مملكة نبرة . ولكن مالبث ان توفى ، فاشتعلت الحروب بين ابنائه ، وكانت فرصة عظيمة

---

(١) رجب محمد عبد الحليم : العلاقات بين الاندلس والممالك النصرانية منذ عصر الامارة حتى نهاية القرن الخامس الهجرى ، رسالة دكتوراه مقدمة الى كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ص ١٤٢ - ١٤٤ .

استغلها عبد الرحمن الناصر فى القضاء عليهم . ثم ما لبثت أن عادت الحرب الاهلية بينهم من جديد بسبب تنازل الفونش الرابع ابن اردون لأخيه ردمير الثانى (٣٢٠ - ٣٤٠ هـ / ٩٣٢ - ٩٥١م)[1] .

وكان ردمير ملكا حاقدا على الاسلام وأهله فقام بمواصلة الحرب ضد الخليفة عبد الرحمن الناصر متعاونا مع حلفائه فى مملكته . وهنا وللمرة الثانية قام عبد الرحمن الناصر لحربهم ، وانتهت تلك الحرب للأسف بهزيمة المسلمين فى موقعة الخندق التى وقعت ضد خندق مدينة شمنقة (شنت منكش) . وفى سنة ٣٢٧ هـ / ٩٣٩ م خرج عبد الرحمن الناصر لحربهم ، لان تلك الهزيمة لم يكن لها تأثير عليه ، فقد استمر فى صراعه مع نصارى الشمال الاسبانى حتى انتصر عليهم ، وأبعدهم عن مؤيديهم . ولقد استمرت الحرب الاهلية فى مملكة ليون بسبب قيام كونت قشتالة فرنان جونثالث فى عام ٣٣١ هـ / ٩٤٣ م بحركة انفصالية عن مملكة ليون ، ولكن تلك الحركة منيت بالاخفاق ووقع الكونت فى الأسر ، فقامت فى قشتالة ثورة أخرى ضد مملكة ليون ، انتهت بنجاح القشتاليين فى فك أسر زعيمهم الذى ارتبط مع ملك ليون بعقد مصاهرة . ثم توفى ردمير عام ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م ، ونشبت الحرب الاهلية مرة أخرى ، واستغل عبد الرحمن الناصر تلك الظروف وأملى عليهم شروطه كما يريد ، خصوصا لأن الحرب كانت قائمة بين ولدى ردمير وهما

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الاندلس ، جـ٢ ، القسم الاول ، ص ٣٢١ - رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٤٤ .

اردون وشانجه ، وعندما قدم شانجه الى الخليفة عبد الرحمن الناصر مع جدته طوطه آملا فى المساعدة لاسترداد عرشه ، اضطر اردون ابن ردمير ان يطلب الهدنة وان يعقد معاهدة مع الخليفة تعهد له فيها بالطاعة والولاء ، وكان ذلك فى عام ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م . ثم تغيرت الاحداث بموت اردون وتولى شانجه العرش ونقضه معاهدته مع الناصر . كما انتهزت امارة قشتاله تلك الاهداف ، وعاونت الثوار فى مملكة ليون على الخروج على ملكهم شانجه مما اضطره الى الالتجاء الى الناصر مرة أخرى . وقد أدت تطورات الاحداث فى مملكة ليون على هذا النحو ان تعلن امارة قشتاله استقلالها عنها (١) ، وبانفصال امارة قشتاله عن مملكة ليون تشجع بعض النبلاء لنيل استقلالهم ، وكان ذلك منذ بداية النصف الثانى من القرن ٤ هـ / ١٠ م . ولكن الملك شانجه كان لهم بالمرصاد . وبعد تلك الاحداث توفى شانجه تاركا على عرشه طفلا لم يتجاوز الخامسة من عمره ، حكم باسم ردمير الثالث (٣٥٤ - ٥٣٧ هـ / ٩٦٦ - ٩٨٢م) تحت وصاية عمته البيرة التى قدمت على الخليفة الحكم المستنصر وهذا ما سنفصله فيما بعد .

ونستطيع ان نقول ان مملكة ليون انقسمت بين عدد من النبلاء ، مما أدى الى ضياع مكانتها وهيبتها بين الأسبان ، وقد استمر الصراع بين الأخوة المتنازعين على عرش المملكة ، واستمر كذلك تدخل النبلاء

---

(١) احمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢١٣ - رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

الى جانب هذا وذاك من الاخوة المتنافسين على عرش المملكة تارة بالود وتارة بالمصاهرة الاجبارية ، مما أدى الى ان دب الوهن والضعف فى جسم المملكة حتى ان معظم ملوكها لم يحكموا الا بعد خضوعهم لخلفاء بنى امية ودفعهم الجزية وتقربهم للخلافة التى أصبحت ذات الكلمة العليا فى شؤون شبه الجزيرة الأيبيرية (١) .

أما مملكة نبرة (نافار) ، وعاصمتها مدينة بمبلونة فقد كانت تتمتع بموقع جغرافى ممتاز بسبب قيامها فى منطقة المعابر الجبلية التى كانت تربط اسبانيا بأوروبا ، كما كانت على اتصال بفرنسا وبالبابوية . وفى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر كان فى حكم نبرة شانجة ابن غرسيه الأول (٢٩٢ - ٣١٣ هـ / ٩٠٥ - ٩٢٥ م) ، وهو أول من اطلق انه ملك من امراء نبرة ، وبه بدأت مملكة نبرة الحقيقية واليه تنتمى الاسرة الملكية التى ضمت اليها ليون وقشتاله ، وكان ذلك فى الثلث الأول من القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، ولقد تميز وضع مملكة نبرة عن الممالك والامارات الاسبانية الأخرى ، اذ تميزت باستقرار الحكم فيها وعدم قيام نبلائها بالتمرد ضد ملوكها . كما ارتبطت بعلاقات مصاهرة مع كل من ملوك ليون وكونتات قشتالة وامراء بنى قسى المسلمين ، فساعدها ذلك على الوقوف امام اطماع جيرانها سواء كانوا من المسلمين أم من الأسبان النصارى . ولم يقتصر نشاط شانجة الاول على

---

(١) Abdurrahman Ali El-Hajji : Andalusian diplomatic relations with western Europe during the Umayyad Period (A. H- 138-366/ A. D. 755-976), Dar Al-Irshad, Beirut, 1970, P. 70.

الهجوم على المناطق الاسلامية فحسب بل كان كثيرا ما يتدخل في أمور مملكة ليون عن طريق مساعدة امير ضد آخر ، وبوفاته ترك على عرشه طفلا صغيرا يسمى غرسيه (٣١٤ - ٣٥٩ هـ / ٩٢٦ - ٩٦٩م) قامت جدته الملكة طوطة بالوصاية عليه كنائبة للملك ، ولقد حاربت هذه الملكة العنيدة الخلافة ثلاثين عاما ، تحالفت فيها مع مملكة ليون ، واشتركت معها ومع امراء النصارى الاسبان الآخرين في هزيمة المسلمين في معركة الخندق . وقد سبق ان ذكرنا انه بوفاة ردمير ملك ليون قامت الحرب بين ولديه اردون وشانجه (١) . وقد انتصر اردون في هذه الحرب ، ثم دعم انتصاره بتحالفه مع عبد الرحمن الناصر ، اما شانجة ففر الى جدته طوطة التي دعمت مركزه بالصلح أيضا مع الخليفة عبد الرحمن الناصر واعادته الى حكم ليون بعد وفاة اردون في عام ٣٤٤ هـ/ ٩٥٦م . ولم تنته المشاكل عند هذا الحد بسبب منافسة ابن عمه اردون الرابع له الذى استطاع بمساعدة القشتاليين طرده ، فعاد مرة أخرى الى جدته الملكة طوطة . ولما كانت مملكة نبرة لا تستطيع مواجهة مملكة ليون وقشتالة بمفردها فقد رأت الملكة طوطة في الخلافة الاسلامية خير منقذ لها من تلك المشاكل ، فتناست عداءاتها وخلافاتها وكراهيتها للمسلمين وقررت اللجوء اليها ، وكان عبد الرحمن الناصر آنذاك أقوى رجل في اسبانيا كلها ، واصطحبت معها شانجة (٢) . ويروى ان شانجه هذا

---

(١) وكان اردون هذا من أم جليقيه وشانجة من أم ناقاريه هي ابنة الملكة طوطة .

(٢) احمد مختار العبادى : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢١٣ - رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٢ .

كان رجلا مفرط السمنه لدرجة انه كان لايستطيع ركوب الخيل ، ممـــا جعل شخصيته مضحكة فى نظر شعبه ، وقد أدى ذلك الى فقـــدان عرشه وتفوق اخيه عليه . وكان عليه لاسترداد مكانته ان يعمل علـــى تحقيق أمرين :

١) علاجه من تلك السمنه .

٢) تكوين جيش يساعده على استرداد عرشه .

ورأى شانجة ان هذين الامرين لا يمكن تحقيقهما الا فى مكان واحد وعند رجل واحد هو الخليفة عبدالرحمن الناصر وخصوصا ان قرطبة كانـــت متقدمة فى الطب عن أى بلد آخر (١) . وهكذا استطاعت جدته الملكـــة طوطة ان تقدم له العون فأرسلت مبعوثين للخليفة عبدالرحمن الناصـــر ليوضحا له الأمور . ولقد اشترط الخليفة عليهما تسليم بعض القـــلاع لقرطبة ، ثم تلا ذلك حضور الملكة وابنها وحفيدها فى عام ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م لوضع المعاهدة فى شكلها النهائى ولاتمام علاج شانجة الـذى كان قد بدء فى نبرة على يد طبيب عبدالرحمن الناصر وهو حسداى ابن شبروط . ولقد احتفل لقدومهم وعقدت بينهم اتفاقية اتفق بمقتضاهـــا على :

١) تسليم عشرة قلاع على الحدود .

---

(١) Abdurrahman Ali El-Hajji: Op. Cit, P. 76.

٢) عدم مهاجمة أراضى المسلمين .

٣) مساعدة شانجه على استرداد عرشه .

وهكذا تمت المعاهدة واستطاع شانجه استرداد عرشه ، وكان ذلك فى عام ٣٤٩ هـ بمساعدة الرجل الأول والسيد المطاع فى اسبانيا كلها عبد الرحمن الناصر (١) .

امارة قشتاله : وكانت قشتاله ولاية من ولايات مملكة ليون ، وكانت تقع بين مملكة نبرة ومملكة ليون والثغور الاسلامية من ناحية الجنوب ، ويواجهها من الثغور الاسلامية قلعة ايوب ، ومدينة سالم ، والثغر الأوسط ، وكانت بسبب موقعها المتوسط معبرا للجنود الاندلسيين فى عصرى الامارة والخلافة عند مهاجمتهم لمملكة ليون أو نبرة . ولقد سميت قشتالة فى الروايات الاسلامية بمنطقة البة والقلاع بسبب وجود العدد الكبير من القلاع فيها (Casteles) التى انشأها القشتاليون لصد الهجمات عليهم ، ومنها جاء اسم المنطقة نفسها ، فسميت بمنطقة قشتالة (Castilia) . وظهرت أهمية قشتالة نتيجة لتوسع مملكة ليون جنوبا وشرقا فى عهد الملك الفونش الثالث الذى وصل بحدود مملكته الى نهر دويرة فى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى . وقامت امارة قشتاله على اتباع اسلوب المصاهرة مع كل من نبرة وليون لكى تضمن لها حليفا اذا ما اعتدى عليها أحد الطرفين . كما تميزت

---

(١) Abdurrahman Ali El-Hajji: Op. Cit, P. 76

قشتاله بمميزات لم تتوفر في مملكتي ليون ونبرة ، فكان الحكم فيهما وراثيا لا يتخلله صراع ، وقد رأس امارة قشتالة موءسسها فرنان جونثالث الذى قاد الصراع مع مملكتي ليون ونبرة حتى اعتبره القشتاليون بطلا قوميا وخلدوا اسمه في اشعارهم وأساطيرهم . وكانت بداية المشاكل بين مملكة ليون وقشتالة عندما قام الملك الفونش الثالث ملك ليون بتوزيع مملكته بين ابنائه الثلاثة في عام ٢٩٦ هـ / ٩١٠ م ، وضم قشتالة الى أحد أبنائه بغرض كسر شوكة القشتاليين ، ولم يكتف بذلك بل قام باعدام كثير من نبلائهم وزعمائهم . ولقد صمتت قشتاله على مضض حتى استطاع زعيمها فرنان جونثالث ان يستغل الاوضاع السيئة التى تمر بها مملكة ليون ، فعمل على توحيد قشتالة عام ٣١٩ هـ / ٩٣١ م وجعلها امارة مستقلة بحدودها وكيانها . وبعد انتهاء الحروب الأهلية الليونية بقى ردمير الثالث امام امير قشتالة ، فلم يجد سواه ليتحالف معه ضد هجمات المسلمين في الاندلس . ولقد كان هذا هو الوضع السائد حينما تولى الخليفة عبد الرحمن الناصر الحكم ، فوجد نفسه أمام حلف قوى يجمع بين مملكتي ليون وقشتالة اللتين تناسيتا احقادهما ، وقررتا حرب المسلمين . واستغل هذا الحلف فترة انشغال عبد الرحمن الناصر في توطيد أمور دولته ، فاحتل بعض أراضي المسلمين ، وقام بمهاجمة الثغر الأعلى سرقسطة ، فقرر عبد الرحمن الناصر الخروج لحرب الليونيين والقشتاليين فلقنهم دروسا قاسية ، اذ هاجم بلادهم وهدم حصونهم واستعاد منهم كثيرا من بلاد المسلمين (١) .

---

(١) احمد مختار العبادى : المرجع السابق ، ص ٢٠٩ – ٢١٠ – رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٥٦ – Abdurrahman Ali El- hajji: Op. Cit., P. 70.

وهكذا نرى ان الأوضاع الداخلية السيئة التي كانت تمر بها الممالك الأسبانية النصرانية في شمال اسبانيا كانت تساعد خلفاء بني أمية في الاندلس على القيام بدورهم على أتم وجه . هذه هي صورة مختصرة عن العلاقات بين هذه الممالك الاسبانية النصرانية والاندلس قبل عهد الخليفة الحكم المستنصر .

(٢) علاقات الحكم المستنصر بالممالك الاسبانية النصرانية

أ ـ جهاد الحكم المستنصر ضد مملكة ليــون ، ومملكة نبرة ، وامارة قشــتالة :

عرفنا كيف ان الخليفة عبد الرحمن الناصر قد اعان الملك شانجــه ملك ليون وابن اردون الثانى على استرداد عرشه مقابل تسليم عــدة حصون استراتيجية على الحدود للخليفــة . ولكن بوفاة الخليفــة عبد الرحمن الناصر وتولى ابنه الحكم المستنصر ظن شانجه ان الظــروف قد تغيرت ، والاحوال قد تبدلت وانه اصبح فى حل من العهود التى قطعها على نفسه ، وأن له الحرية فى الخروج على المسلمين ، فأخــذ يماطل فى تسليم الحصون اعتقادا منه ان الخليفة الجديد ربما يكــون رجلا ضعيفا ليس له فى أمور الحرب والغزو خبرة . وبينما كان شانجه يعقد العزم على نقض ما قام به والغدر على ما أؤتمن عليه ، وفــد على الخليفة الحكم المستنصر اردون الرابع الملك المخلوع الذى كان قــد خلعه أبوه عبد الرحمن الناصر ليثبت حكم شانجه [1] .

وكان اردون الرابع قد لجأ الى الحكم المستنصر ليعاونه علــى استرداد عرشه خصوصا بعد ان علم بنية شانجه على الغدر وعدم تسليم

---

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الاندلس ، جـ ١ ، القسم الثانــى ، ص ٤٨٤ ـ احمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والاندلس ، بيروت ، ١٩٧٢م ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ص ٢٣٤ Abdurrahman - Ali El-Hajji: Op. Cit., P. 76-77.

الحصون ، وانه بدأ فى الاستعداد لحرب المسلمين ، حيث تحالف مع مملكة نبرة ، وامارة قشتالة (١) . اما عن التجاء اردون الى الحكم المستنصر فيروى لنا ابن عذارى عن احداث سنة ٣٥١ هـ [وفد على المستنصر بالله اردون بن اذفونش الاحدب من ملوك الجلالقة المنازع لابن عمه شانجه بن رذمير سابقه الى ولاية ملكهم فبالغ فى اكرامه فى خبر طويل وكان للفصحاء فى ذلك مقامات واشعار يطول الكتاب بذكرها . فمن قول عبد الملك بن سعيد فى قصيدة :

مَلَكَ الخلافَه ايةَ الاقبـال	وسُعُود ، موصُولَةٌ بتَوالـي
فالمُسلمونَ بعزةٍ وبرفعـه	والمُشركون بذلة وسفالِ
القت بأيديها الاعاجم نحوه	متوقعين لصولة الرئبالِ
هذا اميرُهم اتاه آخذا	منه أواصر ذمه وحبالِ] (٢) .

وتفيض الرواية الاسلامية فى مقدم اردون ومثوله بين يدى الخليفة الحكم المستنصر وطريقة استقباله له ، فيقول المقرى [فبادر الى الوفادة على الحكم مستجيرا به ، فاحتفل لقدومه وعبى العساكر ليوم وفادته ، وكان يوما مشهودا ، وصفه ابن حيان كما وصف ايام الوفادات قبله . ووصل الى الحكم واجلسه ووعده بالنصر من عدوه وخلع عليه وكتب بوصوله

---

(١) المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٣٦ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٣٥ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ٢٣٥ .

ملقيا بنفسه (١) ، وعاقده على موالاة الاسلام ومقاطعة فردلند القومس ، واعطى على ذلك صفقة يمينه ، ورهن ولده غرسيه ودفع الصلات والحملان له ولأصحابه ، وانصرف ومعه وجوه نصارى الذمة ليوطدوا له الطاعة عند رعيته ويقبضوا رهنه] (٢) .

لو نظرنا بتمعن ، وحللنا مافعله اردون مع عبد الرحمن الناصر ثم مع ابنه الحكم المستنصر لأدركنا ان اردون لم يفد على الحكم المستنصر الا لعلمه بقوته وقدرته على أن يكبح جماح شانجه خصوصا ان اردون اصبح في مركز الضعف ، فلجأ الى الاسلوب الاكثر نفعا منتهزا فرصة خروج شانجه على العهد ليتقرب وليحظى بمساعدة الخليفة بدلا من حربه والخروج عليه . وبالفعل ففي نهاية شهر صفر من عام ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م وصل الى قرطبة اردون واستقبله الخليفة كما ذكرنا استقبالا فخما ، وعبر عن محبته ورغبته في الاتحاد مع المسلمين وتقوية روابط المحبة والصداقة معهم ومساعدته على استرداد عرشه ، وبعد ان اطمأن على تحقيق أغراضه عاد من حيث أتى محاطا بالحفاوة والترحيب محملا بالهدايا التى أمر بها الخليفة بعد ان أملى عليه شروطه وهى :-

١) ان يضع نفسه وبلاده تحت رعاية الخليفة الحكم المستنصر .

٢) ان يقدم ولده غرسيه رهينه لوفائه (٣) .

ولقد نجحت خطة الخليفة الحكم المستنصر وسياسته فى تخويف شانجه بعد

---

(١) ملقيا بنفسه : اى مستنجدا به طالبا عونه .

(٢) المقرى : نفح الطيب ، ص ٣٦٠ وللمزيد من المعلومات ارجع الى نفح الطيب ص ٣٦٥ - ٣٧١ .

(٣) Abdurrahman Ali El-Hajji: Op. Cit., P. 77-78.

سماعه بسفارة اردون ، فقام بارسال سفارة هو الآخر الى الخليفة . وعن هذه السفارة يقول ابن عذارى : [وصل قرطبة ارسال شانجة بن ردمير منازع الطاغية اردون ابن عمه ملك الجلالقة ومعهم عبد الرحمن بن جحاف قاضى بلنسية وايوب بن الطويل وغيرهما ، فتوصلوا كلهم الى الحكم المستنصر فى ربيع الآخر ، واوصلوا كتاب شانجه بن ردمير بجواب ما خوطب فيه وبيعته التى عقدها على نفسه وجميع أهل مملكته لأمير المؤمنين المستنصر بالله](١) . وبعد تلك السفارة حدث ما لم يكن فى الحسبان اذ توفى اردون فى نهاية عام ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م وعاد شانجه لتنكره لوعوده مرة أخرى بعد ان تبددت مخاوفه . وبعد تلك الاحداث شعر الامراء النصارى الاسبان انه لا بد لهم من التكتل والتحالف سويا والقيام فى جبهة واحدة ونسيان مشاكلهم وحروبهم خصوصا بعد أن أصبح شانجه أقوى شخصية بين ملوك وأمراء الاسبان (٢) . وكان شانجه من أكبر المتحمسين للقيام بدور صليبى ليعزز موقفه وليعطى زعامته بريقا وجاذبية فى العالم المسيحى بأجمع ، لذلك عزم على عقد محالفات مع الامراء النصارى وبدأ بعقد حلف مع قومس قشتالة وملك نبرة وقومس برشلونة وآخرين غيرهم . وامام هذا التحدى الظاهر قرر الخليفة الحكم المستنصر الخروج واعلان الحرب ضده بعد ان شاهد بنفسه نكثه وتحالفه

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٣٥ - وانظر فى هذا الصدد المقرى : نفح الطيب ، ص ٣٦ - ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ١٤٥ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : قرطبه حاضرة الخلافة ، جـ ١ ، ص ٧٢ .

مع الامراء الإسبان النصارى (١) . وفى خلال تلك الاحداث خرجت امارة قشتاله على مملكة ليون تطالب باستقلالها بزعامة فرنان جونثالث الذى خرج على شانجه ، واعلن استقلال بلاده ، ونصب نفسه زعيما عليها واخذ فى الاغارة على أراضى المسلمين المجاورة له وانضم اليه كثير من الامراء المتعصبين الكارهين للمسلمين . وبعد هذا العدوان الصارخ هاجم المسلمون قشتالة ، فقررت قشتالة نسيان خلافاتها والوقوف صفا واحدا مع مملكة ليون بزعامة شانجة ، وانضم اليهما غرسيه ملك نبرة (ناقار) وكونت برشلونة ، وبذلك أصبح المسلمون امام كتلة قوية تضم النصارى بأجمعهم فى حلف واحد (٢) . وازاء هذا التحالف قرر الحكم المستنصر اعلان الجهاد ، وبدأ الاستعداد للخروج لقتالهم عام ٣٥٢ هـ / ٩٦٣م ، واجتمعت جيوشه ورجاله فى طليطلة ، وكانت أول غزوة له هى غزوة شنت استبن (Sante Steban) على نهر دويرة ، فحاصر المسلمون قلعتها واستولوا عليها (٣) . وبعد ذلك حاول فرنان جونثالث كونت قشتالة ان يقف جاهدا فى وجه المسلمين ولكنه لم يستطع ، فاجتاح المسلمون أرضه ومزقوا قواته كل ممزق حتى اضطر للخضوع وطلب الصلح بنفسه فصالحوه ، ولكنه كان صلحا وقتيا لأنه لم يلبث ان نكث كعادة الأسبان النصارى فى الغدر وعدم الوفاء بالعهود ، فقام وهاجم المسلمين مرة أخرى . وكانت معاهدات السلام مع ملوك وامراء النصارى الاسبان

---

(١) ابراهيم بيضون : الدولة العربية فى اسبانيا والفتح حتى سقوط الخلافة ، بيروت ، ١٩٨٠م ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ص ٧٢ .

(٢) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الاندلس ، جـ ٢ ، ص ٤٨٤ .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ٢٣٦ .

سرعان ماتنقض بسبب عدم احترام هؤلاء لهذه المعاهدات[1] . ولذلك مالبثت الحرب ان استعرت مرة اخرى وشن المسلمون سلسلة من الهجمات على قشتالة فى السنوات التالية[2] . ولم يكتف المسلمون وعلى رأسهم الخليفة الحكم المستنصر بما أحرزوه من نصر وظفر على اعداء الاسلام النصارى بل نراهم يهاجمون بلادهم مرة أخرى ، واستطاعوا ان يستولوا على بلدة انتيسة الحصينة . . وارسل الخليفة جيشا كبيرا بقيادة يحيى ابن محمد التجيبى حاكم سرقسطة فى اتجاه نبرة ، وكان ملكها غرسيه قد أغار على أراضى المسلمين ناكثا لعهده مع المسلمين ، فهرع حليفه ومؤيده شانجه ملك ليون ليمد له يد العون ضد المسلمين ، فنشبت بين الفريقين معركة هزم فيها النصارى ، وتحصنوا بالجبال ، وانتصر المسلمون انتصارا باهرا حتى عظمت فتوحات الحكم المستنصر وقواد الثغور فى كل ناحية ، وقد أصبحوا ينتقلون من ظفر الى ظفر ومن نصر الى نصر . وكان من أعظم الفتوحات أيضا فى مملكته فتح مدينة قلهرة أو (قلمريه) [3] من بلاد البشكنس وقد تم فتحها على يد القائد غالب مولى الحكم المستنصر ، ودخلها المسلمون وأمر الحكم المستنصر بتعميرها

---

(١) محمد عبدالله عنان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٨٦ - ابراهيم بيضون : الدولة العربية فى اسبانيا ، ص ٣١١ .

(٢) Abdurrahman Ali El-Hajji: Op. Cit., P. 79-80.

(٣) قلمريه : بالميم بلد بالاندلس من بلاد البرتغال ، بينها وبين قوريه أربعة ايام وهى تقع على جبل مستدير ولها سور حصين .
(الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٦٤) .

وتحصينها وشحنها بالرجال والعدد ، وصار فتحها فتحا عظيما [١] . ثم كان فتح قطربيه أو (قطلونيه) [٢] على يد القائد وشقه ، ولقد حقق المسلمون في هذا الفتح نصرا عظيما ، وغنموا غنائم كثيرة من الاموال والسلاح والاقوات والاثاث ومن البهائم والغنم والبقر والرمك [٣] (الفرس) وكذلك أنواع عديدة من الاطعمة اما السبي فقد غنموا منه عددا لا يحصى .

وفي سنة ٣٥٤ هـ سار القائد غالب مع القائد يحيى التجيبي ، وقاسم ابن ذي النون وتوجهوا الى بلاد البه لفتحها . ولقد دخلها المسلمون وفتحوها واستولوا على أعظم مافيها وهو حصنها المعروف بحصن غرماج ، وضموه الى حوزتهم . وكان للتفوق الحربي لجيش الحكم المستنصر اعظم الأثر في اعادة الأمن والاستقرار الى ثغور الاندلس واطرافها ، وهيأ لدولة الاسلام في الاندلس التفوق على الممالك والامارات الاسبانية النصرانية [٤] .

---

(١) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ١٤٥ .

(٢) قطلونيه : هذه البلاد قائمة بذاتها من قديم الدهر ، وكثيرا ما كانت مستقلة عن اسبانيا اما حدودها فهي تقع بين جبال البرانس من الشمال ، وبلاد ارغون من الغرب ، وولاية بلنسيه من الجنوب والبحر المتوسط من الشرق .
(شكيب ارسلان : الحلل السندسيه في الاخبار والاثار الاندلسيه ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، المجلد الثاني ، ص ١٩٩) .

(٣) الرمك : الفرس أو البرذونه تتخذ للنسل وجمعه رمك ورماك .

(٤) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ١٤٥ - المقرى : المصدر السابق ، ص ٣٥٩ .

ب ـ عهود السلام بين الحكم المستنصر وملوك وامراء الاسبان النصارى :

بلغت هيبة عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر بين ملوك الاسبان النصارى وامرائهم بعد الحروب والمعارك التى دارت رحاها بين الطرفين شأنا كبيرا لدرجة انهم أصبحوا حريصين كل الحرص على اكتساب مودتهما باكثار ارسال الرسل اليهما فى قرطبه لعقد معاهدات الصداقة معهما (١). كما كانت الوفود الاسبانية النصرانية تسعى لنيل رضى دولة الخلافة فى الاندلس ، وعلى رأس تلك الوفود وفد مملكة ليون طالبا من الخليفة الحكم المستنصر العون المادى والعسكرى والتأييد السياسى واستمرار الاتفاقيات التى ابرمت معه . كما عقدت معاهدة سلام بين الحكم المستنصر واردون بن اذفونش ليون ، وبناء على هذه المعاهدة بعث اردون ابن عمه شانجه بن ردمير الى الخليفة ليعلن له طاعته وطاعة اهالى جليقيه وسموره (٢) ، ورغبتهم جميعا فى قبول وفادتهم واستمرار وبقاء العهود كما كانت فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، فتقبل الحكم المستنصر طلبهم ، ولكن بعد ان املى عليهم شروط المسلمين وهى ان تهدم الابراج والحصون القريبة من ثغور المسلمين حتى لا تشكل أى خطر عليهم . ثم استقبل الحكم المستنصر بعد ذلك رسولى ملك

---

(١) Abdurrahman Ali El-hajji : Op. Cit., P. 81

(٢) وهى دار مملكة الجلالقه ، تقع على ضفة نهر كبير ، وهى مدينة جليلة وقاعدة من قواعد الروم .
(الحميرى : المصدر السابق ، ص ٩٨) .

برشلونه وطركونه ، وقد صحبهم قومس من الفرنجه راغبين فى تجديد العهود واقرارهم على ماكانوا عليه من حسن الجوار ، وحاملين معهم هدية للحكم المستنصر حرصا منهم على التقرب والتودد اليه . وكانت هذه الهدية مكونة من :-

١) عشرين صبيا من الصقالبه .

٢) عشرين قنطارا من الصوف السمور .

٣) خمسة قناطير من القصدير .

٤) عشرة ادرع صقلبيه ومائتى سيف افرنجيه .

ولقد تقبل الحكم المستنصر هديتهم تلك ولكن بشروط هى :-

١) ان يهدموا الحصون التى بالقرب من ثغور المسلمين .

٢) ان لايظاهروا عليه أهل ملتهم .

٣) ان يخبروه بمايكون من النصارى فى الخروج على المسلمين (١) .

هكذا كان الخليفة المسلم يملى شروطه وهو فى موقف القوى على هؤلاء النصارى الاسبان مراعيا فيها مصلحة المسلمين . ثم توالت الوفود بعد ذلك على الحكم المستنصر فوصلت رسل غرسيه بن شانجة ملك نبرة فى جماعة من الاساقفه والقواميس يسألون تجديد الصلح معهم ، بعد ان كان الحكم المستنصر قد توقف عن موافقتهم ، ثم وافقهم فرجعوا الى بلادهم مسرورين (٢) .

---

(١) المقرى : المصدر السابق ، ص ٣٦١ - ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ١٤٥ .

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ١٤٥ - المقرى : المصدر السابق ، ص ٣٦١ .

وهكذا أصبحت قرطبة فى عهد الحكم المستنصر مركزا للتوجيه والاشعاع فى شبه جزيرة ايبيريا ، وغدت مقصدا لملوك اسبانيا النصرانية ، يغدون اليها ، ويقدمون لها عهود الطاعة والولاء ، ويلتمسون منها العون والقوة ، وذلك منذ عام ٣٥٥ هـ / ٩٦٦ م (١) .

وهنا لنا وقفة صغيرة ، فعند ذكر وفود النصارى القادمين على الحكم المستنصر يستحسن أن نقف قليلا لنرى ما وقع من تغييرات فى الممالك الاسبانية النصرانية بموت بعضهم وتولى بعضهم الآخر . فقد توفى شانجة مسموما سنة ٣٥٥ هـ / ٩٦٦ م ، وخلفه على العرش الطفل ردمير الثالث الذى كان تحت وصاية عمته البيره . وكان من نتيجة تولى هذا الطفل الصغير ان طمع كثير من النبلاء فى مملكة ليون لتحقيق استقلالهم الشخصى ومطامعهم الذاتيه . ثم توفى الكونت فرنان جونثالث أمير قشتالة سنة ٣٥٩ هـ / ٩٧٠ م وخلفه ولده غرسيه . وكان تأثير هذه الاحداث على اسبانيا المسيحية عظيما جدا فقد شجعت هذه الاحداث على قيام كثير من الامارات الاسبانية المستقلة ، مما أدى الى اتساع الخلافات بين الامراء الاسبان النصارى ، وكثرت المشاكل فيما بينهم ، مما أدى الى تفرقهم شيعا واحزابا . وكانت الحالة بعكس ذلك فى قرطبه التى استمرت فى تقدمها ونهضتها حتى أصبحت منبعا للعلم ومركزا لوفود السفارات السياسية التى تسعى اليها طالبه ودها وصداقتها(٢) .

---

(١) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص ٤٨٩ .

(٢) Abdurrahman Ali El-Hajji: Op.Cit., P. 79 - 80 — محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص ٤٨٩ - ٤٩٠ .

ولقد أدت هذه الخلافات القائمة بين ملوك وامراء اسبانيا النصرانية الى توالى وفودهم على الخليفة الحكم المستنصر ، فقد وفدت عليه وفود اسير جليقيه ، وأسير اشتوريش ، وملك نبرة شانجة بن غرسيه ، يسألون الصلح فأجابهم الخليفة الى طالبهم . ثم وفدت رسل أمير برشلونة (1) الكونت بوريل شونير Berrell Sunier لتجديد المودة والصداقة ومعهم ثلاثون أسيرا من أسرى جمعهم فى قاعدته وأطراف دولته من الذكور والاناث لعلمه بأن خليفة المسلمين يسره رجوعهم الى مواطنهم وعودتهم الى أهاليهم . ويقص علينا ابن حيان كيف ان أمير المؤمنين استقبل تلك الوفادة أعظم استقبال ، وكيف تم اللقاء الحافل بينهم ، وانتهوا منه الى نتائج هامة كانت كالتالى :-

١) معاونتهم ورغبتهم فى طلب السلام واتمام معاهدة الصداقة مع الحكم المستنصر .

٢) عزم الخليفة الحكم المستنصر على مساعدتهم فى حالة احتياجهم له على ان يطلب منهم مساعدته فى حالة احتياجه لهم .

٣) سيطرته على القلاع التى تعتبر خطرا على الحدود الاسلامية .

٤) الامتناع عن مساعدة جماعاتهم الدينية .

٥) ان يحذروا المسلمين من أى اطماع أو هجوم أو أى خطة تحاك ضدهم .

---

(1) وهى مدينة للروم بينها وبين طركونه خمسون ميلا تقع على البحر . (الحميرى : المصدر السابق ، ص ٤٢) .

وهكذا اتفق الحكم المستنصر مع مبعوث حاكم برشلونة الذى كان يصحبه مجموعة من الفرسان ، كما كان بصحبته رسول غيتار Guitardo وغيتار هذا يبدو انه حاكم مدينة برشلونة ، اما بوريل فكان حاكما لامارة تعتبر برشلونة عاصمة لها . وقد احضر هؤلاء معهم الهدايا الكثيرة لأمير المؤمنين لأن هدفهم كان هو عقد معاهدة سلام وصداقة بين امارة برشلونة وقرطبة ، فاستجاب أمير المؤمنين لطلبهم واستقبلهم أحسن استقبال ، وانزلهم فى منية نصر(١) ، وودعهم بأحسن ما استقبلوا به(٢) . ولقد أبدع الشعراء فى وصف ذلك الاستقبال البهيج من تزلف وتقرب رسل النصارى الى الخليفة الحكم المستنصر لنيل رضاه ، فقال احمد بن ابراهيم الخازن بالزهراء فى شعر طويل :

ليهنك أن لم يبقَ فى الأرض ناكثٌ
ولا مشركٌ إلا أتاك بلا عهدِ

فهذا ابن شبخ وهو طاغيةٌ لهم
رأى الرشدَ فى التحكيم والأَمن فى القصدِ

والقمت يدا افرنجة وعميد هـا
ولولا يدُ الالقاء جاءك فى قيدِ

وهذا لمن فى الشرق والغرب مؤذن
كما انَّ خطف البرقِ يؤذن بالرعدِ(٣)

---

(١) مكان يقع خارج قرطبة على نهر الوادى الكبير، بناها الامير عبدالله بن محمد فى موضع جميل .
(الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٨٧) .
(٢) ابن حيان : المقتبس ، ص ٢٠ - ٢٢ -
Abdurrahman Ali El-Hajji: Op. Cit., P. 81-81 -
(٣) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ٢٣ .

وفى السادس من ذى الحجة من عام ٣٦٠ هـ / ٩٧١م وفدت الراهبة البيرة عمة ملك ليون ردمير الثالث والوصية عليه والتى يسميها العرب (حلويره) ، بنت الملك ردمير وحاضنة الملك الجديد ردمير بن شانجة صاحب جليقية ، فاستقبلها الحكم المستنصر أعظم استقبال ، واحتفل بقدومها فى الزهراء احتفالا جليلاً ، وأمر بأن تحمل على بغلة فارهة بسرج ولجام مثقلين بالذهب وملحفه بديباج (١) .

وهكذا بالغ الخليفة الحكم المستنصر فى اكرام هذه الوفادات والحفاوة بهما رغم ان جميع تلك الوفادات كان أصحابها أعداء قدماء للخلافة الاسلامية منذ عهد ابيه عبد الرحمن الناصر ، وكان بامكانه ان يناصبهم العداء ويرفض سفاراتهم ، الا انه لم يتصرف معهم الا التصرف اللائق بمن كان فى خلقه وورعه وتقواه .

واستمرت الوفادات تفد عليه ، فوصل اسنة بن غرسيه بن شانجة الذى كان رهينة عند اخيه شانجه بن غرسيه صاحب بمبلونه Pampllona ثم وصل خميس بن ابى سليط صاحب قشتيله ، كما وصل ديدقة بن شبريط . وصحب هؤلاء النصارى بعض من القضاه والاساقفه الذين قاموا بالترجمة بينهم وبين الخليفة ، وقد استقبلهم جميعا بالاكرام ، وقبل وفادتهم وردهم الى بلادهم مكرمين (٢) . ولم تقتصر تلك الوفادات على الممالك

---

(١) ابن خلدون ، العبر ، جـ ٤ ، ص ١٤٦ - المقرى : المصدر السابق ، ص ٣٦١ .

(٢) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ٦٤ .

Abdurrahman Ali El-Hajji: Op. Cit., P. 86-87.

الاسبانية النصرانية بل هناك وفادات أخرى جاءت اليه تجديدا للعهود واكتسابا للمودة والصداقة . ومن أهم هذه الوفادات تلك التى وصلته من قسطنطين السابع امبراطور الروم ، ومن اوتو الثانى امبراطور المانيا الذى كان قد خلف اباه اوتو الأول يجدد علاقة المودة والصداقة التى بدأت بينه وبين أبيه عبد الرحمن الناصر . فتلقى الحكم المستنصر رسول كل منهما كعادته بالحفاوة والترحيب (١) .

وهذه السفارات انما تدل على ما وصلت اليه الخلافة الاسلامية فى الاندلس فى عهد الحكم المستنصر من قوة وعظمة وذيوع فى الصيت ، اذ استطاعت الاندلس فى عهده ان تبسط سيادتها على معظم انحاء اسبانيا ، كما ضمنت وكفلت الاستقرار والسكينة لها ولتلك الامارات الاسبانية النصرانية الغادرة .

ولم تكن عهود السلام التى عقدها الحكم المستنصر مع ملوك وامراء الاسبان النصارى تجعله يأمنهم ، لأن نقضهم للعهود اذا ما انسوا فى أنفسهم القوة امر تعود عليه امراء وخلفاء الاندلس ، ولأنه وهو بما جبل عليه من تمسك بالدين ومعرفة بطبائع هؤلاء الامراء لم يكن ليأمن الامن تبيع طلته وبينه . فلم يعقد الحكم المستنصر تلك المعاهدات ويستقبل أولئك الرسل الا حقنا لدماء المسلمين وتنفيذا للشريعة الاسلامية التى تنص على الجنوح للسلم ان جنح العدو له ، كما قال تعالى :

---

(١) محمد عبدالله عنان : المرجع السابق ، ص ٤٨٩ - ٤٩١ .

﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم ﴾ (١) .

ولكن الخليفة المسلم الحكم المستنصر استطاع بواسطة العيون والجواسيس الذين بثهم لمراقبة هؤلاء النصارى ان يتتبع حركاتهم وان يتصرف فى الوقت المناسب على استعداداتهم لشن حرب جديدة عليه وعزمهم على ان ينقضوا ما أبرموه معه من عهود وعقود ، فيبادر بشن الحرب عليهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

جـ - نقض ملوك وامراء الاسبان النصارى عهود السلام وعودتهم الى شن الغارات على الاراضى الاسلامية :-

بعد رحيل تلك الوفود التى قدمت على الخليفة المستنصر، وحينما كان الخليفة يعد للأمر عدته للحرب مع الفاطميين فى بلاد المغرب ، استغل النصارى ذلك الوقت وتلك الفرصة للخروج والتمرد عليه . ولكن الحكم المستنصر استطاع برغم انشغاله ان يعد للأمر عدته لقتالهم وتأديبهم . فهؤلاء النصارى وان اختلفت أوطانهم أمة واحدة ، نشأت على الغدر ، ونبتت على نقض العهود والخنوع والخضوع للقوى ، حتى اذا ما حانت أى بادرة ضعف أو انشغال استغلوها من فورهم لصالحهم وأغراضهم .

وفى عام ٣٦٠ هـ / ٩٧٤ م قام غرسيه بن فرنان جونثالث صاحب

---

(١) سورة الانفال : آية ٦١ .

قشتالة بالاغارة على أراضى المسلمين ، واقتحم بجيشه ديارهم ، ودخل حصن دسة الواقع شمال شرق مدينة سالم ، وقام باحراق المزروعات والاستيلاء على المواشى . ولكن المسلمين القريبين من تلك المناطق ردوهم ، واستردوا بعض ما استولوا عليه ، وكان هذا الاعتداء الآثم قد تم والوفود النصرانية لم تزل فى طريق عودتها الى ديارها .
حينذاك أدرك المستنصر خطة النصارى ومكرهم فى كسب الوقت والخروج والتآمر عليه ، فأمر بالقاء القبض على الرسل والزج بهم فى السجون معاقبة لهم على عدوان ملوكهم وأمرائهم . وعندما أحس المستنصر بتأهب الاسبان النصارى واستعدادهم للعدوان بعث فى طلب أكابر رجال دولته لحثهم على الاستعداد والتعبئة لاعلان الجهاد ضد المعتدين الغادرين ، فقدم اليه يحيى بن عبدالله بن يحيى فبعث به الى كور الجوف ، ثم وفد اليه امير البحر عبدالرحمن بن رماحس فبعث به الى كور الشرق ، وبعث باحمد بن محمد بن سعد الجعفرى الى كور الغرب ، بعد ان أوصاهم ، وأغدق عليهم المنح ، واكرمهم وبالغ فى الحفاوة بهم ، لما كان من عظيم شأنهم فى رد العدوان والذود عن الأوطان (١) .

وفى النصف من رجب من سنة ٣٦٤ هـ يقول ابن حيان : [توالت الأخبار باحتلال جيش العدو من المشركين أهلكهم الله فى جمع كثير من الجلالقة والبشكنس من أهل قشتيلة وبنبلونة ـ دمرها الله ـ بحصن

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٢١٨ .

غرماج من شطر مدينة سالم واحاطتهم غاريهن بذ متهم ناقضين لعهدهم] (١)

وبعد ذلك احاط المسلمون بهم ، واستطاعوا ان يستولوا على مافى أيديهم . وكان من نتيجة ذلك ان نشبت بين حامية المسلمين والنصارى حرب عنيفة ، وكان للامدادات السريعة التى وافت المسلمين أثرها فى شد ازرهم وتقوية عزيمتهم ، فلم يلبث الحكم المستنصر ان ارسل احمالا من المال بعثها مع الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرحمن وأمده بالعدد والعتاد ، وارسله الى اعداء الله ، واستمر حصار النصارى للحصن حتى شهر شوال . كما أمد النصارى بعضهم بعضا بالامدادات ، فوصل المدد من مملكة ليون ، ارسلته الراهبة البيرة . وهاجم النصارى المسلمين دفعة واحده ، وكانوا حوالى ستين الفا ، ونشبت بين الطرفين معركة حامية انتهت ولله الحمد بهزيمة النصارى وفقدانهم لمعظم مايملكون ، فقد انتصر المسلمون انتصارا باهرا وغنموا فيه الغنائم العظيمة وامتلكوا أراضى النصارى (١) .

وهكذا اذن الله لجنوده بالنصر ان هم اطاعوه ونصروه ، فكان نصرا مبينا لم يرجع النصارى بعده الى النكث فى عهد الحكم المستنصر . ولقد تنبه المسلمون بعد تلك المعارك والهجمات المفاجئة من جانب الاسبان النصارى الى ضرورة الاستعداد الدائم وتحصين الثغور والحصون بكل ما تحتاجه من عدة وعتاد .

---

(١) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ٢١٨ - ٢٢٢ .

وهكذا انتهت الحرب بنصر المسلمين واكرام القواد الذين استبسلوا في الذود عن أراضي المسلمين وعن أرواحهم . وصدق الله العظيم الذي قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

(١) سورة آل عمران : آية ٢٠٠ .

(٣) جهاد الحكم المستنصر ضد النورمان

أ ـ النورمان وغاراتهم على الاندلس قبل عهد الحكم المستنصر :

ان الباحث في موضوع غارات النورمان على الاندلس يجد ان هؤلاء الاقوام قد ذكروا بعدة اسماء منها : النورمان ، الأردمانيون ، الفيكنج ، المجوس . فلفظ النورمان من المرجح ان يكون محرفا من لفظ Northmen أي سكان الشمال ، وكذلك لفظ الأردمانيين بمعنى الشماليين ، فهي مشتقة من الكلمة اللاتينية Nordmanni وهذا اللفظ محرف من لفظ النوردمانيين وفقا لعادة الاندلسيين في قلب النون الى همزه ، مثل أربونة ونربونة [1] .

ومن الجدير بالذكر ان العرب قد عرفوهم بهذا الاسم ، وخير شاهد على ذلك ماجاء في اشعارهم عندما أغار هؤلاء الأقوام على الاندلس ، فنجد الشاعر الاندلسي عثمان بن المثنى يقول :-

يقولون ان الأردمانيين اقبلوا . فقلت اذا جاءوا بعثنا لهم نصرا [2]

وقد اطلق عليهم اسم الفيكنج (Vikings) بمعنى سكان الخلجان التي تمتاز بها شواطئ الجهات الشمالية الغربية من أوروبا [3] .

---

(١) السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس ، بيروت ، ١٩٦٩ ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ص١٥٢ .

(٢) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، تحقيق وتعليق شوقي ضيف ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ، جـ ١ ، ص٤٩ .

(٣) سعيد عبدالفتاح عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٧٢م ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الخامسة ، جـ ١ ، ص٢١٨ .

اما عن سبب تسمية العرب لهم مجوسا أى عبدة النار فلأنهم كانوا يشعلون النار فى الأماكن التى ينزلون بها ، فظن العرب انهم من عبدة النار (١) ، ومن المرجح ان هؤلاء الأقوام كانوا يعبدون النار قبل اعتناقهم النصرانية والدخول فيها (٢) .

وينتسب النورمان من الناحية الجنسية الى الجنس الآرى ، وينقسمون الى ثلاث مجموعات : السويديون ، النرويجيون ، والدانمركيون . وموطنهم الأول شبه جزيرة اسكنديناوة وشبه جزيرة جوتلند وما يجاورها من الجزر (٣) ، وهناك من يقول انهم من شواطئ المانيا الشمالية (٤) .

وبالنسبة لمعتقدهم الدينى فقد كانوا قبل اعتناقهم النصرانية وثنيين ، ومن آلهتهم (ادون) رمز الحرب والملاحم ، وكانوا مولعين بالحروب والخمور والنساء والنهب والسلب والقتل (٥) . وقد استمر هؤلاء المجوس على وثنيتهم حتى استطاع لويس التقى اغراء ملك النورمان باعتناق النصرانية سنة ٨٢٦ م (٦) .

وكان النورمان محاربين من الطراز الأول ، وكانت عدة المحارب منهم

---

(١) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية ، ص ١٥٢ .
(٢) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الاندلس ، ص ٢٦٢ .
(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور : أوروبا فى العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢٢٠ .
(٤) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص ٢٦١ .
(٥) هـ . أ . ل . فشر : تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى ، ترجمة محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العرينى ، دار المعارف بمصر ، ط ٥ ، ص ١١٥ .
(٦) سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ، ص ٢٤٦ .

تتكون من قباس وحربة طويلة ودرع من حديد [1] . وكانوا يخرجون في مجموعات من المراكب لا تقل عن أربعين مركبا ، وكانت مراكبهم تتصف بطولها وقلة عرضها وسرعة تحركها وخوضها البحار [2] .

وقد بدأت غارات النورمان منذ القرن الثالث الهجري م التاسع الميلادي على شواطئ فرنسا ومصب نهر اللوار والجارون حتى استطاعوا انشاء عدد من القواعد والمراكز لهم في تلك المناطق .

اما خروجهم وغاراتهم على شواطئ أوروبا الغربية فترجع الى عدة عوامل منها : ان بلادهم لكثرة الجبال والمستنقعات لا توجد بها الا سهول ضيقة لا يمكن استغلالها والاستفادة منها فاتجهوا لذلك الى البحر .

ولعل استبداد بعض زعمائهم وظلمهم لهم دفع بهم الى الهجرة الى بلاد أخرى ، كما ان تزايد عدد السكان أيضا اضطرهم الى الخروج من بلادهم ، والاغارة على شواطئ غرب أوروبا . ويمكن ان يضاف الى هذه العوامل عامل آخر هو حب المال والغنيمة عند الشعوب الهدائية ، والكوارث الطبيعية التي كانت كثيرا ما تقضي على المحصولات الزراعية ، وتجبرهم على الخروج والاغارة على الثغور المجاورة .

هذا ومن الناحية الاجتماعية والنفسية كان عامل الحسد عند

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ، ص ٢١٩ .

(٢) عبد الحميد الشرقاوي : الملاحة البحرية الاندلسية في القرنين الثالث والرابع الهجري ، القاهرة ، ١٩٣٥م ، رسالة ماجستير مقدمه الى كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ص ٣٥ - ٣٦ .

الشعوب المتأخرة البدائيه يدفعها الى الاغارة على هذا النحو المخرب والمدمر للشعوب الأكثر منها تحضرا ورقيا (١) .

وفى أوائل القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى وصلت حملات المجوس الى شواطئ بلاد الفرنج (فرنسا) ، ثم تسربت مجموعة أخرى من هؤلاء الى غرب فرنسا ، فغزوا مصب نهر اللوار والجارون وأقاموا لهم هناك عدة مراكز ، ثم أخذوا يتطلعون الى اسبانيا أو الى الاندلس بنوع خاص وذلك لما اشتهرت به هذه البلاد من الخيرات والخصب والغنى والثراء مما اثار اطماع هؤلاء الغزاة المغامرين ، فهبوا اليها سراعا (٢) ، وبدأت غاراتهم على شواطئ بلاد الاندلس على سواحل اشتريش الشمالية فنزلوا بالساحل عند بلدة جيحون ، ونهبوا اقليمها ، فتصدى لهم ملك اشتريش (رذمير) وأجبرهم على الرجوع ، فلجأوا مضطرين الى ماتبقى لديهم من مراكبه ، وساروا باتجاه الساحل الغربى والجنوبى للاندلس ، وظهروا امام اشبونة (٣) مرة أخرى ، وفى أول ذى الحجة

---

(١) سعيد عبدالفتاح عاشور : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٠ - فشر : المرجع السابق ، ص ١١٨ - عبدالحميد الشرقاوى : المرجع السابق ، ص ٣٥ .

(٢) محمد عبدالله عنان : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٦٢ .

(٣) من كور باجه المختلطه بها ، وهى مدينة قديمة تقع على سيف البحر وسورها رائع البنيان وبابها الغربى من أكبر أبوابها وبابها القبلى يسمى بباب البحر والشرقى بباب الحمة . والمدينة ممتدة مع النهر وبها قصبة منيعة وهى مدينة لشبونه الحالية عاصمة البرتغال والعرب حرفوا اسمها الى اشبونه .
(الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٦) .

عام ٢٢٩ هـ / ٨٤٤ م . ولم تكد طلائع النورمان تظهر مرة أخرى أمام أشبونه حتى وصل كتاب وهب الله بن حزم عامل الامير عبد الرحمن الأوسط على أشبونه يذكر فيه : انه حل بالساحل أربعة وخمسون مركبا من مراكب النورمان ومعها خمسون قاربا . فأمر الامير عبد الرحمن عماله على السواحل بالتحفظ والاحتياط ، ولبث النورمانيون فى مياه اشبونة ثلاثة عشر يوما ، اشتبكوا فيها مع المسلمين فى عدة وقائع ، ثم اتجهوا بأسطولهم جنوبا الى مدينة قادس . ثم الى مدينة شذونة . ثم الوادى الكبير ثم مدينة اشبيليه . وكانت اشبيليه فى ذلك الوقت دون أسوار تحيط بها وتحميها من الاعتداءات ، فكانت مفاجأة مروعه ومذهله لسكانها ، ثم اتجه النورمان بعد ذلك الى طلياطه (١) ، حيث وقعت بينهم وبين الاندلسيين بضع معارك محلية تفوق فيها الغزاة وانتصروا (٢) .

وفى الخامس والعشرين من صفر سنة ٢٣٠ هـ نشبت بين الفريقين معركة كبيرة فاصله ارتد فيها النورمانيون ، وتحصنوا بسفنهم ، ثم هاجموا مدينة لبله (٣) حتى وصلوا الى ثغر اشبونه ، ثم غادروا مياه الاندلس مع سفنهم المتبقية . ورأى المسلمون فى هذه المعارك البحرية والبريه شدائد عظيمة يصفها لنا ابن عذارى فى البيان المغرب وصفا

---

(١) مدينة بالاندلس بينها وبين اشبيليه عشرون ميلا .
(الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٢٨) .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٨٧ .

(٣) مدينة قديمة فى غرب الاندلس تبعد عن طلياطه عشرين ميلا ، وهى مشهوره بكثرة ثمارها وحسنها .
(الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٦٩) .

دقيقا ، فيقول : [فخرج المجوس فى نحو ثمانين مركبا كأنما ملأت البحر طيرا جونا [1] . كما ملأت القلوب شجوا وشجونا ، فحلوا بأشبونة ، ثم اقبلوا الى قادس ثم الى شذونه ثم قدموا على اشبيليه فاحتلوا بها احتلالا ، ونازلوها نزالا الى ان دخلوها قسرا واستأصلوا أهلها قتلا وأسرا . . .] [2] .

ولم يستمر وجود النورمان فى اشبيليه الا اثنين وأربعين يوما ، اما مدة اقامتهم فى الاندلس منذ ظهورهم امام اشبونه فى ذى الحجه سنة ٢٢٩ هـ حتى خروجهم منها فبلغ نحو مئة يوم . وبعد خروجهم ارسل الأمير عبد الرحمن الاوسط الرسل يحملون الرسائل الى مدينة طنجه ، يبشر فيها رجال قبيلة صنهاجه اتباعه بما كان من عون الله لهم فى المجوس وبما انزل الله فيهم من النقمة والهلكه . كما بعث اليهم برأس أمير المجوس وبمائتى رأس من أعوانه [3] .

أ - الاهتمام بالاساطيل البحرية :

لم يكن المسلمون عند افتتاح الاندلس يملكون اسطولا بحريا ، بل لم يفكروا فى انشائه وقتذاك بسبب انشغالهم بالثورات الداخليه وبالحروب مع الممالك الاسبانية النصرانيه . ويعتبر الأمير عبد الرحمن الأوسط أول أمراء بنى أمية فى الاندلس الذى فكر فى حاجة المسلمين

(١) يقصد الاشاره الى أشرعة مراكب المجوس وكانت سودا" .
(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٨٧ .
(٣) عن تفاصيل هذه الغاره انظر ابن عذارى : البيان المغرب ، ص ٨٧ - ٨٨- ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ٥ ، ص ٢٧٢ .

الى اسطول بحرى منظم يساعدهم على صد الهجمات خصوصا بعد غزو النورمان لبلاده سنة ٢٢٩ هـ - ٢٣٠ هـ ، اذ أدرك مدى حاجة بلاده للأسطول (١) . كما أمر بانشاء مراقب ومحارس على طول الساحل المطل على المحيط ، وشحنها بالمرابطين الذين كانوا على أتم استعداد لمراقبة سواحلهم مراقبة جيدة ومعرفة الاخبار والتخطيط لأى هجوم .

كذلك دعت هذه الغارة النورمانيه حكومة الاندلس الى الاهتمام بالبحرية ، وذلك بانشاء دور لصناعة السفن ، لتزويد البلاد بأعداد كبيرة من السفن لمواجهة أى غارة بحرية ، فأمر الأمير عبد الرحمن باقامة دار صناعة بأشبيليه لانشاء المراكب ، واستعد برجال النفط . وليس معنى هذا ان الاهتمام بالبحرية اقتصر على تلك الفترة فقط بل كان موجودا منذ أيام الامير الحكم الربضى ، ولكن عهد الامير عبد الرحمن الاوسط شهد الاهتمام ببناء البحرية الاسلامية فى الاندلس وتنظيمها لخدمة الاغراض الحربية البحرية دائما (٢) .

ولم يكد يمضى على غزوة النورمان الأولى فى عهد عبد الرحمن الاوسط خمس عشرة سنة حتى تعرضت الاندلس لغزوة نورمانية جديدة فى عهد ابنه الامير محمد ، الذى كان يتوقع غزوهم لبلاده مرة أخرى بعد وفاة ابيه عبد الرحمن سنة ٢٣٨هـ ، فأعد للامر عدته . واستعد لصدهم

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه ، ص ٣٣ .
(٢) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية ،ص ١٦٠ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ٢٣٧ .

والوقوف فى وجههم ، فأقام سياجا ضخما من الوحدات المقاتله التى تتحرك باستمرار ولا تقف عن التجوال فى سواحل افرنجة المطلة على المحيط الى سواحل جليقية بقصد ترقبهم أو وصول سفنهم اليها .

ويجمع المؤرخون على ظهور النورمان امام شواطئ الاندلس عام ٢٤٥ هـ(١) . ولكن ابن عذارى يرى ان خروجهم كان فى عام ٢٤٠ هـ ، فيقول فى هذا الصدد : [خرج المجوس أيضا الى ساحل البحر بالغرب فى اثنين وستين مركبا ، فوجدوا البحر محروسا ومراكب المسلمين معدة تجرى من حائط افرنجه الى حائط جليقية فى الغرب الاقصى ، فتقدم مركبان من مراكب المجوس فتلاقت بهم المراكب المعدة ، فوافوا هذين المركبين فى بعض كورباجة ، فأخذوهما بما كان فيهما من الذهب والفضة والسبى والعدة ، ومرت سائر مراكب المجوس فى الريف حتى انتهت الى مصب نهر اشبيلية فى البحر] (٢) .

والمتأمل لرواية ابن عذارى يلاحظ ان أهل الاندلس فى هذه المرة كانوا على أتم استعداد وأهبته لمقابلة العدو ، وانهم كانوا يراقبون السواحل مراقبة دقيقة ، بل انطلقت سفنهم الى اشتريش لتراقب النورمان عند خروجهم من شواطئ فرنسا لتتصدى لهم قبل توغلهم الى الجنوب . وبهذا نستطيع أن نقول بأن الغزوة النورمانيه الاولى لم تذهب سدى ، بل أدت الى دراسة متأنيه ودقيقة ، استطاع بها الاندلسيون ان يحددوا

---

(١) السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية ، ص ١٦٢-١٦٣ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ٩٦ .

المناطق التى يأتى منها النورمان ، فيحكموا مراقبتها بوضع العيون الساهرة فيها .

ويواصل ابن عذارى وصفه لهذه الغارة بقوله : [وتقدمت المراكب من مصب نهر اشبيليه حتى حلت بالجزيرة الخضراء(١) ، فتغلبوا عليها وأحرقوا المسجد الجامع بها ثم جازوا الى العدوه(٢) ، فاستباحوا اريافها ، ثم عادوا الى ريف الاندلس ، وتوافوا بساحل تدمير(٣) ، ثم انتهوا الى حصن اوريوله (٤) ، ثم تقدموا الى افرنجه فشتوا بها ، واصابوا بها الذرارى والأموال وتغلبوا بها على مدينة سكنوها ، فهى منسوبة اليهم الى اليوم حتى انصرفوا الى ريف بحر الاندلس ، وقد ذهب من مراكبهم أكثر من أربعين مركبا ، ولقيهم مراكب الامير محمد ، فأصابوا منها مركبين بريف شذونة ، فيهما الأموال العظيمة ومضت بقية مراكب المجوس] (٥) . وينقل لنا عبدالرحمن الحجى عن ابن حيان خبر هجوم ثالث للنورمان على الاندلس فى عام ٢٤٧ هـ . فيذكر لنا انه خرج فى هذه السنة ستون مركبا للنورمان فوجدوا البحر محروسا ، فتابعوا سيرهم حتى انتهى بهم الابحار الى مصب نهر اشبيلية ، عندها قام الأمير

---

(١) الجزيرة الخضراء ويقال لها جزيرة ام حكيم وهى جاريه طارق بن زياد مولى موسى بن نصير ، وهى على ربوة مشرفه على البحر سورها متصل به وشرقها خندق وغربها اشجار وانهار ، وسورها من الحجارة وفيها جامع فى وسط المدينة .
(الحميرى : الروض المعطار ، ص ٧٢ - ٧٣) .
(٢) وهى العدوه المغربيه .
(٣) من كور الاندلس سميت باسم ملكها تدمير .
(الحميرى : المصدر السابق ، ص ٦٢) .
(٤) حصن بالاندلس وهو من كور تدمير ، وهى مدينة قديمة كانت قاعدة العجم .
(الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٤) .
(٥) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٩٧ .

محمد بتجريد الجيوش واخراج القواد لطردهم عن الاندلس . وبعد هذا الهجوم الذى كان عام ٢٤٧ هـ توقف النورمان عن أية غارة على الاندلس مدة تزيد على قرن أى حتى أوائل النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، حيث عادوا بعدها للهجوم ثانية على الاندلس فى السنوات الآتيه : ٣٥٥ هـ ، ٣٦٠ هـ ، ٣٦١ هـ ، وهذا ما سنفصل الحديث عنه فى الصفحات التالية[1] .

كان لغارات النورمان على الاندلس آثار هامة جدا ، فقد نبهت المسلمين لاتخاذ استعدادات هامة لمجابهة الغزوات البحرية أو البرية منها :-

١ - تحصين السواحل التى يمكن ان يطرقها الغزاة الشماليون من الغرب أو الجنوب الغربى ، واعدادها بوسائل الدفاع ، واصلاح ما خربه النورمان فى غزواتهم الأولى . كما قاموا بتجهيز مدينة اشبيليه بالجند والعتاد للمحافظة عليها ، وذلك فى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط .

٢ - بناء سور من الحجاره حول مدينة اشبيليه ، واعادة بناء جامعها بشكل بديع وله مئذنة جميلة شامخة .

---

(١) عبد الرحمن الحجى : تاريخ الاندلس منذ الفتح الاسلامى حتى سقوط غرناطه ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، دمشق ، دار العلم - الكويت ، دار القلم ، الرياض ، دار القلم ، ص ٢٣٩ -(نقلا عن ابن حيان : المقتبس ، ص ٢٣ - ٢٤) .

٣ - نمو البحرية الاندلسية نموا سريعا وقويا ، فعجز عن الوقوف أمامها النورمان في هجومهم الثاني ، ومنوا بخسائر فادحة ، وأصبح الاسطول الاندلسي بعد زيادة قطعه على أهبه تامة لرد أي هجوم بحرى .

٤ - وللمحافظة على الاسطول الاندلسي واستمرار حفظ قوته انشئت دور للصناعة ، أشهرها دار الصناعة باشبيليه لبناء المراكب والسفن الحربية الكبيرة وأصبحت اشبيلية منذ ذلك الحين الميناء الأول في الاندلس ، ثم انشئت دار أخرى لصناعة المراكب في قرمونه (١) .

٥ - قيام الامير عبد الرحمن الاوسط بتزويد الاسطول الاندلسي بالرجال المدربين وتشجيعهم على العمل في المراكب باجزال العطاء لهم وتزويدهم بالآلات الحربية اللازمة والاسلحة النفطيه .

٦ - اقامة المعاقل على امتداد الشواطئ على مسافات متقاربة للاستعداد في حالة هجوم مفاجئ ، وخصص الامير عبد الرحمن الاوسط للمعاقل المشيده على السواحل قوادا مهرة لمساعدة القوات البحرية في مناطقهم ، وأمرهم بالتعاون ضد أي هجوم .

وقد أثارت هذه الاحتياطات والاستعدادات في نفوس المجوس رعبا وخوفا دفعهم الى الابتعاد عن غزو شواطئ الاندلس وعدم الاقتراب

---

(١) مدينة بالاندلس في الشرق من مدينة اشبيلية وهي مدينة كبيرة وقديمة . (الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٥٨) .

منها لمدة طويلة جدا (١) .

وواصل أمراء الاندلس بعد الامير محمد بن عبد الرحمن عنايتهم بالبحرية ، كما اهتموا بها وبانشاء اسطول قوى فى الحوض الغربى للبحر الأبيض المتوسط لدفع الاخطار الخارجية التى يمكن ان تتعرض لها الاندلس سواء أكانت من النورمان أو من الفاطميين ببلاد المغرب . ويذكر ابن خلدون ان اسطول الاندلس انتهى فى ايام الناصر الى مائتى مركب أو نحوها ، وكذلك اسطول المغرب (٢) . ويعتبر عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر عهد نشاط حركة انشاء السفن وصناعتها . فلقد نشطت نشاطا ملموسا واسعا اذ انشأ عددا كبيرا من دور الصناعة فى المريه والجزيرة ، واستخدم أجود أنواع الخشب لاعداد اسطول ضخم قوى يستطيع ان يدفع به الاخطار الخارجيه المحيطة بالاندلس ، فأصبح الاسطول فى عهده من أقوى وأضخم الأساطيل ، يسيطر على مياه الاندلس الجنوبية والشرقية ، كما يهدد سيادة الفاطميين فى الحوض الغربى من البحر الأبيض المتوسط . واعتبر ميناء المريه من أهم موانى الاندلس فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، لاتساع خليجه الذى كان يضم معظم وحدات الاسطول ، ومنه تبحر المراكب واليه تعود . وتقوم دار صناعتها بعمل جميع الأجهزة والالات اللازمة لقطع الاسطول (٣) .

---

(١) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٦٤ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ٢٣٧ - عبد الحميد الشرقاوى : الملاحه البحرية فى الاندلس ، المرجع السابق ، ص ٣٥ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية ، ص ١٧٤ (نقلا عن ابن خلدون : المقدمه ، جـ ٢ ، ص ٦٢٩) .

(٣) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية ، ص ١٧٥ - ١٧٦ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينه المريه ، ص ٣٦ .

ب ـ غارات النورمان على الاندلس
في عهد الخليفة الحكم المستنصر :-

زادت قطع الاسطول الاندلسي كما ذكرنا في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر الى مائتي سفينة ثم الى ثلثمائة ثم تضاعف عددها في بداية عهد الخليفة الحكم الى ستمائة جفن [1] بدون غزوى وغيره .
وكانت معظم وحدات الاسطول الاندلسي مستقرة في ميناء المريه لمواجهة أي خطر يحيق بالاندلس .

لقد عمل الحكم المستنصر منذ توليه الخلافة على تدعيم القواعد البحريه ، لتكون على أتم استعداد واهبة لرد أي هجوم أو اعتداء على الاندلس وسواحلها . ويروى ان ريكارد و الاول زعيم النورمان قد أمر اسطوله بالتوجه نحو اسبانيا ، فخرجت المراكب على شكل مجموعات واتجهت الى السواحل الغربيه الاسبانيه ، ولكن الاندلسيين كانوا لهم بالمرصاد لوجود الحراس والمراقبين الذين يرقبون ويرصدون أحوالهم ويرسلون بها الى الخليفه . كما ان الحكم المستنصر تحالف مع بعض حكام الاسبان في غرب جليقيه ليكونوا له عينا على المجوس ورصد تحركاتهم [2] .

(١) وجمعها اجفان وهي سفينة حربية بطيئة الحركة لكبر حجمها .
(سعاد ماهر : البحرية الاسلامية وآثارها الباقية ، جده ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م ، دار المجمع العلمي بجده ، ط ٢ ، ص ٣٣٦) .
(٢) احمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والاندلسي ، بيروت ، ١٩٧٢ م ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ص ٤٢٩ .

ويروى لنا ابن عذارى ان الخليفة الحكم المستنصر أمر [باقامة الاسطول بنهر قرطبة ، واتخاذ المراكب على هيئة مراكب المجوس (اهلكهم الله) تأميلا لركوبهم اليها .] [١] . والحقيقة ان كل شىء كان معدا لدرء أى هجوم ، واحباط أى خطر يخطط له المجوس . ففى سنة ٣٥٥ هـ قدمت سفن المجوس الى مياه غرب الاندلس ، وفى هذا الصدد يقول ابن عذارى : [وفى أول رجب منها ورد من قصر ابى دانس[٢] طى المستنصر بالله يذكر فيه ظهور اسطول المجوس ببحر الغرب بقرب من هذا المكان ، واضطراب أهل ذلك الساحل كله لذلك ، لتقدم عادتهم بطروق الاندلس من قتله فيما سلف ، وكانوا فى ثمانية وعشرين مركبا ، ثم ترادفت الكتب من تلك السواحل بأخبارهم ، وأنهم قد أضروا بها ، ووصلوا الى بسيط اشبونه فخرج اليهم المسلمون ، ودارت بينهم حرب ، استشهد فيها من المسلمين وقتل فيها من الكافرين . وخرجت اسطول اشبيليه ، فاقتحموا عليهم بوادى شلب وحطموا عده من مراكبهم . واستنقذوا من كان فيها من المسلمين ، وقتلوا جملة من المشركين ، وانهزموا اثر ذلك خاسرين ، ولم تزل اخبار المجوس تصل الى قرطبه فى كل وقت من ساحل الغرب الى أن صرفهم الله تعالى] [٣] .

وبعد هذا الانتصار الذى حققه المسلمون على المجوس أمر الحكم

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٣٩ .
(٢) ثغر يقع بغربى بلاد الاندلس .
(الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٦١) .
(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ٣٣٩ .

المستنصر قواده بالاستعداد والأهبه خوفا من هجوم آخر مباغت ، وقد كانت مخاوفه فى محلها فلم تمض خمس سنوات على ذلك الهجوم الاول حتى كان هجوم آخر لهم فى سنة ٣٦٠ هـ ، اذ ورد كتاب الى الخليفة يحمله رسول من القومس غند شلب يخبره فيه بنزول النورمان بجليقيه وانصرافهم مهزومين (١) . عند ذلك أعد المستنصر عدته ، فانفذ مبارك ومبشرا وهما من رجاله الى كوره ريه وشذونه لشحن الاطعمة منها وارسالها الى الاسطول فى اشبيليه (٢) . وفى أواخر شهر رمضان سار القائد عبد الرحمن بن رماحس قائد اساطيل الاندلس من المريه ليتوجه الى البحر الشمالى الذى ظهر فيه النورمان .. وما ان وصل ابن رماحس باسطول المرية الى اشبيليه حتى بدأ استعداده التام لملاقاة النورمان وحربهم ، ولكن الاخبار كانت قد وردت بعودة سفن النورمان بعد أن تأكد لديهم قيام المسلمين لحربهم ، وخروجهم لهم بالقوة والعدة ، فرجع ابن رماحس مرة أخرى (٣) . وفى ذلك يقول ابن حيان : [وفى يوم الاثنين لاربع بقين من ذى القعده منها وافى الخبر باقلاع صاحب الشرطة العليا قائد البحر عبد الرحمن بن محمد بن رماحس من مدينة اشبيليه بالاسطول منصرفا الى المريه ، عاقا عن اجرائه الى جهة المجوس والظاهرين فى البحر الشمالى ، اذ وردت الانباء وتوالت بهزيمتهم وهربهم بعد اقدامهم وتلجيجهم فى البحر الشمالى لا يلوون على شئ بحسن دفاع الله

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ص ٢٧ .
(٢) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ٢٨ .
(٣) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ٥٨ .

عن المسلمين ، اذ اتصل بهم وصح لديهم صد الخليفه المستنصر لحربهم ، ونصبه التدبير عليهم ، وتجريده القائد الوزير غالب بن عبد الرحمن مدبر حروبه نحوهم ، وقصدهم في البر ، ونهوض القواد بالاساطيل الى ناحيتهم ، وتحريكه نحوهم الجنود الحسنه ، والاساطيل الثقيلة التي لم يجد أعداء الله عند سماعهم بها من نفوسهم معينا على التعرض لملاقاتها ، والانبساط في السواحل التي احسوا بهم فيها ، فولوا على أعقابهم ناكصين ، ومما رجوه من انتهاز فرصه من المسلمين خائبين ، ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ، وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [(١) .

هكذا أوجس النورمان خيفه بعد علمهم بمدى استعداد الخلافة الاندلسيه لهم ، وتم بفضل الله صرفهم بعد ان ألقى الرعب في قلوبهم ، وعاد رجال المستنصر الى قرطبة لمقابلته وتبشيره بما فتح الله عليهم ومما تم لهم من نصر وظفر على اعدائه ، فأكرمهم ، وخلع عليهم الخلع ، وانطلقوا الى أماكنهم محمودا ومشكورا سعيهم (٢) .

وفي سنة ٣٦١ هـ استدعى الخليفة الحكم المستنصر الى مجلسه الخاص كبار رجال دولته وحماتها ، وأمرهم بالاستعداد والتأهب للخروج الى المجوس لما يتوقع منهم من مباغته وهجوم ، فاستعد الرجال لذلك ، وانطلقوا مغمورين بالهدايا والخلع ، تحفهم الدعوات والضراعة الى الله في رجوعهم منتصرين (٣) . ولكن الجيش الهمام عادة مرة أخرى من حيث

---

(١) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ٥٨ .
(٢) ابن حيان : نفس المصدر ، ص ٦٦ .
(٣) ابن حيان : نفس المصدر ، ص ٧٨ .

أتى ، لأن النورمان قد نكصوا على أعقابهم عند سماعهم بخروج المسلمين .
وللمرة الثانية يعود الجيش الاندلسى المسلم دون لقاء مع النورمان
- اهلكهم الله - بعد ان يقرروا الانسحاب والرجوع خوفا من قوة
المسلمين . وكان لحسن اعداد الحكم المستنصر فى رسم خططه وفى
بث العيون والجواسيس لمعرفة اخبارهم كل الخير فى نكوص اعداء الله
وفى عودة جيش الاسلام منتصرا بعد أن كفى الله المؤمنين القتال ،
وكان الله رؤوفا رحيما بعباده الصالحين (١) .

هكذا عشنا مع المجوس فى موطنهم الأول ، وعرفنا أصلهم وسبب
تسميتهم ، وواكبناهم فى غاراتهم ، ورأينا العوامل التى تضافرت لخروجهم
من موطنهم الاصلى وتوجههم نحو بلاد الاندلس ، فنزلوا فى مدنها
واستباحوها فى زمن الأمير عبد الرحمن الاوسط ، وحاولوا اعادة الكرة
فى زمن ابنه الامير محمد ، ولكنهم لم يحققوا النجاح الذى حققوه
فى المرة الاولى لأن أهالى الاندلس لم يتركوا الهجمة الاولى دون
دراسة وتحليل ، فاستطاعوا الوصول الى العلاج المناسب ، وهو انشاء
الاسطول الاندلسى القوى الذى أخذ يلعب دورا هاما فى حراسة
الشواطئ الاندلسية ، حتى بلغ فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر
زهاء مائتى سفينة . كما تابع الخليفة الحكم المستنصر جهود ابيه
من حيث الاهتمام بأمر الاسطول والقيام بالحراسة التامة للشواطئ
الاندلسيه عن طريق بثه العيون والجواسيس لمعرفة اخبار النورمان

---

(١) ابن حيان : نفس المصدر السابق ، ص ٩٣ .

وتتبع حركاتهم ، حتى استطاع ان ينزل بهم الهزائم ، وان يدب الرعب في قلوبهم ، فصاروا يحسبون لدولة الاسلام ألف حساب ، وأصبحوا ينكصون عن الخروج عليهم لعلمهم بتفوقهم وقوتهم عليهم . وهكذا استطاع الخليفة الحكم المستنصر ان يعد للأمر عدته ، وأن يكبح جماح عدوه ، وجعله مستصعبا خروجه وحربه مع دولة الخلافة في الاندلس . وهذا بطبيعة الأمر يمثل قصة انتصاره عليهم ، ومكانة وعظمة دولة الاسلام في الاندلس ومدى ماوصلت اليه في عهد الحكم المستنصر .

* *

الفصل الثالث

النزاع على المغرب الأقصى بين الحكم المستنصر والفاطميين

١ ـ النزاع بين عبد الرحمن الناصر وخلفاء الفاطميين على المغرب الأقصى .

٢ ـ النزاع على المغرب الأقصى بين الحكم المستنصر والمعز لدين الله الفاطمي .

٣ ـ الحكم المستنصر يقضي على محاولة آخر امراء الادارسة الحسن ابن قنون في استعادة نفوذ الادارسة على المغرب الأقصى .

(١) النزاع بين عبد الرحمن الناصـــر
وخلفاء الفاطميين على المغرب الاقصى

لم يشعر الأمويون فى الاندلس بالراحة والاستقرار بعد قيام الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب . فقد كانت هذه الدولة تشكل خطرا كبـــيرا على دولتهم ، فمنذ خلافة عبيد الله المهدى أول خلفائهم أخـــــذ الفاطميون يرنون بأبصارهم الى مصر والى الاندلس . وقد اقلق نجـــاح الفاطميين فى اقامة دولتهم فى بلاد المغرب وفرض سيادتهم ومذهبهم الشيعى على معظم بلاد المغرب أقلق الدولة الاموية فى قرطبة وخصوصا لأن العدوة المغربية تعتبر قاعدة الاندلس الأولى وخط دفاعها ومطمعـــا لجميع الثائرين عليها والطامعين فيها سواء كانوا من داخل الاندلـــس أو من المغرب . فمن العدوة المغربية تطلع الفاطميون الى نشر التشيع فى الاندلس توطئة لغزوها ، كما تطلعوا فى نفس الوقت الى مصـــــر باب المشرق الاسلامى وذلك لتحقيق هدفهم الرئيسى وهو تحقيق وحدة العالم الاسلامى مشرقه ومغربه فى ظل خلافتهم التى كانوا يرون أحقيتهـــا فى حكم المسلمين دون الخلافتين العباسية فى المشرق والأموية فى الاندلس . وبشعوره بأهداف السياسة الفاطمية فى العدوة المغربية حرص عبد الرحمن الناصر منذ توليه امارة الاندلس ثم بعد تلقبه بالخلافة على وجـــــه التخصيص على التصدى لأطماع الفاطميين فى رأس العدوة المغربية ، فقرر منذ توليه امارة الاندلس الاهتمام بالاسطول واعداده حتى توفر لديـــه اسطول بحرى قوى وأمر بفرض حراسة مشددة على مضيق جبل طـــارق

لمنع وصول امدادات الفاطميين الى الثائر عليه ابن حفصون (١) . ولم يكتف عبد الرحمن الناصر بذلك بل عمل على تحصين سواحله وثغوره ولا سيما في المنطقة الجنوبية التي كانت معرضة لهجوم الفاطميين من المغرب . ولقد حرص على ان يشرف بنفسه على الاعمال الدفاعية سواء كانت في جزيرة طريف (٢) أو الجزيرة الخضراء ، لانهما كانتا مفتاح الاندلس من العدوة المغربية ، ثم انتقل بعد ذلك للاستيلاء على الثغور المغربية المطلة على الضيق فقام في عام ٣١٤ هـ / ٩٢٧ م بالاستيلاء على مدينة مليلة ، وبنى سورها وجعلها معقلا ومقرا لموسى بن أبى العافيه الذى دخل في طاعته ، وخلع طاعة الفاطميين . ولم يكتف بذلك بل نجده في عام ٣١٩ هـ / ٩٣١ م يستولى على مدينة سبتة من ولاتها البربر

---

(١) هو اخطر ثائر عرفته الاندلس منذ الفتح وكانت ثورته تمثل اخطر العناصر التي لا تدين بالولاء لحكومة قرطبة وفي مقدمتها طائفة المولدين التي ينتمي اليهم ، وهم من سلالة القوط والنصارى الاسبان الذين اسلموا منذ الفتح ، وكانت طائفة المولدين تتعاون مع زملائها الاسبان النصارى . ولقد اعتبر يوم وفاته فاتحة اقبال وطالع سعد للمسلمين ، وتنفست حكومة قرطبة بعد ان شغلها زهاء ثلاثين عاما وكانت وفاته سنة ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م .
(للمزيد من التفاصيل انظر : محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٨٢) .

(٢) مدينة صغيرة عليها سور تراب ويشقها نهر صغير ، ومن جزيرة طريف الى الجزيرة الخضراء ثمانية عشر ميلا . وهو خليج يتبين للناظر ماخلفه .
(الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٢٧) .
اما المقرى فيقول فيها :-
اما جزيرة طريف فليست بجزيرة وانما سميت بذلك للجزيرة التي امامها في البحر مثل الجزيرة الخضراء ، وطريف المنسوب اليه من موالي موسى ابن نصير يقال ان موسى بعثه الى اسبانيا لاستكشاف أحوالها قبل قدوم طارق بن زياد فنزل هذه الجزيرة .
(المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٥٢) .

بنى عصام خلفاء الفاطميين ، ويعمل على تحصينها والاهتما بها لأنهـــا مفتاح المغرب والاندلس أيضا . ثم انتقل الى مدينة طنجة وكان يسكنها الاشراف الحسينيون (الادارسة) بزعامة أبى العيش احمد بن القاسم بن قنون ، وكان أحمد هذا فقيها ورعا فخلع طاعة الفاطميين وانضم الى الامويـــين ، فأمره عبد الرحمن الناصر بالتنازل عن طنجة ليضمها الى سبتة فرفض ، فأرسل له اسطولا ضخما فوافق على ضمها له ، وبقى ابو العيش مع اخوته وبنى عمه من الادارسة بمدينة البصرة(١) واصيلا (٢) تحت بيعة عبد الرحمن الناصر . وكانت قوات عبد الرحمن الناصر فى ذلك الوقت على حد قول السلاوى [تجيز من الاندلس الى العدوة ، يقاتلون من خالف الادارسة من البربر ويستألفونهم ، والناصر مد لمن عجز منهم برجاله مقو لم ضعف بماله حتى ملك اكثر بلاد المغرب وبايعته قبائله من زناتة والبربر ، وخطب له على منابر من تاهرت الى طنجة] (٣) .

---

(١) أسست البصرة فى الوقت الذى أسست فيه (اصيلا) وعلى ثمانية اميال منها جبل يقال له صرصر . كان كثير المياه والثمار يسكنه معمود ، وأول من ملكها ابراهيم بن القاسم بن ادريس نحو أربعين سنة .
(ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٣٥) .

(٢) تعتبر من المدن القديمة التى تقع على ساحل بحر العرب ، وهى مدينة ساحلية (كانت مدينة للاوائل) ثم تقلب عليها البحر ثم بنيت بعد ذلك ويقال ان سبب بنائها أن المجوس خرجوا فى مرساها مرتين الاولى زاعمين ان لهم بها أموالا وكنوزا ، والثانية ان الريح قذفت بها اليهم ، حتى انه بها بابا يعرف بباب المجوس وأول من ملكها قبائل لواتة .
(ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٣) .

(٣) السلاوى : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، تحقيق ولدى المؤلف الاستاذ جعفر الناصرى ومحمد الناصرى ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤م ، مطبعة دار الكتاب ، جـ ١ ، ص ١٩٦ .

وهكذا استطاع عبد الرحمن الناصر ان يبسط سيادته على مضيق جبل طارق عن طريق احتلال القواعد الرئيسية الهامة مثل سبتة وطنجة ومليلة لكي يتدخل في سياسة المغرب باثارة قبائله ضد الدولة الفاطمية[1] ، ونتيجة لاستيلائه على تلك المواقع المهمة قام زعماء البربر بالتقرب منه والدخول في طاعته حتى امتدت دعوته الى فاس . ولم تقتصر دعوته على المدن التي استولى عليها بل نجد ان أمير مكناسة موسى بن ابي العافية يطلب الانضمام اليه والانضواء تحت لوائه ، فأجابه عبد الرحمن الناصر الى طلبه[2] . وكرد فعل لما فعله عبد الرحمن الناصر قام عبيد الله المهدي بتجريد حملة لبلاد المغرب الاقصى للقضاء على دعوة الامويين بها ، وكانت بقيادة عامله على تاهرت حميد بن يصال ، وكانت بينهم حرب سجال ، ولكن هذا الجيش هزم على يد موسى بن ابي العافية سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣م . وفي عام ٣٢٢ هـ وبعد وفاة عبيد الله المهدي وخلفه ابنه أبو القاسم الذي واصل سيرة ابيه في التصدي لنفوذ الأمويين في المغرب الاقصى ، فجرد أبو القاسم حملة أخرى بقيادة ميسور الصقلبي الذي استطاع ان يفرض الحصار على موسى بن ابي العافية ويطارده حتى الصحراء وبعد ذلك استولى الادارسة حلفاء الفاطميين على

---

(١) احمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ، الاسكندرية ، موسسة الثقافة الجامعية ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة ، بيروت ، ١٩٨١م ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ص ٢٨٧ - صابر دياب : سياسة الدولة الاسلامية في حوض البحر المتوسط من أوائل القرن الثاني للهجرة حتى نهاية العصر الفاطمي ، القاهرة ، ١٩٧٣ م ، الطبعة الاولى ، عالم الكتب ، ص ١١٧ .

دولته .(١)

ولقد حرص كل من الأمويين والفاطميين على محاولة اجتذاب البربر الى جانب كل منهم ، فاستمال عبد الرحمن الناصر قبيلة زناتة بينما استمال الفاطميون قبيلة صنهاجة وكتامة . وقد وضع عبد الرحمن الناصر خطة محكمة للقضاء على الفاطميين ونفوذهم في المغرب ، وهذه الخطة تتلخص فيما يأتي :-

١ - استمالة وجذب كل ثائر وحاقد وخارج على الدولة الفاطمية من البربر ، فاعترف بسيادة محمد بن الخزر زعيم مغراوه ، وموسى بن ابى العافية زعيم مكناسة ، كما قام بمساعدة ابن كيداد (صاحب الحمار) الذى كان خارجا على الفاطميين ويسر له كل السبل للاستمرار فى ثورته عليهم(٢) ، كما نجح فى اشارة حميد بن يصال

(١) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، العصر الاسلامى ، الاسكندرية ، ١٩٦٦م ، الدار القومية للطباعة والنشر ، جـ ٢ ، ص ٥٠٥ - صابر دياب : المرجع السابق ، ص ١١٣ .

(٢) هو مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث . ظهر بعد موت عبيد الله الشيعى فى ولاية ابى القاسم فخرج يدعو الناس الى القيام بالسنة والخروج على الشيعة ودخل افريقيه وخرب مدنها ودوخها وقتل من أهلها ما لا ينحصر وفي عام ٣٣٢ هـ اشتد امره بأفريقيه . وكان ابو يزيد يخفى مذهب الأباضى ، وكان يركب الحمار فى تنقلاته فاطلق عليه صاحب الحمار . وكان يظهر الزهد والتقشف . ولقد مثل ابا يزيد ميسره الفتى قائد ابى القاسم الشيعى ، وكان بين ابى القاسم وابى يزيد حروب كثيرة - للمزيد من التفاصيل عن ثورته انظر : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٢١٦- السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ ٢ ، العصر الاسلامى ، ص ٦٢٣ - احمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ - محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ، ص ٢٩ - ٣٠ .

عامل تاهرت ويعلى بن محمد الزناتي على سادتهم الفاطميين حتى أصبحت قرطبة مركزا للتآمر والدسائس على الدولة الفاطمية ، وبث بذور الفتنة والشقاق بين معظم قبائل البربر في بلاد المغرب .

٢ - تلقب الامير عبدالرحمن بن محمد في ٢٨ ذي القعدة من سنة ٣١٦ هـ بألقاب الخلافة ليدعم مركزه في الاندلس ، ليصبغه بالصبغة الشرعية ويفرض هيبته على النفوس واصدر مرسوما بذلك .

٣ - استيلاؤه على معابر الاندلس المهمة سبتة وطنجة ومليلة .

٤ - توطيد علاقته مع اعداء الفاطميين متحالفا مع هيج دي بروفانس ملك ايطاليا Hugues de Province الذي كان حاقدا على الفاطميين بسبب استيلائهم على ميناء جنوة . كما عقد أواصر الصداقة عام ٣٤٤ هـ مع امبراطور بيزنطة قسطنطين السابع الذي كان يأمل في استرداد صقلية من الفاطميين . وعمل على توطيد علاقته بالاخشيديين في مصر ، فأرسل فقهاء المالكية الى مصر لمحاربة المذهب الشيعي الذي كان يعمل دعاة الفاطميين على نشره فيها .

٦ - الاهتمام بأمر الاسطول حتى استطاع ان يكوّن له اسطولا قويا بلغ عدد قطعه مائتين ليصد به أي خطر يتهدد الأندلس ، وهكذا حرص عبد الرحمن الناصر على طرق كل باب يعرقل خطر الفاطميين ويشل تحركهم فأدت هذه السياسة الى انصراف الفاطميين عن فتح بلاد الاندلس الى مصر[1] .

---

(١) السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦١٤ - ٦١٥ - السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس ، ص ٢١٧ - صابر دياب : سياسة الدول الاسلامية في حوض البحر المتوسط ، ص ١١٣ - ١١٤ -

(=)

وازاء ذلك قام الفاطميون بمحاربة الامويين بنفس الاسلوب فعمدوا الى :-

١ - تشجيع وتدعيم الثوار فى الاندلس ، فقاموا بمعاونة ابن حفصون الثائر على عبد الرحمن الناصر ، وأمدوه بالأسلحة والذخائر للاستمرار فى دعوته .

٢ - لعب الجواسيس والعيون الذين بثهم الفاطميون فى الاندلس دورا هاما للدعاية للفاطميين والمذهب الشيعى هناك ، وللتجسس من ناحية أخرى لمعرفة أحوال بلاد الاندلس ومواطن القوة والضعف فيها ، وامدادهم بمعلومات عنها من النواحى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ولقد دخل هؤلاء الجواسيس والعيون الاندلس اما عن طريق العلم كابن هارون وأبى اليسر الرياضى ، واما بغرض التجارة كابن حوقل (١) .

وأخيرا نقول انه مما لا شك فيه ان قيام الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب ونشاط دعاتها لنشر مذهبها فى الاندلس أصبح مثار خطر كبير على الأمويين بالاندلس .

(=) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجيه ، القاهرة ، ١٣٩٣ هـ ، ط ٤ ، دار الفكر العربى ، ص ٢٢١ .

(١) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٦٠٨ - احمد مختار العبادى : تاريخ المغرب والاندلس ، ص ١٩٤ .

وقد شغلت ثورة ابى يزيد بن كيداد (صاحب الحمار) الفاطميين عن بسط نفوذهم الكامل على المغرب الاقصى ، واستغل الامويون تلك الفرصة وأقاموا قواعدهم العسكرية بمليلة وسبتة وطنجة فى رأس العدوة المغربية ، واحكموا سيطرتهم البحرية على مضيق جبل طارق . كما نجح عبد الرحمن الناصر فى جذب كبار رؤساء البربر الى صفه [١] .

ولما تولى المعز لدين الله الخلافة الفاطمية سنة ٣٤١ هـ / ٩٥٢ م ، كان سلطان الفاطميين فى بلاد المغرب لا يتعدى مدينة ايفكان فى المغرب الاوسط . وقد بادر المعز لدين الله بمجرد توليته الخلافة الى استعادة النفوذ الفاطمى فى المغربين الأوسط والأقصى . ففى عامى ٣٤٢ و ٣٤٣ هـ / ٩٥٣ و ٩٥٤ م جرد الحملات لتحقيق هذا الهدف وتمكن من استعادة سلطان الفاطميين على المغربين الأوسط والأقصى ما عدا رأس العدوة المغربية ومدينة فاس ، فدخل فى طاعته بربر جبل أوراس ، ومحمد بن خزر أمير مغراوه ، ويعلى بن محمد اليفرنى الذى عينه من قبله على تاهرت ، وزيرى بن مناد الصنهاجى الذى ولاه اشير ، وجعفر بن على الأندلسى الذى ولاه المسيلة ، وقيصر الصقلى الذى ولاه باغاية ، واحمد بن بكر بن ابى سهل الجذامى الذى ولاه على مدينة فاس . الا ان أهل فاس سرعان ماخرجوا عن طاعة المعز لدين الله ، وكذلك يعلى بن محمد اليفرنى وأهل تاهرت وعادوا الى مبايعة عبد الرحمن الناصر [٢] .

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ ٢ ، العصر الاسلامى ، ص ٦٣٢ - محمد جمال الدين سرور ، سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٢٠ .
(٢) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٦٣٢ - ٦٣٣ .

وفى الوقت الذى أخذ الصراع بين العاهلين يزداد حدة فى بلاد المغرب وقع فى سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م حادث أدى الى اشتعال الموقف ونشوب الحرب بينهما ، ففى هذه السنة قدم من بلاد المشرق مركب لبنى امية ، فلما صار بين صقلية وافريقية مر بجزيرة صادف فيها قاربا قادما من صقلية يريد افريقية وبه عدة أشخاص ومعهم كتاب من عامل الفاطميين على صقلية وهو الحسن بن على بن أبى الحسن الكلبى الى الخليفة الفاطمى المعز لدين الله ، فخاف الاندلسيون ان يخبروا عنهم الفاطميين قبل وصولهم الى الاندلس فقطعوا عليهم الطريق ، وأخذوا ما معهم من المكاتبات ، وتركوا من بقى فى الجزيرة لا يجدون ما يوصلهم الى افريقية حتى مر بهم مركب فحملهم ، وساروا الى المعز لدين الله الفاطمى ، وأطلعوه على ما حدث لهم . ولما علم المعز لدين الله بما حدث أمر قائد اسطوله بتتبع المركب الأموى وحرقه ، وكان المركب الأموى قد وصل الى مرسى المرية قاعدة الاسطول الاندلسى ، فقامت المراكب الفاطمية بتدميره واحراقه وكذلك كل ما كان فى مرسى المرية من مراكب أخرى ، ثم نزلوا الى المدينة ينهبون ويسلبون ويقتلون ، وبعدها عادوا الى المهدية[1] .

وكان هذا الحادث سببا فى زيادة اهتمام عبد الرحمن الناصر

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٦١٢ - ٦١٣ - محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٢٠ - ٢٢٣ - احمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ - محمد صابر دياب : سياسة الدولة الاسلامية فى حوض البحر المتوسط ، ص ١١٧ .

بميناء المرية التى أصبحت القاعدة البحرية الرئيسية للأمويين فى الجنوب الشرقى للأندلس يعتمدون عليها فى مواجهة الخطر الفاطمى .

وتعتبر المرية مرفأ ممتازا ، يقع على شاطئ خليج واسع وعميق يحميها من الرياح وسمى بخليج المرية . واسم المرية مشتق من وظيفتها أو من الغرض الذى أنشئت من أجله اذ كانت تتخذ مرأى ومحرسا بحريا لمدينة بجاية (١) . وقد أصبحت فى مطلع القرن الرابع الهجرى القاعدة البحرية الرئيسية للاسطول الأندلسى فى الحوض الغربى للبحر المتوسط . وكان عبد الرحمن الناصر قد بدأ يهتم بالمرية منذ سنة ٣٢٨ هـ / ٩٣٩م لتصبح القاعدة الرئيسية للأسطول الاندلسى بدلا من بجاية لأن بجاية واقعة الى الداخل ، والمرية التى كانت محرسا بحريا لها تطل على الساحل ، ويتمتع خليجها باتساعه وعمقه فضلا عن هدوء مياهه وقلة أمواجه ، وكذلك وقوعها على مصب نهر بجاية الذى يسهل للسفن الأندلسية عملية التزود بالمياه العذبة ، ووجود عدد من الحصون والقلاع حولها مما يزيد من قوة الدفاع عنها . كل هذه العوامل دفعت عبد الرحمن الناصر فى سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م الى اتخاذ المرية قاعدة رئيسية للأسطول الأندلسى بدلا من بجاية ، فبنى سورا حولها وأقام على أحد جبليها قصبتها التى عرفت بقلعة خيران ، وانشأ بها دارا للصناعة . وقد ازدادت شهرة ميناء المرية فيما بعد ، فبالاضافة الى كونها قد أصبحت

---

(١) مدينة بجاية عن المرية على بعد ستة أميال شمالا عن هذه المدينة وأهمية مينائها انظر : ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق وتعليق د . شوقى ضيف ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ، جـ ٢ ، ص ١٦ .

القاعدة الرئيسية للأسطول الاندلسى فقد اكتسبت شهرة كبيرة فى مجال التجارة العالمية بين الشرق والغرب اذ أصبحت محطة للسفن الآتية من الشرق الاسلامى ومن بلاد الاندلس كما غدت مركزا ماليا وتجاريا (١) .

وكان قائد أسطول المريه يتمتع بمركز خاص فى الأندلس فى عصر الخلافة ، اذ لم يكن خلفاء بنى أمية يبتون فى أمر ما من الأمور الا بعد استشارة قائد الجيش بسرقسطة الثغر الأعلى ، وقاضى قرطبه ، وقائد اسطول المريه (٢) ، وقد تعاقبت فى قيادة المريه اسرة الرماحس فى عهد عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر والى رجالها يرجع الفضل فى صد الهجمات البحرية على الاندلس ، وفى تنفيذ سياسة عبد الرحمن وابنه الحكم المستنصر فى المغرب الاقصى وبسط سلطان الأمويين عليه (٣) .

ولم يكن عبد الرحمن الناصر ، ومن بعده ابنه الحكم المستنصر يعتمد على اسطول المريه فقط فى تنفيذ الخطط البحرية ومواجهة الفاطميين فى المغرب الاقصى وانما كان يعتمد أيضا على وحدات الاسطول الاندلسى المرابطة فى موانى الأندلس الأخرى ، وفى مراسيها المتعددة

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينه المريه الاسلاميه قاعدة الاسطول الاندلسى ، بيروت ، ١٩٦٩م ، دار النهضة العربية ، الطبعة الاولى ، ص ١٣ - ١٧ - ٣٣ - ٣٦ - ٤١ - ٤٢ - السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والاندلس ، بيروت ، ١٩٦٩م ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ص ١٧٤ - ابراهيم العدوى : الاساطيل العربية فى البحر المتوسط ، القاهرة ، ١٩٥٧م ، دار المعارف ، ص ١٤٦ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية ، ص ١٧٢ - ١٨٠ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه ، ص ٤٨ - ارشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة احمد محمد عيسى ، ص ٢٤٢ - محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الاندلس ، ص ٤٨٨ .

مثل دانية ، وطرطوشة ، واشبيلية ، وقصر ابى دانس ، والجزيرة الخضراء ، والمنكب ، ومالقة ، وقادش ، وشلب ، وبلنسية وغيرها من الموانى والمراسى التى تقع على السواحل الشرقية والجنوبية والغربية للأندلس[1] .

وردا على غارة الأسطول الفاطمى على ميناء المرية ارسل عبد الرحمن الناصر فى السنة التالية (٣٤٥ هـ) اسطولا مكونا من ٧٠ سفينة بقيادة القائد غالب الى سواحل افريقية لمهاجمة ميناء سوسة ، فأغار الاندلسيون عليها وعاثوا فيها فسادا وقتلا ونهبا وتدميرا ، وفى نفس الوقت زاد عبد الرحمن الناصر من بناء السفن فى دور الصناعة الأندلسية كما اهتم بتشديد مراقبة الاسطول الاندلسى للسواحل الاندلسية وبميناء سبتة فى رأس العدوة المغربية خاصة[2] .

كما أمر عبد الرحمن الناصر بلعن الفاطميين على المنابر ، ولكن هذه الحركة لم تضعف من نشاط الفاطميين بل أدت الى زيادة التوتر والخلاف بين الطرفين لدرجة ان المعز لدين الله أمر بارسال عساكر الى كل مرسى بطريق الاندلس لقتال سفن الامويين ، وفى هذه المناوشات البحرية بين السفن الفاطمية والأموية كان النصر حليف الفاطميين[3] .

---

(١) هشام ابو رميله : نظم الحكم فى الاندلس فى عصر الخلافة ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ص ٣٩٥ ، ٣٩٨ .
(٢) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٦١٣ .
(٣) صابر دياب : المرجع السابق ، ص ١١٨ .

(٢) النزاع على المغرب الأقصى بين الحكم المستنصر والمعز لدين الله الفاطمي

غضب المعز لدين الله الفاطمي غضبا شديدا لخروج المغرب الاقصى من يده ودخوله تحت سيطرة الأمويين في الاندلس ، فأرسل جوهر الصقلي في جيش عظيم يصحبه البربر من قبيلتي كتامه وصنهاجه ، وخرج معه جعفر بن علي صاحب المسيلة ، وزيري بن مناد صاحب اشير ، واستطاع جوهر ان يوقع بعلي بن محمد اليفرني صاحب طنجه ، ثم توجه الى فاس ثم الى سجلماسه فاستولى عليها ، وقبض على أميرها ، وفتحها عام ٣٤٨ هـ . وبذلك استطاع جوهر ان يعيد نفوذ الفاطميين على معظم المغرب الاقصى ، اما اتباع الامويين وأعداء الفاطميين فقد لجأوا الى الاندلس مثل يعلى اليفرني وغيره (١) .

ويعتبر عهد الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ / ٩٦١ - ٩٧٦م) امتدادا لعهد ابيه عبد الرحمن الناصر من حيث استمرار سياسته نحو المغرب الاقصى وازاء الخطر الفاطمي في بلاد المغرب عامة (٢) . وقد قام الحكم منذ عام ٣٦٠ هـ بالتحالف مع امراء زناته وبعد سنتين أي في عام ٣٦٢ هـ ارسل حملة الى بلاد المغرب الاوسط والاقصى للقضاء على دعوة الفاطميين التي عادت الى الانتشار هناك .

---

(١) السلاوي : المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .
(٢) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٦٣٣ .

وتمكنت هذه الحملة من تحقيق أغراضها ، فاستطاع الامويون استعادة نفوذهم فى هذه البلاد ، فخرج زعماء زناتة ومغراوه ومكناسة على طاعة خليفتهم المعز لدين الله ، وانضموا الى دعوة الحكم المستنصر . وفى ذلك يقول ابن خلدون : [واوطأ العساكر أرض العدوة من المغرب الاقصى والاوسط وتلقى دعوته ملوك زناته ومغراوة ومكناسة ، فبثهم فى اعمالهم ، وخطبوا بها على منابرهم ، وزاحموا بها دعوة الشيعة فيما يليهم] (١) . وكانت بقايا الادارسة (٢) بزعامة آخر ملوكهم الحسن بن قنون الذى أظهر رغبته فى اعادة سلطانهم فى المغرب الاقصى بعد ان انتقلت الخلافة الفاطمية الى القاهرة . كما أن قبيلة زناته تحالفت مع حكام المسيلة من بنى حمدون (٣) ، فأصبح هناك

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١٤٦ .

(٢) عندما خرج ابو العيش من الاندلس للجهاد ومات شهيدا عام ٣٤٨ هـ استخلف على عمله أخاه الحسن بن قنون وهو آخر ملوك الادارسة بالمغرب ، ولم يزل مواليا للمروانيين متمسكا بدعوتهم الى ان قدم جوهر على المغرب فبايعه وكان ذلك فى عهد عبد الرحمن الناصر ، ولكنه رجع عن عهده وبيعته لهم فى عام ٣٤٩ هـ ثم انضم الى بنى أمية فى خلافة الحكم المستنصر ، ولقد تقلص نفوذ الادارسة الى منطقة الريف الشمالية وجعلوا لهم قاعدة تسمى حجر النسر وكانت قلعه منيعة تقع جنوب تطوان ، ولم يكن لهم دولة مستقلة وانما كانوا يتبعون لواء الدولة المتغلبة على المغرب سواء كانت الدولة الفاطمية أو الاموية . وللمزيد من المعلومات انظر السلاوى : الاستقصا ، ص ١٩٧ - ٢٠٠ .

(٣) بنى حمدون حكام المسيلة ، وهما جعفر ويحيى ابناء على بن حمدون وكان جدهما حمدون من المقربين لدى الخلفاء الفاطميين . وحظى ابناؤه بعده بنفس المكانة ، واستقروا حكاما فى المسيلة ، ثم اتهم زعيمهم جعفر بالاتصال ببنى خرز ، فتوعدهم الخليفة الفاطمى المعز بالشر ، ففر هو وأخوه الى بنى خرز وامراء زناته واتباع الأمويين وانضموا الى الحكم المستنصر . وهذا ما سنتناوله بالتفصيل عن قريب . انظر محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، العصر الاول - القسم الثانى ، ص ٤٩٣ .

وبتشجيع وتأييد الحكم المستنصر وحزب كبير مكون من الادارسة والزناتيين وحكام المسيلة ضد الدولة الفاطمية . ففى سنة ٣٦٠ هـ نشبت الحرب بين الطرفين الفاطميين والأمويين وانصار كل منهما ، وكان الطرف الأول بقيادة زيرى بن مناد الصنهاجى عامل الفاطميين لتحرير المغرب من قبضة الأمويين ، والطرف الثانى مؤلفا من الادارسة والزناتيين وحكام المسيلة اتباع الأمويين ، ودارت رحى الحروب بين الطرفين ، ودفع زيرى الثمن غاليا جزاء وقوفه مع الفاطميين ، وانتهت المعركة بالهزيمة القاسية للفاطميين ، وبقتل زعيمهم زيرى بن مناد الصنهاجى وباستيلاء الزناتيين على معسكره انهار سلطان الشيعة فى المغرب ، وكان ذلك فى العاشر من رمضان سنة ٣٦٠ هـ ، وقطع المنتصرون رأس زيرى بن مناد وأخذه يحيى وجعفر ابناء على بن حمدون الى الخليفه الحكم المستنصر فحظيا لديه وغمرهما بعطفه وصلاته . وفى ذلك يقول ابن حيان : [وفى يوم الاثنين لثلاث خلون من ذى القعدة خوطب القواد والعمال بكور الاندلس المجندة فى استقدام بياضها وأعلام رجالها لشاهدة دخول يحيى بن على وبنى خزر القادمين برأس زيرى بن مناد الصنهاجى قائد معده صاحب افريقيه] (١) .

ثم أمر الخليفه الحكم المستنصر صاحب شرطته بالقيام مع جنده وحرسه ورجاله للاستعداد والتعبئة للتوجه الى استقبال جعفر ويحيى ومن معهما من اعيان اصحابهما وادخالهم الى قرطبه ، وانزالهم فى

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ص ٤٤ .

مكان يدعى بمنية عبد العزيز ، فتوجه اليهما ، واستقبلهما أحسن استقبال ، وعاد بهما وقد رفعوا رأس زيرى بن مناد صاحب افريقية فى قناة عاليه ، وحفه برؤوس اصحابه الخارجين معه على أهل السنه ، وكان عدد هم مائة رأس . فتوجهوا جميعا الى قرطبة فى موكب عظيم للدخول والسلام على الخليفه الحكم المستنصر واعلان انضمامهم اليه (١) .

ويسترسل ابن حيان فى صفحات طويله فى ذكر صفه ترتيب الخروج المعد لدخول هذين الرئيسين يوم قدومهما قرطبة حتى وصلا الى مجلس الخلافة فيقول : [ثم استنهضوا الى المجلس الذى قعد فيه الخليفة ، فلما نهضوا الى بابه قبلوا البساط مرة بعد أخرى ، ثم تقدم بهم الى السرير وناولهم الخليفة يده ، فتقدمهم جعفر بالتقديم والتسليم ، ثم تلاه يحيى اخوه ، ثم قدم بنو خزر الأسن فالأسن ، فقضوا ما عليهم من ذلك ، وأمرهم الخليفة بالقعود اكراما لهم وقدم اصحابهم اثرهم الأسن فالأسن فقبلوا وسلموا ، وشافه الخليفه جعفر أقبلهم فأوسع يسأله عما لديه وبسطه ، وفعل ذلك بأخيه يحيى وبنى خزر أصحابهما ، ونطق بتقبل نزوعهم وتحقيق رجائهم واعتقاد مكافأتهم على محبتهم وصياغتهم ، ووعد هم بالاحسان اليهم والتشريف لهم ، فأطنبوا الشكر ، واستهلوا بالدعاء ، واكثروا من الثناء ، وحمدوا الله تعالى على ما منحهم اياه وألهمهم له من تجديد اسلامهم وتأكيد

---

(١) ابن حيان : نفس المصدر السابق ص ٤٤ - ٤٥ .

ايمانهم فى قصدهم حرم أمير المؤمنين واسنادهم الى عز سلطانهم ونبذهم لدعوة الضلال وشيعة الكفار واعتياضهم عن ذلك بالسنه والجماعة والعز والطاعة] (١) .

هكذا أصبح بنو حمدون حكام المسيلة مقربين من الخليفه الحكم المستنصر بعد أن توسع عليهم فى الارزاق ، وأغدق عليهم بالمنح . ونعود فنقول انه كان لهزيمة الفاطميين بقيادة زيرى بن مناد على يد الزناتيين والادارسة وحلفائهم من البربر أثر كبير فى نفوس الشيعة ، فكانت هذه النكبة دافعا قويا للخليفة المعز لدين الله الفاطمى أن يأمر فى أوائل سنة ٣٦١ هـ / ٩٧١م بأن يسير ابن زيرى بلكين غازيا المغرب الاقصى ، لينتقم من قبيلة زناتة الخارجة عليهم ، ولينتقم لمقتل ابيه زيرى وليعيد الأمور الى مكانها الحقيقى .

خرج زيرى بن مناد الصنهاجى قائد الفاطميين ، وانزل ضرباته القوية بقبيلة زناتة وطى كل من تبعها وساندها ، وتتبع الزناتيين فى كل مكان يجدهم فيه سواء كانوا فى (بجاية) أو (المسيلة) أو (تاهرت) وغيرها ، فقتل ودمر حتى وصل الى المغرب الأقصى ، فاستعد بنو خزر للقائه ووقعت الحرب بين الطرفين والحق بقبيلة زناته هزيمة منكرة لدرجة أن أميرها محمد بن الخير بن خزر أقدم على الانتحار خوفا من سطوة بلكين (٢) . وفى ذلك يقول ابن الاثير :

(١) ابن حيان : المقتبس ، ص ٥ - ٥٢ .
(٢) محمد عبدالله عنان : دولة الاسلام ، ص ٤٩٤ .

[قتل يوسف بلكين بن زيرى محمد بن الحسين بن خزر وجماعته من أهله وبنى عمه وكان قد عصى على المعز لدين الله بافريقية وكثر جمعه من زناتة والبربر ، فأهم المعز أمره لأنه أراد الخروج الى مصر فخاف أن يخلف محمدا فى البلاد عاصيا ، وكان جبارا عاتيا طاغيا . اما كيفية قتله فانه كان يشرب هو وجماعة من أهله وأصحابه فعلم يوسف به فسار اليه متخفيا ، فلم يشعر به محمد حتى دخل عليه فلما رآه محمد قتله بسيفه وقتل يوسف الباقين وأسر منهم ، فحل بذلك عند المعز محلا عظيما وقعد للهناء به ثلاثة أيام] (١) .

وهكذا استطاع يوسف بن زيرى الملقب بـ (بلكين) أن ينزل بقبيلة زناتة هزيمة قاسيه ، وان يخضع وان يهدم بعض مدنهم ، وان يبسط سلطان الفاطميين على معظم أنحاء المغرب ، وان يقطع دعوة الامويين وان يعيد الدعوة لسادته الشيعة به ، وان ينتقم لمقتل ابيه زيرى (٢) .

وحينما اطمأن المعز لدين الله الفاطمى على المغرب الى حد ما عزم على الرحيل الى مصر ولكنه كان يفكر قبل انتقاله الى مصر فى أن يضمن طاعة الفاطميين فى المغرب بسبب بعد المسافة بين المغرب ومصر ، لأن ذلك سوف يحول دون فرض سلطان الفاطميين على قبائل البربر الثائرة دوما وخصوصا ان المعز لدين الله يعلم جيدا مدى بأس وقوة تلك القبائل ، ولذلك صمم على تعيين نائب له فى المغرب يوافيه

---

(١) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٧ ، ص ٤٣ .
(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ص ٢٤٣ .

بالاخبار ، فيتركه وهو مطمئن على ملكه . فبدأ باستقدام جعفر بن على بن حمدون . يقول السيد عبد العزيز سالم نقلا عن المقريزى : ان المعز قبل رحيله الى مصر استقدم جعفر بن على بن حمدون ، وعرض عليه ان يكون نائبا عنه فى بلاد المغرب ، ولكن جعفرا كان رده على المعز بشروط قاسية تضمن استقلاله ، فقال له : [تترك معى احد أولادك أو اخوتك يجلس فى القصر وأنا أدبر ، ولا تسألنى عن شئ من الاموال لان ماأجبيه يكون بازاء ما انفقه ، وان أردت أمرا فعلته من غير أن انتظر ورود أمرك فيه لبعد مابين مصر والمغرب ، ويكون تقليد القضاء والخراج وغيره الى] .(1)

وهكذا لم يوفق جعفر بن على فى الرد على المعز لدين الله فغضب منه وقال : [ياجعفر عزلتنى عن ملكى وأردت ان تجعل لى فيه شريكا فى امرى ، واستبددت بالأعمال والأموال دونى ، قم فقد اخطأت رشدك] (2) ، وأبعده المعز عن طريقه واستقدم بلكين بن زيرى ابن مناد وعرض عليه ولاية المغرب وان يكون نائبا عنه ، فكان رد بلكين ردا ذكيا ، فقال له : [يامولانا انت وآباؤك الائمة من ولد الرسول صلى الله عليه وسلم ما صفا لكم المغرب فكيف يصفو لى وانا صنهاجى بربرى ، قتلتنى يامولانا بغير سيف ولا رمح] (3) . ولكن المعز استطاع اقناعه وولاه أمر افريقية والمغرب ماعدا صقلية وطرابلس ، وسماه

(1) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٦٤١ - ٦٤٢ - احمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والفاطمى ، بيروت ، ١٩٧١ ، دار النهضة العربية ، ص ٣١٥ ، ص ٣١٦ .

(2) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٦٤١ - ٦٤٢ .

(3) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٦٤١ - ٦٤٢ .

يوسف وكناه أبا الفتوح ، ولقبه سيف العزيز بالله ، وأوصاه بوصايا عدة قبل خروجه فقال له : [ان نسيت شيئا مما أوصيتك به فلا تنسى ثلاثة أشياء : لا ترفع الجباية عن أهل البادية ، ولا ترفع السيف عن البربر ، ولا تول أحدا من اخوتك وبنى عمك فانهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك ، واستوص بالحضر خير] (١) . ولقد أوصاه أيضا بأن يغزو المغرب وان يحاول القضاء على النفوذ الأموى به .

واثارت ولاية بلكين بن زيرى على بلاد المغرب غيرة منافسه جعفر بن على فخرج على الفاطميين ، ولجأ الى الحكم المستنصر . وكما علمنا ثارت قبيلة زناتة على الفاطميين وخرج عليه أهل تاهرت . وفى أواخر سنة ٣٦١ هـ اتجه المعز لدين الله من المغرب الى الديار المصرية بعد أن آمن ان ماتركه من بلاد المغرب فى يد أمينه هو يد بلكين بن زيرى ولكى تقف قبيلة صنهاجة أمام زحف الامويين وتقدمهم ، ولكى تكون حجر عثرة فى طريقهم وتقدمهم الى المغرب ونواحيه .

على ان تولية يوسف بن بلكين لم تعط النتائج المتوقعة بالنسبة للفاطميين ، لأن تعيينه منذ البداية قد سبب غيرة منافسه جعفر بن على الذى لجأ الى الامويين فاتخذوه سلاحا جديدا ضد أعدائهم الفاطميين (٢) .

---

(١) السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٦٤٢ .
(٢) احمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والفاطمى ، بيروت ، ١٩٧١ م ، دار النهضة العربية ، ص ٣١٦ .

وما ان باشر يوسف اعماله فى المغرب حتى بدأت القلاقل ، فخرجت عليه القبائل بتحريض ودفع من حكام الاندلس . ففى البداية ثار عليه الزناتيون الذين هاجموا بلاد المغرب الاوسط وقاموا بالافساد فيها . فاضطر يوسف ان يتجه لحربهم وطردهم ، وضرب مدينة تاهرت معقل الخارجين عليه ، ثم اتجه الى تلمسان ليقضى على الزناتيين فحاصرها ودخلها ثم عاد الى القيروان بعد ان وصله كتاب المعز لدين الله ينهاه فيه عن التوغل فى المغرب (١) .

وبعد هذه الاشتباكات الطويلة بين يوسف بن زيرى والخارجين عليه شعر الفاطميون باستحالة غزو الاندلس ، كما أدركوا ان خير وسيلة وأفضل طريقة يتبعونها فى المغرب امام غارات البربر وثوراتهم واسام الامويين وهجماتهم المتتالية ان يتركوا قبيلة صنهاجة ممثلة فى بنى زيرى حلفائهم فى وجه الأمويين الى الابد بعد ان استقروا فى مصر واتخذوها قاعدة لخلافتهم .

وهكذا استمرت السيادة الاموية والفاطمية قائمة على مبدأ المنافسة بين قبيلتى صنهاجة التابعة للفاطميين وزناتة التابعة للامويين ، وضرب احدهما بالاخرى واثارة المشاكل والفتن من وراء ستار (٢) .

ولم ينته العداء بين الفاطميين والأمويين فى الاندلس بعد وفاة

---

(١) السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٦٤٢ - صابر دياب : مرجع سبق رصده ، ص ١٢٨ .
(٢) احمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٢٥ .

المعز لدين الله سنة ٣٦٥ هـ ، ويتبين لنا ذلك من أنه عند ما تلقى الحكم المستنصر من الخليفة الفاطمى العزيز بالله بمصر كتابا يسبه فيه ويهجوه ، كتب اليه الحكم المستنصر ردا يقول : [قد عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لأجبناك] (١)

---

(١) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٢٢ - احمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والفاطمى ، ص ٣١٩ .

(٢) الحكم المستنصر يقضي على محاولة آخر امراء الادارسة الحسن بن قنون في استعادة نفوذ الادارسة على المغرب الاقصى

بعد تلك الحوادث والاشتباكات نلاحظ ان النفوذ الفاطمي على المغرب الاقصى بدأ في الانحسار والتلاشي بعد ان انتقلت الخلافة الفاطمية الى القاهرة ، كما ظهر في العدوة المغربية لدى امراء زناتة وبعض امراء الادارسة الرغبة في الاستقلال عن الدولة الأموية في الاندلس بعد ان صفا لهم الجو بابتعاد الخطر الفاطمي عنهم . غير ان الحكم المستنصر كان يرى ان خطر الفاطميين على المغرب الاقصى لا يزال مستمرا ـ كما سبق أن رأينا ـ ولذلك كان يرى ضرورة الاحتفاظ بجبل طارق الذى يمكن عن طريقه الاستيلاء على القواعد المغربية الرئيسية المطلة عليه مثل سبتة ومليلة وطنجة ، والتى عن طريقها يستطيع الاحتفاظ بمد نفوذه على العدوة المغربية . لذلك نجده يعمل منذ توليه الحكم عام ٣٥٠ هـ على تدعيم قاعدة المرية وامدادها بكل ماتحتاجه من حصانة ، فنراه ينتقل اليها في عام ٣٥٣ هـ لمشاهدتها واستكمال حصانتها والاطلاع على حصونها والتأكد من مناعتها لأنه كان يتوقع غزوا لها فأراد أن يشرف بنفسه عليها ، وان يضع الخطط المحكمة لرد أى عدوان عليها ، لأن معظم وحدات الاندلس كانت ترابط في المرية لمواجهة الأخطار الخارجية [١] . كما زادت قطع الاسطول الاندلسي في

---

(١) ابن عذارى : مرجع سبق وصده ، ص ٢٢٦ .

عصر الخليفة المستنصر حتى بلغت ستمائة قطعة (١) . فقد اهتم الحكم المستنصر بالاسطول الاندلسى اهتماما كبيرا ، وحرص على أن يوزع وحداته على المريه التى أصبحت قاعدة للاسطول الاندلسى فى البحر الأبيض المتوسط ، وعلى اشبيلية التى كانت قاعدة ثانية للاسطول الاندلسى أيضا . ولقد أدت زيادة عدد وحدات الاسطول فى عهده الى توزيعها على هذا النحو أى على قاعدتى المريه واشبيليه خشية ان تحدث أخطار بسبب تجميع وحدات الاسطول الاندلسى فى قاعدة واحدة ، كما انه كان بالامكان ان تسرع وحدات أى من القاعدتين للانضمام الى وحدات القاعده الأخرى فى حالة تعرضها لهجوم محتمل . وكانت المهمة الاساسية لقاعدة المريه هى الدفاع عن الاندلس من أى هجوم فاطمى عليها واتخاذها قاعدة هجومية للاندلس على بلاد المغرب ، بينما كانت المهمة الاساسية لقاعدة اشبيلية هى حماية السواحل الاندلسية على المحيط الاطلسى (٢) .

غير أن تلك الخطة المحكمة لحماية بلاده اصطدمت بمصالح امراء الادارسة من بنى محمد الذين طمعوا فى الاستقلال واستعادة قوتهم وسيطرتهم على الجهة الشمالية للمغرب ، فقرروا القيام بثورة فى عام

---

(١) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية ، ص ١١١ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه ، ص ٤٨ – ارشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة احمد محمد عيسى ، القاهرة ، ١٩٦٠م ، ص ٢٤٢ .

٣٦١ هـ / ٩٧٢م بقيادة زعيمهم الحسن بن قنون الذى قطع دعوة بنى أمية واحتل المناطق الرئيسية والمهمة مثل طنجة وتطوان وأصيلا ، واتخذ له قاعدة استراتيجية هامة ومنيعة واقعة على جبل مرتفع فى شمال شرق القصر الكبير تسمى حصن الحجر أو حجر النسر ، كناية عن علوها وارتفاعها . وامام تلك الحالة الخطرة التى فرضها الادارسة تعين على الدولة الأموية فى الاندلس تغيير سياستها واتباع سياسة صريحة وواضحة تقوم على التدخل المباشر فى قلب العدوة المغربية للمحافظة عليها كخط دفاع رئيسى للاندلس ضد أى هجوم يهددها من بلاد المغرب . وقبل ان نسترسل فى الاحداث عن الادارسة يجب ان نلقى الضوء على زعيمهم الحسن بن قنون ، فنقول عنه انه الحسن بن قنون بن محمد بن القاسم بن ادريس الحسنى ، تولى الزعامة بعد أن توفى اخوه فى الجهاد فى عهد عبدالرحمن الناصر عام ٣٤٨ هـ . ولقد استمر الحسن بن قنون مبايعا للامويين فى الاندلس الى ان سمع بخروج جوهر قائد المعز لدين الله الفاطمى لاستعادة نفوذ الفاطميين على المغرب الاقصى وتثبيت سيادتهم عليه ، وما كان من تغلبه على جميع اتباع الامويين به فقرر الخروج على الامويين والعودة الى الفاطميين خوفا منهم لا حبا فيهم . ولكن لما رحل جوهر الصقلى عن المغرب الاقصى عاد الحسن الى دعوة الامويين سواء كان فى عهد عبدالرحمن الناصر أو فى عهد ولده الحكم المستنصر خوفا منهم لقرب بلاده منهم ، واستمر على طاعتهم حتى أرسل المعز لدين الله بلكين بن زيرى لفتح

المغرب الاقصى وأخذ الثأر لمقتل ابيه زيرى بن مناد ، فنجح في امتلاك المغرب الاقصى وقطع دعوة الامويين وأخذ البيعة للمعز لدين الله كما فعل جوهر من قبله ، فكان أول من سارع الى بيعته والى قطع دعوة الامويين ونصرة الفاطميين هو الحسن بن قنون (١) صاحب مدينة البصرة فاظهر نفسه بتلك الطريقة انه من اتباع الفاطميين فعلم الحكم المستنصر بنواياه فحقد عليه وعزم على حربه (٢) .

وعند ما عزم الخليفة على حرب الحسن بن قنون أرسل في طلب قائده قاسم بن طملس وأمره بالتعبئة والاستعداد للخروج لحرب الحسن ابن قنون لنبذه لولاية الامويين ، وانحرافه الى دعوة الفاطميين المضلة ، وابطال الدعاء لهم على المنابر . وأوصاه قبل رحيله بعدة وصايا هامة حين انتصاره وهي : ان يأخذ بالعفو ، ويؤثر الصفح ، ويقبل العذر ، ويحسن التجاوز ويتحرى العدل في سيرته ، فكانت وصايا هامة تدل على عمق دين المستنصر وخوفه من الله العلي القدير . وودعه بعد ان خلع عليه بما يستحقه من التكريم فانطلق خارجا من الجزيرة الخضراء الى سبتة ثم تقدم الى مدينة تطوان فوجدها خالية ثم تقدم نحو مدينة طنجة فدعا أهلها الى الطاعة والعودة الى الجماعه ، فأساءوا

---

(١) قنون أو كنون أو حنون ـ اما قنون وحنون فقد وردتا في المقتبس لابن حيان ، اما حنون فقد وردت عند ابى زرع في روض القرطاس .

(٢) ابن ابى زرع : روض القرطاس ، ص ٨٩ ـ ٩٠ ـ السلاوى : الاستقصا ، ص ٢٠ .

الرد وأعلنوا الحرب وكان معهم الحسن بن قنون يشد من عزمهـــم .
والتقت الفئتان الأولى بقيادة القائد ابن طملس والثانية بقيادة الحســن
ابن قنون ، وقد مني الحسن بالهزيمة ففرر الفرار ، واستسلم أهـــل
طنجة وخرج شيخهم ابن الفاضل منادیا بالطاعة لله تعالى ولأمــير
المؤمنين الحكم المستنصر ، ثم استسلم ورغب في الأمان لنفسه وأهلــه
وأهل بلده فأعطى ما أراد . وفي أثناء تلك الاحداث ارسل الحكــم
المستنصر الى قائد البحر عبد الرحمن بن رماحس وأمر رجاله بالتأهــب
واعداد الاساطيل - أي اسطول المرية واسطول اشبيلية - ليكونوا على قرب
من القائد محمد بن القاسم بن طملس وليطلعوا الحكم المستنصر بأخبارهم
وتحركاتهم وانتصاراتهم ، فبشروه أولا بفتح طنجة وفرار ابن قنون . ثـم
التقى ابن طملس مرة أخرى مع ابن قنون ، واستمرت الحرب مرة أخـرى ،
وفر ابن قنون الى جبل حصين يدعى جبل الريح فتحصن به ، ولكـن
جنود القائد محمد بن القاسم بن طملس استطاعوا ان يستولوا علـى
الجبل وان يحيطوا به ، ثم توجهوا بعد ذلك الى مدينة اصيلا بعـد
ان من الله عليهم بفتحها ، ودخلها الوزير القائد وتوجه الى جامعها
بعد ان علم ان فيه منبرا موسوما باسم معد بن اسماعيل امام الشيعة[1] ،
فأمر باقتلاعه واحراقه بالنار ، ثم اتجه الى مدينة دلول . وفي تلـك
الاثناء وصلت اليه الاموال والامدادات المنفقة على الحرب الدائرة بينـه
وبين ابن قنون من الخليفة الحكم المستنصر . وفي أوائل سنة ٣٦٢ هـ قتل

---

(١) المعز لدين الله الفاطمي .

الوزير القائد محمد بن قاسم بن طملس بفحص مهران على يد حسن بن قنون وقتل معه مجموعة من جنوده وكانوا خمسمائة رجل من الفرسان ومن الرجالة ألف . أما باقى الرجال فقد تحصنوا بسبتة وارسلوا الى الحكم المستنصر يطلبون النجدة والغوث (١) .

وبعد ذلك استدعى الخليفة الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرحمن لحرب حسن بن قنون . وكان القائد غالب رجلا محنكا فى غاية الحزم والشهامه والنجدة والاقدام ، فاغدق عليه الحكم المستنصر الاموال وارسل معه الرجال الاشداء وأمره بقتال الادارسة واخراجهم من معاقلهم ، وأوصاه بوصية هامة تدل على مدى فهم وادراك الحكم المستنصر لطبيعة أولئك الثوار ونفسية هولاء المحاربين فقال له : [سر ياغالب ! سير من لا اذن له بالرجوع الا حيا منصورا أو ميتا معذورا ، ولا تشح بالمال وابسط يدك يتبعك الناس] (٢) .

ثم قدم له عشرة آلاف دينار لصلات الخارجين اليه من وجوه القبائل المنصرفين عن الحسن بن قنون وزعمائهم لكى توزع عليهم حسب مقاديرهم استئلافا لهم وقرن بها فاخر الكسوة للخلع به عليهم (٣) .

وفى عام ٣٦٢ هـ / ٩٣٧ م علم الحسن بن قنون بقدوم ذلك الجيش

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ص ٨٩ - ٩٠ - ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ٢٤٦ - ابن خلدون : العبر ، جـ ٦ ، ص ٢١٨ .

(٢) ابن ابى زرع : روض القرطاس ، ص ٩٢ - السلاوى : الاستقصا ، ص ٢٠١ - ابن خلدون : العبر ، جـ ٦ ، ص ٢١٨ .

(٣) ابن حيان : المقتبس ، ص ١٠٨ .

العظيم فدب الذعر والرعب فى نفسه ، فخرج من مدينة البصرة وتركها خاليه واصطحب أهله وماله وولده وذخائره ، واتجه بهم الى قاعدته المنيعه (حجر النسر) التى تقع بالقرب من سبتة ليتخذه معقلا ومأوى يتحصن فيه . ولكن القائد غالبا كان قد أعد للأمر عدته ، فاتجه اليه ودارت بينهما حرب شديدة استمرت عدة أيام . واستطاع غالب ان يحقق نجاحا عظيما بوصية سيده الحكم ، فبعث بالأموال الى روءساء البربر ورغبهم ومناهم وأطمعهم ان ساروا معه فلهم مايريدون .

وكان لتلك الخطة الحكيمة اثرها فى رجال الحسن ، فتفرق شملهم وتشتت جمعهم وانضم اليه كبار روءساء القبائل حتى لم يبق مع الحسن ابن قنون الا رجاله المقربون وخاصته ، ولذلك انسحب الى حصنه وتحصن به ، ولكن القائد غالبا ضرب عليه الحصار من كل ناحيه وقطع عنه جميع الموارد. وكان الحكم المستنصر قد أمده بكل مايحتاجه من الاموال والعتاد .

وفى سنة ٣٦٣ هـ أمده برجال وقوات من غرب الاندلس ومن رجال الثغور فاشتد الحصار على الحسن بن قنون حتى أيقن بالهلاك والبوار ، فطلب من القائد غالب الامان على نفسه وأهله وماله ورجاله ، وعاهده على أن يسير معه الى قرطبة . فقبل القائد غالب توبته ، ونزل الحسن بجميع ما طلب منه القائد غالب وسلم الحصن اليه . ولكن القائد غالبا لم يكتف بذلك النصر الموءزر بل عزم على استئصال شأفة الادارسة ، وتتبعهم وأخرجهم من جميع معاقلهم ، وتولية رجاله بدلا منهم ولم

يشترك بالعدوة رئيسا منهم الا وخلعه وعين بدلا منه . ثم تقدم الى فاس فاستولى عليها وعين عليها محمد بن على بن قشوش فى عدوة القرويين ، وعبد الكريم بن ثعلبة فى عدوة الاندلسيين . وانصرف بعد ذلك عائدا الى الاندلس مستصحبا معه الحسن بن قنون وجميع بقايا الادارسة بعد أن أحسن فى تنفيذ وصية الحكم المستنصر فى دخول المغرب وتفريق جمعهم وقطع الدعوة للفاطميين وتوليته رجال الامويين فيهما (١) .

هذا وقد حملت البشائر والتهانى الى الحكم المستنصر بنصرة قائده غالبا ورجاله ، فكان لذلك أثر كبير فى نفس الحكم الذى أمر الناس بالخروج للقاء القائد المظفر ، فخرج الجميع لاستقباله وعلى رأسهم وجوه رجال الدولة فى موكب عظيم . وقد بالغ المستنصر فى اكرامهم ، وعفا عن الحسن بن قنون ومن معه من الادارسة ووسع لهم فى العطايا ، وكان مع الحسن سبعمائة رجل ، فأنزلهم بقرطبة وهيأ لهم الدور الرحبه لاقامتهم ، وأغدق عليهم من الاموال الكثيرة لمصرفهم وظلوا مقيمين فى قرطبة (٢) .

وفى سنة ٣٦٥ هـ وقعت الجفوة بين الحسن بن قنون والحكم المستنصر لعدة أسباب منها : سوء خلق الحسن وقسوة قلبه ، فقد كان رجلا جاهلا متهورا قاسى القلب ، لم ينس له الحكم المستنصر سوء

---

(١) ابن ابى زرع : المصدر السابق ، ص ٩١ - ٩٢ - السلاوى : المصدر السابق ، ص ٢٠١ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٢١٩ .

معاملته للاسرى الاندلسيين حيث كان يلقى بهم من أعلى قلعته (حجر النسر) فيصلون الى الارض مقطعين اربا اربا (١) . بالاضافة الى ثقل نفقاتهم ، حيث كانت تنفق عليهم الاموال الباهظه . وكما يقال انه كان للحسن بن قنون قطعة عنبر غريبة الشكل كبيرة الحجم حصل عليها في بعض سواحله ، فعلم الحكم بها فأحب أن يأخذها منه ، ولكن الحسن امتنع ورفض ان يقدمها له . واجتمعت كل هذه الأسباب وأدت الى حدوث النفره والجفوه والكراهيه بين الحكم المستنصر والحسن بن قنون ، فأمر باخراجه من قرطبة وترحيله الى المشرق ، فركب الحسن بن قنون من ميناء المريه بالاندلس الى مدينة تونس ، ومنها سار الى مصر حيث نزل عند الخليفة الفاطمي العزيز بالله الذى سر لقدومه وأكرم وفادته ووعده بالمساعدة في الأخذ بالثأر ممن غلبه وأخرجه (٢) .

ومن الاحداث الهامة التي وقعت قبل تلك الفترة بعامين وفي عام ٣٦٣ هـ بالتحديد ان جعفرا ويحيى ابني على بن حمدون الاندلسي تعرضا لنكبة من النكبات . فعندما قدما الى الاندلس برأس زيرى بن مناد الصنهاجي ، أمر الحكم المستنصر بانزالهما في قرطبة في أحسن هيئة وأتم أمر تحت كنفه ورعايته ، وفي نفس الوقت أمر الحكم المستنصر بابتياع عبيدهما الذين استعفوا من خدمتهما . وتمت المبايعه بمحضر من

---

(١) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ١٥٠ - ١٥١ - ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ٢٤٨ - ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ٢١٩ .

(٢) السلاوى : المصدر السابق ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ - ابن ابى زرع : المصدر السابق ، ص ٩٣ .

الفقهاء ، فانضم هؤلاء العبيد بعد ذلك الى خدمة الحكم المستنصر . وبعد مضى فترة ليست بالقصيرة اختلف جعفر ويحيى عما اتفقا عليه مع الحكم المستنصر ، فقد كان لشراء العبيد منهما أثر سيء في نفسيهما فتكلما بكلام سيء وجاهرا بحبهما للخلفاء الفاطميين واستهانا بالخلافة الأموية ، فاظهرا ما في نفوسهما من أحقاد قديمة . ولما بلغ ذلك الى علم الخليفة الحكم المستنصر أمر بالقاء القبض عليهما ومعاقبتهما وايداعهما السجن ، وكان ذلك في شهر شوال سنة ٣٦٣ هـ . ولبثا في السجن عدة أشهر ثم عفا الحكم المستنصر عنهما وأمر باطلاق سراحهما بعد أن اعترفا بخطأهما في حقه وحق الخلافة ، ثم وصلهما بالأموال وبرهما بعطفه عليهما (١) .

وهكذا استطاع الحكم المستنصر ان يضمن سيادته على المغرب الاقصى وان يحمي بلاده من أي خطر فاطمي أو زيري يتهدده من ناحية العدوة المغربية (٢) .

* *

(١) ابن حيان : المقتبس ، ص ١٧٣ .
(٢) احمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٣٣ .

الفصل الرابع

الحياة العلمية في الأندلس في عهد الحكم المستنصر

١ - صورة موجزة من تطور الحياة العلمية فى الاندلس فى عهد عبد الرحمن الناصر .

٢ - الحكم المستنصر الخليفة العالم وجهوده العلمية والتعليمية .

أ - تنشئته العلمية وهو ولى العهد .

ب - شخصية الحكم المستنصر العلمية .

جـ - جهوده العلمية والتعليمية .

د - انشاء مكتبة القصر والمكتبات الفرعية والخاصة .

هـ - توسعته للمسجد الجامع بقرطبة .

و - جامع قرطبة يتحول الى جامعة علمية فى عهده .

٣- الحياة العلمية فى الاندلس فى عهد الحكم المستنصر

أ - العلوم الشرعية .

ب - العلوم اللغوية والأدبية .

جـ - العلوم الانسانية .

د - العلوم التجريبية .

(١) صورة موجزة عن تطور الحياة العلمية فى الأندلس فى عهد عبد الرحمن الناصر

نهضت الثقافة الاندلسية فى فترة الخلافة نهضة شاملة فى جميع ميادين الحياة ، وكان من أبرز سمات تلك النهضة وضوح الشخصية العلمية للاندلس واستقلالها وظهورها الى حد كبير ، ومما لا شك فيه ان الظروف التى اجتمعت فى الاندلس فى تلك الفترة قد ساعدت الى حد كبير على رفع راية العلم خفاقه عاليه ، فالوحدة والاستقلال ، والأمن والرخاء ، والتحضر والرقى والتفتح ، كل ذلك دفع الى حياة ثقافية ناهضة ومشرقة ، وصلت الى أعلى مستوى وأرقى مكانه خصوصا حين نعلم ان راعى تلك النهضة العظيمة عبد الرحمن الناصر ومن بعده ابنه الحكم المستنصر كانا من أعظم حكام بنى أمية قاطبة . فعبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر وفرا للاندلس حياة مستقرة وموحدة وهادئة الى حد كبير ، وأتاحت تلك الحياة النهوض فى مختلف مجالات العلم وخلق الاجواء المناسبة للابتكار والعطاء ، وذلك بتشجيع أهل العلم سواء كانوا من المشارقة أم المغاربة (١) .

ويعتبر عصر عبد الرحمن الناصر - على وجه التخصيص - من أزهى عصور الاسلام ، لأنه كان عهد يسر ورخاء ، توطدت فيه مالية الدولة

---

(١) أحمد هيكل : الادب الاندلسى من الفتح الى سقوط الخلافه ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، دار المعارف بمصر ، الطبعه السابعه ، ص ١٨٤ .

فامتلأت خزائنها بالأموال ، وزاد الخراج فيها زيادة عظيمة باستتباب الأمن ، وزهت الزراعة ، ونهضت الصناعة . وبرزت العلوم والآداب والفنون في جميع اطراف المملكة ، فأصبحت المعيشة ميسورة ، وعاش الناس حياة مستقرة ، وادعة نعموا فيها بكل متطلباتهم ، وحققوا فيها كل أمانيهم ، حتى غدت قرطبة درة بلاد الاندلس ، وبلغ عدد سكانها أكثر من خمسمائة ألف (١) .

ولقد أولى حكام بني أمية في الاندلس العلم أكبر رعايتهم واهتمامهم منذ عصر الامير عبدالرحمن الداخل الذي استطاع أن يوطد أمور الدولة ، وينشر الأمن ، وان يشجع من خلفه على دفع حركة العلوم بجميع فروعها ، فسار على نهجه الامراء جميعا حتى جاء عصر الخلافة ، فوجدت عوامل جديدة دفعت عجلة النهضة الأدبية والثقافية دفعة قوية . ففي ذلك العصر أي عصر الخلافة ساد الاستقرار السياسي في الداخل ، والهيبة والعظمة والقوة في الخارج ، ونظمت اقتصاديات البلاد تنظيما مثمرا ومنتجا عاد على الشعب الاندلسي بالأمن والرفاهية والرخاء ، وبدأت حركة جمع الكتب في القصر الخلافي وفي منازل الامراء وكبار رجال الدولة ، وشارك الشعب الاندلسي في نسخها ونشرها وجمعها واقتنائها والحرص عليها حتى تكونت المكتبات وامتلأت بالمخطوطات ، وحملت الكتب النفيسة من كل مكان ، وحمل معها كنوز من العلم والادب ،

---

(١) محمد عبدالله عنان : تراجم اسلامية شرقية وأندلسية ، القاهرة ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م - مكتبة الخانجي ، الطبعة الثانية ، ص ١٨٥ .

ورحب الخليفتان عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر بالعلماء والادباء وشجعاهم على المجىء الى الاندلس وبالغا فى اكرامهم والحفاوة والترحيب بهم وافسحا لهم كل المجالات لنشر دراساتهم وافكارهم . فقد وفد عليهما عدد كبير من العلماء الاجلاء من مصر والشام والمغرب والعراق ، وأخذ الرحالة من طلاب العلم فى الاندلس يشدون رحالهم الى منابع العلم والأدب فى الحجاز والشام ومصر وبغداد ، ينهلون من هذه الحياض المتدفقة بالمعرفة والعلم لكى يعودوا الى بلادهم لينشروا ما تعلموه بعد أن وجدوا من التشجيع والتقدير ما شجعهم وحفزهم على تحمل جميع مشاق السفر طلبا للعلم والاستزادة منه . وبهذه الطريقة نقلت حضارة الشرق ومدنيته وعلومه الى الاندلس الخصيب اليانع المزهر ، كما نقل الى المشرق على يد المغاربة والاندلسيين ما اسهموا به بدورهم فى مجالات الحضارة الاسلامية ، وهكذا أصبح هناك تبادل علمى كبير بين المشارقه والمغاربة والاندلسيين . ولم يكتف أهل الاندلس بنقل علوم المشارقة بل وسعوا فى بعضها وطوروها مثل علم الأدب واستحدثوا له فروعا جديدة . ولم يعد الأدب قاصرا على النثر والنظم والخطابة والشعر . بل شمل أيضا بعض العلوم الانسانية ذات الصلة الوثيقه بالحياة مثل الاخلاق وأدب الحديث وتاريخ الأدب والتاريخ بأنواعه . ولم يكتفوا بذلك كله بل جعلوا الملح والنوادر بعض هذا الفن ، فكأنهم أرادوا أن يميزوا بين الادب والعلم . ومن أمثلة ذلك الكتاب الذى ألفه الاديب الشاعر ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد الذى كان مقربا وأثيرا لدى الناصر نفسه ، فقد كان الناصر شاعرا يرتاح للشعر وينبسط الى

أهله ، بل كان ينظمه ويقرب الادباء والشعراء له . فكتابه العقد الفريد يعتبر من أقدم وأعظم الكتب التى ألفت فى الاندلس ، وهو صوره ومرآه صادقة لما كانت عليه ثقافة الاندلس ، كما أوضح ابن عبد ربه فى كتابه الأدب ومفهومه وما يجب عليه ان تكون حياة الاديب أو المواطن المثقف ، قد نظمه كنظام الجوهرى الحاذق للعقد الثمين ، فكون حياته من خالص الجواهر ، واختار لكل باب من أبواب كتابه اسم جوهرة معروفة من الجواهر ، فهذا باب الياقوته ، وهذا باب الزبرجده ، وهذا باب الزمرده ، ... وهكذا . اما محتوياته فهى مجموعة غريبة من الموضوعات فهو يبتدئ بعلم السياسة وعلاقة الحاكم بالمحكوم ، وينتهى بالملح والنوادر الادبية والاحاجى والالغاز [1] .

ولا يعرف لابن عبد ربه كتاب غير العقد وديوان شعر مفقود ، وذكر صاحب كشف الظنون أن له كتابا آخر سماه (اللباب فى معرفة العلم والادب) ، وله فى عبد الرحمن الناصر الارجوزه الشهيرة التى فصل فيها مغازيه مرتبه على السنين الى سنة ٣٢٢ هـ ، وقد أوردها فى كتاب العسجده الثانيه فى اخبار الخلفاء فى تاريخهم من كتاب العقد الفريد ، وقد توفى ابن عبد ربه عام ٣٢٨ هـ [2] .

ومن أشهر العلماء الذين وفدوا على الاندلس فى زمن الخليفة

---

(١) على محمد راضى : الاندلس والناصر ، القاهرة ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، ص ٥٦ .

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، تحقيق محمد سعيد العريان ، لبنان ، ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م ، المكتبه التجارية الكبرى ، جـ ١ ، المقدمه .

عبد الرحمن الناصر العالم الكبير أبو علي القالي . وهو اسماعيل ابن القاسم بن عيدون بن هارون مولى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان من اهالى (قالى قلا) يكنى ابا على وولد بمنازجرد من ديار بكر ، وخرج الى بغداد لطلب العلم . أما سبب تسميته بالقالى فلأنه منسوب الى قالى قلا بلد من أعمال أرمينيه كان برفقة أهلها أثناء دخوله بغداد فنسب اليها لكونه معهم . وأما سبب تسميته بالبغدادى فلطول اقامته هناك حتى ذاع صيته وعمت شهرته فخرج من بغداد الى المغرب . ويقال ان عبد الرحمن الناصر سمع به وبعلمه فكاتبه ورغبه فى المجىء الى الاندلس فوفد اليها . وقد سر عبد الرحمن الناصر به وقربه منه ، وبالغ فى اكرامه وأسكنه فى قرطبة لينشر علمه بها . وكان القالى اماما فى اللغه فاستفاد منه الناس ، وكانت كتبه غاية فى التقييد والضبط والاتقان ، وله عدة مؤلفات مشهورة تدل على سعة روايته وكثرة قراءته . ولقد أملى كتابا على طلابه سماه (كتاب النوادر) وكتابا آخر يدعى (البارع) ويحتوى على لغة العرب ، (وكتابا فى المقصور والممدود والمهموز) . ولم يؤلف كتاب مثله (١) .

---

(١) الضبى : بغية الملتمس فى رجال اهل الاندلس ، القاهرة ، ١٩٦٧م ، دار الكتاب العربى ، ص ٢٣١ - ابن الفرضى : تاريخ علماء الاندلس ، القاهرة ، ١٩٦٦م ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مطابع سجل العرب ، القسم الاول ، ص ٦٩ - الحميدى : جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الاندلس ، القاهرة ، ١٩٦٦م ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ص ١٦٤ - القالى : الامالى ، بيروت ، المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، ج١ ، المقدمة - المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م ، مطابع شركة الاعلانات الشرقية ، ص ٥٩ .

وقد أنجبت قرطبة فى عهد عبد الرحمن الناصر عددا كبيرا من رجالات العلم والدين والادب . فلو تتبعنا جميع العلماء الذين ظهروا فى تلك الفتره لملأنا الصفحات الكبيرة منهم ، ولكن حسبنا ان نذكر أعظمهم وأعلاهم شأنا فى مجال العلم . ففى مجال العلوم الشرعية نبغ قاسم بن ثابت بن حزم الذى عنى بجمع الحديث واللغه هو وأبوه ، وادخلا الى الاندلس علما كثيرا . وألف قاسم هذا أيضا كتابا فى شرح الحديث سماه كتاب الدلائل بلغ فيه غاية الاتقان ، ومات قبل اكماله فأكمله له أبوه . ويعتبر هذا الكتاب من أحسن الكتب وأعظمها . وكان قاسم هذا عالما بالحديث والفقه ومتقدما فى معرفة الغريب من النحو والشعر ، وكان ورعا ناسكا ، توفى سنة ٣٠٢ هـ (١) .

ومنهم أيضا المنذر بن سعيد البلوطى ، وكان عالما فقيها وأديبا بليغا وخطيبا على المنابر وفى المحافل ، وكان مائلا الى القول بالظاهر ، ومن مؤلفاته كتاب (الانباء على استنباط الاحكام من كتاب الله) ، وكتاب (الابانة عن حقائق اصول الديانه) ، ولقد كانت له رحلة كتب فيها وطلب العلم منها فاستزاد بها (٢) .

أما فى مجال الادب فلقد برز فيه الكثير من العلماء ، ومن اشهرهم ابن عبد ربه وقد تحدثنا عنه ، وفى الشعر نبغ الرمادى ، ومحمد بن يحيى القلقاط وكان لهما دور بارز فى مجال الشعر والادب . أما

---

(١) ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الاول ، ص ٣٦٠ .
(٢) عبد الواحد المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، ص ٥٧ .

الفلسفة فلقد ظهر فى عهد عبدالرحمن الناصر محمد بن عبدالله بن مسره القرطبى الذى أمر الناصر باحراق كتبه ومصنفاته لانهما تضمنت اشارات غامضة عن الملحدين [١] .

اما فى علم الطب ، وقد حفل الطب باهتمام كبير من قبل عبدالرحمن الناصر وهذا يرجع الى ماقام به الامبراطور البيزنطى قسطنطين السابع فى سنة ٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م من اهدائه عبد الرحمن الناصر كتابين من تصنيف الاوائل ، احدهما كتاب ديسقوريدس فى الطب ، وثانيهما كتاب هروشيش فى التاريخ . فأما كتاب هروشيش فقد ترجمه الاندلسيون من اللاتينية الى العربيه بواسطة قاضى الناصرى الوليد بن خيزران والعلامه قاسم بن اصبغ ، ولم يكن لهذا الكتاب من التأثير فى كتابات مؤرخى الاندلس بقدر ما كان تأثرهم به فى مجال الجغرافيا [٢] .

اما كتاب ديسقوريدس فيعتبر فاتحه خير للاشتغال بالطب فى الاندلس فقد حوى هذا الكتاب اسماء معظم النباتات الطبيه وخواصها وصورها وقد طلب عبد الرحمن الناصر من الامبراطور البيزنطى ارسال عالم حاذق بترجمته الى اللغة العربية فوصل ذلك العالم عام ٣٤٠ هـ الى الاندلس ، وكان راهبا يدعى نيقولا للقيام بهذه المهمة . وتألفت

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم ، ص ٣١٢ .
(٢) سعد البشرى : الحياه العلميه فى عصر الخلافة فى الاندلس ، رسالة ماجستير فى التاريخ الاسلامى ، كلية الشريعة ، جامعة أم القرى ، ١٤٠١ - ١٤٠٢ هـ ، ص ٦٩ ، ٢٩٩ .

معه مجموعة من علماء الاندلس المبرزين فى علم اللغات لدراسة هـــذا الكتاب وترجمته وتوضيح اسماء وأنواع النباتات التى وردت فيه . فعمت الفائدة بترجمته واستفاد أهل الاندلس به وتعددت المؤلفات بعد ذلك فى الطب ، وتنوعت فى فروعه ، وكثر الاطباء ونبغوا فى ذلك العصر حتى تكونت مدرسة عظيمه بتشجيع عبد الرحمن الناصر وتهيئته الجو المناسب للعلماء حتى يمكننا ان نطلق عليها مدرسة الطب . ومن الاطباء الذين برزوا فى هذا المجال الطبيب اليهودى حسداى بن شبروط[1] ، ويحيى بن يحيى المعروف بابن التميه وكان بصيرا بحساب النجوم والطب وغير ذلك من العلوم المتنوعه ، وكان متصرفا فى معانى الشعر والفقه والحديث وعلم الجدل . وبرز أيضا محمد بن اسماعيل المعروف (بالحكيم) وكان عالما بالحساب والمنطق وكان نحويا ولغويا[2] . ونكتفى بذكر هؤلاء الاعلام الذين ظهروا فى عصر الخليفة العظيم عبد الرحمن الناصر الذى اعتبر عصره عصر العظمه والقوة بل العصر الذهبى للاندلس ،فلقد عمل كل ما فى وسعه لجعل مملكته المملكة السباقة فى ميادين العلوم والنهضة . ولقد أبدع ابن الابار فى وصف مدة ولايته وحكمه بقوله [ظهر لأول ولايته من يمن طائره وسعادة جدة واتساع ملكه وقوة سلطانه واقبال دولته وخمود نار الفتنه على اضطرامها بكل جهه ، وانقياد العصاه لطاعته ، ما تعجز عن تصوره الأوهام وتكل

---

(١) على محمد راضى : الاندلس والناصر ، ص ٧٦ .
(٢) صاعد الاندلسى : طبقات الامم ،القاهرة ، مطبعة التقدم ، ص ١٠١ - ص ١٠٢ .

فى تحبيره الاقلام ، وتيخرله من ابنه وولى عهده الحكم المستنصر بالله المدعو بأمير المؤمنين بعده من زان ملكه ، وزاد فى ابهته وقام بأمره أحسن قيام فكمل جلاله وجل كماله] (١) .

وهكذا اجتمع للاندلس فى عصر عبد الرحمن الناصر من أسباب القوة والسلطان والعظمة ما جعل الاندلس يتبوأ مركز الصدارة بين الدول الاسلامية حتى اعتبر عصره من أعظم العصور قاطبة ، فلم تصل دولة من الدول سواء فى الشرق أو الغرب الى ما وصلت اليه دولة الناصر من القوة والسؤدد والهيبة والنفوذ ، ولقد اعترف بعظمته المؤرخون المحدثون والقدماء على السواء . ولعل ابلغ ماقيل عنه فى عصرنا الحديث ما ذكره العلامة دوزى حين قال : [لقد كانت هذه نتائج باهرة ولكنا نجد اذا مادرسنا ذلك العصر الزاهر ان الصانع يثير الاعجاب والدهشة ، باكثر ما يثيرهما المصنوع . تثيرهما تلك العبقرية الشاملة التى لم يفلت شئ منها ، والتى كانت تدعو الى الاعجاب فى تصرفها نحو الصغائر ، كما تدعو اليه فى اسمى الامور . ان ذلك الرجل الحكيم النابه ، الذى استأثر بمقاليد الحكم وأسس وحدة الأمة معا ، وشاد بواسطة معاهداته نوعا من التوازن السياسى ، والذى اتسع تسامحه الفياض لأنه يدعو الى نصحه رجالا من غير المسلمين لأجدر بأن يعتبر قرينا لملوك العصر الحديث لا خليفه من خلفاء العصور

---

(١) ابن الابار : الحله السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٦٣ م ، الطبعة الاولى ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ص ١٩٨ .

الوسطى] (١) .

هذا ما كان من عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، الحافل بالعلم وأهله . ولننتقل الى عهد ابنه الحكم المستنصر لنرى كيف أصبحت الحياة العلمية فى الاندلس أكثر اشراقا واكثر ازدهارا .

---

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الاندلس ، العصر الاول ، القسم الثانى ، ص ٤٦٣ ، نقلا عن دوزى .

(٢) الحكم المستنصر الخليفه العالم وجهوده العلمية والتعليميه

أ ـ تنشئته العلميه وهو ولى العهد :

فنى عام ٣٠٢ هـ / ٩١٥ م منّ الله على الاندلس بمنه جديدة ألا وهى ولادة الخليفة العظيم الحكم بن عبد الرحمن ، ولقد سر عبد الرحمن الناصر بمولده سرورا عظيما ، وأظهر سعادته وغبطته بالانعام على من حوله ، وتقدمت الطبقات من الناس بالتهانى ، وانشد الشعراء قصائدهم مهنئين بمولد ذلك الطفل السعيد .

ومن ذلك قول الفقيه احمد بن عبد ربه :ـ

هلال نماه البدر واختاره الفجر ... تلقت به شمس وأنجمه زهر

على وجهه سيما المكارم والعلى ... فضاءت به الآمال وابتهج الشعر

سلالة أفراس وبيت خلايف ... أكفهم بحر ونايلهم غمر

بدا لصلاة الظهر نجم مكارم ... تحف به العليا ويكنفه الفخر

نماه الى العلياء خير خليفة ... تتيه به الدنيا ويزهى به العصر

ولقد حرص عبد الرحمن الناصر على تربية ابنه تربية خاصة تؤهله لتولى المناصب من بعده ، خصوصا لأنه كان مرشحا لمنصب الحكم مستقبلا ، فلقد عهد اليه أبوه بولاية العهد وهو لم يتجاوز الثامنة من العمر منذ ان كان طفلا (١) .

---

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الاندلس ، العصر الاول ، القسم الثانى ، ص ٣٧٨ .

كما حرص على أن يعهد به الى كبار علماء عصره ليلقنوه العلم على الأصول الصحيحه منذ الطفوله الباكره ، وقد صادف اهتمام الأب رغبه فى الابن كبيره على فهم دروسه واستيعابها والتفوق فيها والاستزاده منها بما فطر عليه من الموهبه والاستعداد الطبيعى ، فبمجرد العناية والاهتمام تفجرت تلك المواهب والاستعدادات لتظهر عن عالم جليل كل همه المعرفة والاستزاده فى طلب العلم حتى شغف به ، وأصبح من رجال العلم البارزين الذين يشار اليهم بالبنان .

ولقد ظهرت نجابة الحكم منذ صغره فكان هو وأخوه عبد الله يتنافسان على العلم وأهله ، وفى ذلك يقول ابن الابار : [كان الامير الحكم بن الناصر لدين الله ولى عهد المسلمين وأخوه عبد الله هذا ، يتباريان فى طلب العلم ويتناغيان فى جمعه ويتبادران الى اصطناع أهله واختصاص رجاله وادناء منازلهم والاحسان اليهم .] (١)

ولما شب الحكم المستنصر عهد اليه أبوه بعبء الجانب الثقافى والتعليمى فى مملكته ، فحرص على معرفة العلماء عالما عالما ومعرفة أخبارهم وسيرهم ومؤلفاتهم وتخصصاتهم حتى اجتمع له فى ذلك المجال ما لم يجتمع لأحد من قبله ، ولقد مر بنا فى الفصل الأول اسناد أبيه له مهمة ترتيب المجلس والشعراء الفصحاء لاستقبال وفد رسل امبراطور الروم ، فكأن أباه قد أعده لتلك المواقف لما وجد فيه من ميل الى

(١) ابن الابار : الحله ، جـ ١ ، ص ٢٠٦ .

ذلك المجال وحب لاهله ومعرفه وثيقه بهم . وهكذا أصبح الحكم وهو ولي للعهد راعيا للعلم وحاميا للعلماء ومشجعا على النهضة التعليمية في البلاد ، فضلا عن انه هو نفسه كان من كبار العلماء في ذلك العصر . ولو تتبعنا ما كتب عنه في المشرق والمغرب قديما وحديثا في تاريخ الادب والفلسفة والعلوم لوجدنا الكثير برغم المدة القصيرة في عصر الزمن التي عاشها وهو خليفة (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ / ٩٦١ - ٩٧٦ م) (١) .

ولكن ينبغي علينا قبل ان نلقى الضوء على اهتمامات الحكم المستنصر بالعلم وأهله ان نشير الى المجتمع الذى نشأ فيه ذلك الامير ، فيقول الدكتور مصطفى الشكعه [اذا نظرنا الى المجتمع الاندلسي من ناحية جمهرته وليست من ناحية قطاعات معينه منه وجدنا له مميزات باهرة وصفات طيبة تميزه عن كثير من المجتمعات الاسلامية الاخرى مابين علم ودين وثقافة وعمل ونظافة واناقة وحب للعدل وانكار للفوضى واجلال للعلماء الى غير ذلك من الصفات الحميده التي توفرت في شعب من الشعوب وضعته في مرتبه ساميه دفعت به الى مدارج التقدم والازدهار . لقد كان شعب الاندلس يقبل على العلم للعلم ذاته وكان علماؤهم متقنين لفنون علمهم لانهم سعوا اليه مختارين ، وكان الرجل ينفق كل ما عنده حتى يتعلم واذا تعلم أصبح في مقام التكريم ويعلو قدره بين الخاصه والعامه .] (٢)

---

(١) محمد عيسى : تاريخ التعليم في اسبانيا ، ص ٢٠١ .
(٢) مصطفى الشكعه : الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه، بيروت ، ١٩٧٥م ، الطبعه الثالثه ، دار العلم للملايين ، ص ٧١ .

ولقد حرص امراء الاندلس على أن يكونوا على مستوى عالى من الثقافة الدينية تسمح لهم بمجالسة الفقهاء الذين يعتبرونهم زينة المجالس عند الامراء ومستشاريهم . وكانت ثقافة هؤلاء الملوك والامراء تدفع الى احترام العلماء وتقديرهم ، فقد حرص الامراء على أن يجمعوا بين السلطة والمنصب العلمى اى بين مرتبة الحاكم القوى وبين مرتبة العالم العظيم . وكان يتحتم على الامراء ان يتفقهوا فى علوم الدين حتى يجمعوا بين الاحترام الرسمى لكونهم امراء وبين الاكبار الاجتماعى الذى يكسبونه باعتبارهم فقهاء . (١)

وكانت دولة الاسلام فى الاندلس سعيدة بكثرة حكامها الذين كانت لهم مشاركة فى العلوم والفنون ، والذين كان تقديرهم للعلماء صادرا عن طبع ومعرفة بتعمق وليس عن نفاق أو مصانعة أو رياء .

وقبل ان نلقى الضوء على مدى اهتمام الحكم المستنصر بالعلم ورجاله ينبغى ان نشير الى شيوخه ومعلميه ومؤدبيه الذين تلقى العلم على ايديهم ، فعلى رأس هؤلاء قاسم بن اصبغ ، واحمد بن دحيم ، وزكريا بن خطاب ، وثابت بن قاسم(٢) ، وابو على القالى الذى عرفنا مما تقدم كيف استدعاه عبد الرحمن الناصر الى الاندلس لما رأى من علمه الواسع ، فعهد اليه بابنه الحكم المستنصر لتعليمه ، فاختص به وأفاده افادة عظيمة ، وقوى عنده حب العلم حتى رغبه فى اقتناء الكتب ،

---

(١) مصطفى الشكعه : نفس المرجع السابق ، ص ٩٧ .
(٢) المقرى : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٧١ .

فثقف عقله بالعلوم والمعارف وبث في نفسه حب العلم . وفي هذا الصدد يقول المقرى : [ولما وفد على ابيه ابو على صاحب كتاب (الأمالي) من بغداد أكرم مثواه ، وحسنت منزلته عنده ، وأورث أهل الاندلس علمه ، واختص بالحكم المستنصر ، واستفاد علمه] (١) . وكان الحكم المستنصر قبل خلافته يحثه على التأليف ، وينشطه بواسع العطاء ، ويشرح صدره بالافراط في التكريم .

ومن تلقى العلم على أيديهم أيضا وهو ولى للعهد عثمان بن نصر بن عبد الله بن حميد بن سلمه بن عباد بن يونس القيسى المصحفى المؤدب من أهل قرطبه ، وهو والد جعفر بن عثمان (٢) . ومنهم هشام ابن الوليد بن محمد بن عبد الجبار بن هشام الغافقى ، وكان عروضيا نحويا أدب أمير المؤمنين الناصر ثم أدب ولى العهد الحكم المستنصر ، وكان علم العروض أغلب عليه من علم اللغة العربية (٣) . ومنهم محمد بن اسماعيل النحوى المعروف بالحكيم من أهل قرطبه ، وكان عالما بالنحو والحساب دقيق النظر مشيرا للمعانى مولدا لها لا يتقدمه فى ذلك احد ، وعمر ثمانين عاما وأدب الحكم المستنصر ، وتوفى سنة ٣٣١ هـ(٤) . ومنهم على بن معاذ الرعينى وقد كان لغويا فاستفاد منه الحكم واقتبس من علمه ،

---

(١) المقرى : نفس المصدر ، ص ٣٦٢ .
(٢) ابن الفرضى : تاريخ علماء الاندلس ، القسم الثانى ، ص ٣٠٥ .
(٣) ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الثانى ، ص ١٧٤ .
(٤) ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الثانى ، ص ٥٢ .

والى جانب تفوقه فى اللغة كان متفوقا فى التاريخ والانساب وقد استفاد منه الحكم واخذ عنه الكثير من العلوم والمعارف فعظمت استفادته منه [١]. ومنهم ايضا الاديب محمد بن اسماعيل القرطبى الذى تلقى العلم على يديه كالأدب والنحو والحساب ، وقد استفاد منه فى دراسة العلوم بطريقة تحليليه عميقه اذ وصف هذا الاديب بعمق التفكير ، ودقة التعبير فى اشتغاله بالعلم [٢] .

وكان لهؤلاء المعلمين والمؤدبين والمشايخ أثر كبير فى بلورة شخصية الحكم المستنصر العلميه وتوجيهه فى كافة مجالات العلم والمعرفه .

---

(١) المراكشى : الذيل والتكملة ، ص٤١ .
(٢) سعد البشرى ، المرجع السابق ، ص٧٢ (نقلا عن الصفدى : الوافى بالوفيات ، جـ١ ، ص٢١٠ .

ب ـ شخصية الحكم المستنصر العلميه :

يعتبر الحكم المستنصر فى معرفة الرجال والتواريخ والانساب احوذيا [١] نسيج وحده ، كما كان موصوفا بالثقه بين رجال العلم حتى ان ابن الابار يتعجب اشد العجب من تغافل ابن الفرضى وابن بشكوال فى كتابتهم عن تراجم العلماء من أهل الاندلس عن الاشاره الى منزلته ومكانته العلميه . فقلما كان يوجد كتاب فى خزانته الا وله فيه قراءة أو وجهة نظر فى أى فن أو علم كان ، فيكتب نسب المؤلف معرفا اياه ذاكرا مولده ووفاته ، ويأتى بمعلومات نادره لا يكاد يعرفها احد غيره [٢] . فالحكم المستنصر يتبع طريقة التحليل ونقد المعلومات وتمحيصها أثناء اطلاعه على كتبه بحيث كان يقرأ الكتاب ويكتب فيه بخطه اما فى اوله أو تضاعيفه بكل مايمت بصلته للمؤلف مع التعريف به ، وذكر انساب الرواه له [٣] . ومما يؤكد ذلك انه فى أثناء جمعه لتلك الكتب الهائله ودراستها انعكس أثر ذلك على فكره وطريقته حتى اصبح عالما بارعا فى فنون العلم المختلفه حتى قيل عنه فى شغفه بالكتب [وكان ذا غرام بها ـ أى الكتب . وقد آثر ذلك على لذات الملوك فاستوسع علمه ودق نظره وجمت استفادته .] [٤]

ومما روى له من كتابات وتعاليق على الكتب التى طالعها ماذكره القاضى صاعد الاندلسى فى ترجمته للمؤرخ اليمنى الحسين بن احمد

---

(١) الأحوذى : الحاذق السريع فى كل ما اخذ فيه .
(٢) المقرى : المصدر السابق ، ص ٣٧١ .
(٣) ابن الابار : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٠٢ .
(٤) المقرى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٧١ .

الهمذانى مانصه : [ووجدت بخط امير الاندلس الحكم بن عبد الرحمن الناصر لدين الله ان ابا محمد الهمذانى توفى بسجن صنعاء فى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة] (١) . ومن دلالة علمه الغزير أنه صنف كتابا فى انساب الطالبيين والعلويين القادمين الى المغرب ، وقد استعان فى تأليفه بما كان يتلقفه من أفواه العلويين القادمين عليه سواء فى مدة ولا يته للعهد أو حكمه . فلقد عرف عنه شغفه بعلم الانساب يدل على ذلك ما رواه ابن الابار عن مدى اهتمامه بأنساب المؤلفين (٢) .

وهكذا يتضح لنا ما كان عليه من معرفة تامة فى العلوم ، ودراية واسعة بكل فن من فنون المعرفة الشاملة ، بالاضافة الى ما امتاز به من الثقة بين رجال العلم حتى أصبح أمينا فيما يقوله ، فقد صار كل ما كتبه أو أدلى برأيه أو وجهة نظره فيه على انه حجه ، لها مكانتها وقيمتها ووزنها بين أقوال العلماء (٣) .

وقد عقد بعض الكتاب المحدثين مقارنة بين الخليفتين الحكم المستنصر والمأمون ، فوصفوا الأول بأنه عمل على تسهيل الطرق وتعبيدها للنهضة العلمية بحشد المواد اللازمة لها . وانه يفترق عن المأمون فى ان حركة المأمون العلمية كانت حركة ترجمه ونسخ ، أما حركة الحكم المستنصر فكانت جمع وحشد وتكديس للكتب .

---

(١) سعد البشرى : الحياه العلميه ، ص ٧٤ (نقلا عن صاعد الاندلسى : طبقات الامم ، ص ٧٩) .

(٢) سعد البشرى : المرجع السابق ، ص ٧٤ (نقلا عن المقرى : نفح الطيب ، جـ ٣ ، ص ٦٠ ـ البغدادى : هديه العارفين ، جـ١ ، ص ٣٣٣) .

(٣) كمال اليازجى وانطوان غطاس : اعلام الفلسفه العربية ، بيروت ، مكتبة انطوان ولبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٨م ، ص ٦٤٣ .

غير اننا لو رجعنا قليلا الى ما ذكره المؤرخون ، وما اشاد به العلماء في حق الحكم المستنصر لألفينا الوضع مخالفا تماما لما وصفه به ذلك المؤلف ، لأن الحكم المستنصر كان حريصا على تركيز جهوده للاستفادة من كتب العلم ، وعلى ان تكون ميسورة المنال لجميع أفراد الرعية لكي تعم الفائدة الجميع لاستخدامها والاستفادة منها . بل اننا نلمح ونرى مدى حرصه على اثبات شخصيته العلمية وشغفه بالاطلاع فيما قام به من عرض للافكار وتعليق على المواد العلمية في بطون الكتب ، وهذا ما اشار اليه المؤرخون وأشادوا به . فالمسألة لم تكن قضية جمع وحشد فقط ، بل كانت عملية احياء للعلوم وترغيب للناس في طلب العلم ودفعهم للاستزادة منه واللحاق بركب الحضارة والتطور العلمي الذى سبق اليه أهل المشرق . وكان لاهتمامه الشديد بالعلم والعلماء ان اتهمه بعض الكتاب كستانلي لين بول بالقول بان انصرافه الى العلم واهتمامه بالكتب وعنايته بها قد أدى الى عدم تطلعه الى الغزو والجهاد . ولكى نرد في دفع هذه التهمه الباطله والمجانبه للصواب نقول انه لو امعنا النظر في سيرة الحكم المستنصر واعلانه للجهاد مع اعداء دولته سواء كانوا من الاسبان النصارى ، أو النورمان ، أم الفاطميين - ونستطيع ان نلحظ ذلك مفصلا في الفصل الثاني من بحثنا - لادركنا ان الحكم المستنصر كان بجانب حرصه على العلم وعلى توفير اجواء العلم المناسبة لطلبة العلم كان مجاهدا ورجل سياسه وحرب من الدرجة الأولى ، ولكن يعتبر عصره بالمقارنة بعصر ابيه عبد الرحمن الناصر يعتبر

عصر سلام نسبى مع ممالك النصارى ، وذلك بعد جهود ابيه وعقده معاهدات السلام والصلح مع الممالك الاسبانيه النصرانيه [١] .

ولكى تتضح لنا صورة الحياه العلمية فى الاندلس اكثر فأكثر فى عهد الحكم المستنصر علينا ان نبرز جهوده العظيمه فى دفع عجلة النهضة العلمية الى الامام .

(١) سعد البشرى : الحياه العلميه ، ص ٧٥ .

جـ ـ جهوده العلمية والتعليميه :ـ

احترامه للعلماء :

احترام الحكم المستنصر للعلماء وتقديره لمكانتهم جعلهم يحرصون على الاهتمام بدروسهم وبتلاميذهم ، كما رفع ذلك من قدرهم عند الناس وعند طلبتهم . ولقد وصل بعض هؤلاء الفقهاء والمتعلمين الى درجة عالية من المهابة والتقدير حتى انه كان عندما يطلب احدهم لا يرد له طلب ، وتقضى له كل حاجاته دون تردد أو تفكير . ونسوق القصة التى حفظها لنا المقرى عن الفقيه ابراهيم ابن اسحاق ، وكان معظما عند عبد الرحمن الناصر وابنه ، والقصة طويلة وتتلخص فى ان الحكم أمر أحد خصيانه باستدعاء أبو ابراهيم هذا لحاجة يريدها ، فذهب الخصى اليه يطلبه فى عجلة من أمره لتلبية نداء أمير المؤمنين ، ولكن الفقيه قال له : سمعا وطاعة ،ولكن دون عجلة ارجع الى أمير المؤمنين ، واخبره انك وجدتنى فى بيت من بيوت الله مع طلبة العلم يسمعون منى ، ويستفيدون من أحاديثه ، وعندما ينتهى مجلسه سيحضر اليه . ولكن الخصى تضجر وتبرم لرفضه طلب أمير المؤمنين ، ونقل ذلك الى الخليفة فلم يتضجر بل استحسن رده ، وقال له على لسان الخصى [جزاك الله خيرا عن الدين وعن أمير المؤمنين وجماعة المسلمين ، وامتعهم بك حتى ينقضى شغلك وتمضى معى] . ولكن أباابراهيم كان لكبر سنه وضعف جسمه لا يستطيع أن يدخل من الباب الرئيسى بالقصر ، وهو باب السدّة فهو بعيد عنه ، فحدد باب الصناعة للدخول منه(١) وكان بابا مغلقا لا يستعمل ، وأمر الخصى بالاستئذان له من امير المؤمنين ، لأن ذلك

---

(١) سمى بباب الصناعه لمجاورته لدار الصناعه . (السيد عبد العزيز سالم : قرطبه حاضرة الخلافه ، جـ ١ ، ص ١٩٣) .

استهل عليه فوافق الخليفة ، وأمر بفتح باب الصناعه وانتظاره حتى ينهى درسه ، ولما انقضى درسه توجه الى داره فأصلح من شأنه ثم توجه الى الخليفه ، فوصل اليه من الباب المحدد ، وقضى حاجته ثم رجع من نفس الباب ، وعند خروجه أعيد اغلاقه مرة أخرى من قبل الخدم والاعوان الذين كانوا منتظرين خروجه حتى يقفل ويعاد كما كان . فهكذا قضى الخليفه حاجة العالم كما اراد ها وهكذا كان العلماء مع الملوك والملوك مع العلماء احترام وتبجيل (١) .

زيارة الفقهاء في مجالسهم :

لقد حرص الحكم المستنصر على زيارة الفقهاء وتفقد أحوالهم والاطلاع على مستوى التعليم ومدى سير الدراسة ومدى الاستفادة منها . فلقد قام بزيارة ابو الحسن على بن محمد الانطاكى فى مجلسه وفى حلقته ، ولقد عين الانطاكى بعض طلبته المتفوقين لقراءة القرآن فى ذلك اليوم أى فى يوم قدوم المستنصر ، وكان من هؤلاء التلاميذ خلف بن حسين بن مروان والد المؤرخ الكبير ابن حيان الذى تخبرنا المصادر بأنه قد قرأ القرآن على يد الانطاكى امام الحكم المستنصر ، وهذا الموقف يوضح لنا مدى حرصه على سير الدراسة وتفقده لها بنفسه . (٢)

---

(١) المقرى : المصدر السابق ، ص ٣٥٣ .

(٢) محمد عيسى : تاريخ التعليم فى اسبانيا ، ص ٦ .

استقدام العلماء الأندلسيين الى قرطبه :

كما استقدم المستنصر العلماء من كافة نواحي الاندلس الى مدينة قرطبه ، وسمح لهم بالتعليم والقاء دروسهم في المساجد العامة بقرطبه . وتدلنا كتب التراجم ان المستنصر كان يختار أفاضل العلماء ومن تتوفر لديهم نصوص ليست شائعة ومعروفة عند الناس . فعلى بن معاذ الرعينى (ت سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٩م) من أهل بجايه كان لغويا نسابا ، استقدمه ليستفيد من علمه وليستفيد منه ، فجمع له كتب ابن حبيب وروايته ، واستقر بمدينة قرطبه بحومة مسجد مسلمة قرابة سنة كاملة لالقاء دروسه ثم عاد الى مدينته بجايه مرة أخرى . وفى تلك الاشارة الخاصة بتحديد مجلس هذا الفقيه (بحومة مسجد مسلمة) مايوحي لنا بوجود مساجد أخرى في قرطبه لها أهميتها وثقلها غير المسجد الجامع ، وبوجود أماكن خاصة بالاقامه ملحقة بالمسجد كان يقيم فيها هذا الفقيه لمدة عام الى أن عاد الى مدينته . وممن استقدمهم المستنصر أيضا محمد بن فرج بن سبحون النخلى (ت عام ٣٦٧ هـ / ٩٧٧م) الذى قدم الى قرطبه ، فسمع منه الناس ، واستفادوا من علمه ، ثم عاد الى مدينته بجايه أيضا بعد انتهاء مهمته حيث توفى فيها . ومنهم محمد بن مروان بن زريق وكان من أهالى بطليوس ، وقد كتب عنه المستنصر في مذكراته الخاصة ما يدل على أهمية ذلك العالم(١) ، وأيضا محمد بن حسن بن عبد الله بن مذحج الزبيدى من اشبيلية ، استقدمه المستنصر الى قرطبه فنال بها جاها عظيما ورياسه ، وكان واحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة حتى استأدبه

---

(١) محمد عيسى : نفس المرجع ، ص ٣ .

المستنصر لابنه هشام ، ثم قدمه الى القضاء والشرطة . وقد قرئ عليه بعض كتبه في اللغة وبعض ما ألفه لأنه كان اماما في اللغة [1] . ومنهم محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدى النحوى المعروف بالرياضى من أهل قرطبة ، كان فقيها موثوقا اخذ عن كتاب سيبويه وقد اختص به المستنصر فصار الى خدمته في مقابلة الكتب [2] .

استقدام العلماء المشارقه الى الاندلس وتكريمهم :

كان المستنصر شديد الاهتمام باستقدام العلماء المشارقه الى قرطبه والترحيب واكرام مثواهم ورفع منازلهم عنده ، ومن هؤلاء الذين وصلوا الى الاندلس والى قرطبه بالذات على عهده اسماعيل بن عبد الرحمن القرشى الذى رحل من مصر الى الاندلس على الرحب والسعه والتكريم [3] . وأيضا العلامه المقرى عبد الملك بن ادريس البجاشى الذى رحل ثم عاد الى الاندلس ومعه كتاب الوقف والابتداء عن نافع برواية ورش . وما ان علم الخليفه الحكم بذلك حتى بعث في طلبه فاطلع على ما عنده واستفاد منه وغيره كثيرا [4] .

انشاء المكاتب لتعليم الأولاد :

حرص المستنصر على انشاء مكاتب في مدينة قرطبه ليتعلم فيها أولاد

---

(١) ابن الفرضى : تاريخ علماء الاندلس ، القسم الثانى ، ص ٨٩ .
(٢) ابن الفرضى : المصدر السابق ، ص ٦٠ .
(٣) محمد عيسى : المرجع السابق ، ص ٤٠ .
(٤) المراكشى : الذيل والتكمله ، القسم الاول ، ص ١٣ .

الفقـــراء الضعفاء والمساكين بالمجان ، ثم جعل للمعلمين الذين يقومــون بتدريسهم أوقافا من دخل حوانيت السراجين لكى يضمن لهم مرتبا ثابتــا يتقاضونه لكى يعينهم على الحياة وصعوبتها . ويعتبر هذا العمـــــل وتلك الخطوة الرائدة من أفضل اعماله وأحسنها . وفى هذا الصـــــدد يقول ابن عذارى [ومن مستحسنات اعماله اتخاذ المؤدبين يعلمـــــون أولاد الضعفاء والمساكين القرآن حوالى المسجد الجامع بكل ربض مـــن أرباض قرطبه ، وأجرى عليهم المرتبات ، وعهد اليهم بالاجتهاد والنصـــح ابتغاء وجه الله العظيم . وعدد هذه المكاتب سبعة وعشرون مكتبا ، منهـا حوالى المسجد الجامع ثلاثة وباقيها فى كل ربض من ارباض المدينة ، وفى ذلك يقول ابن شخيص :-

وساحه المسجد الأعلى مكللـــة
مكاتبا لليتامى من نواحيهـــا
ولو مكنت سور القرآن من كلــم
نادتك ياخير تاليها وواعيهـــا] (١)

ويمكن اعتبار المستنصر بهذا العمل أول خليفه فى العالم سن التعليم المجانى ، وبهذه الطريقه أصبح شعب الاندلس متمتعا بالعلم فقراؤه قبــل أغنيائه ، فانعدمت بذلك الأمية ، واقبل الناس يتهافتون على تلقى العلوم ، وانتشر التعليم انتشارا عظيما ، وزاد الوعى الثقافى ، وتفتحت ثم نضجـت

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ٣٤٠ - ٣٤١ .

العقليات بذلك النور الذى منه الله به عليهم حتى اصبح هناك نوع من التنافس على حفظ كتب العلم ، ومن يحفظ فله جائزة قيمه ، فأقبل الناس يحفظون ويتعلمون بشغف كبير . ولم يقتصر التعليم على الرجال فقط بل كان تعليم النساء شائعا فى الاندلس وأقبلت الكثيرات على التعليم ، وعلى حفظ الدواوين فى الادب وعلى كتابة الشعر ، حتى ظهر نتيجة لتلك الحركة كثير من النساء العالمات الفاضلات ذوات المكانة المرموقة [1] وبلغ من حبهن للعلم انه كان فى الربض الغربى حوالى مائة وسبعين امرأة يكسبن رزقهن من نسخ الكتب . ومن اشهر هؤلاء لبنى كاتبة الحكم المستنصر ، فقد كانت حاذقة بالكتابة نحوية شاعرة بصيرة بالحساب عروضية وخطاطة ولها مشاركة فى كثير من العلوم [2] .

وبذلك انتشر التعليم انتشارا واسعا فى بلاد الاندلس حتى ان معظم شبانها كان متعلما . وفى هذا الصدد يعلق احد مؤرخى الافرنج بقوله : [ان سكان اسبانيا الاسلامية الا قليلا كانوا يقرأون ويكتبون على حين كان أهل الطبقة العليا فى أوروبا المسيحية أميين لا يقرأون ما عدا أفرادا قلائل من الشماسة جعلوا الكتابه من شأنهم] [3] .

اهتمام الحكم المستنصر بتأليف الكتب والحصول على النادر منها :

ارتفع المستنصر فى مجال اهتمامه بالكتب الى درجة عالية جدا لم يدانه فيها أحد ، فقد تجلت مظاهر اهتمامه بها والحصول عليها بعدة

---

(١) عبد الكريم التواتى : مأساه انهيار الوجود العربى فى الاندلس ، ص ٦٦ - شكيب ارسلان : تاريخ غزوات العرب ، ص ٢٣٤ .
(٢) ابن بشكوال : الصله ، القسم الثانى ، ص ٦٩٢ .
(٣) محمد كرد على : غابر الاندلس وحاضرها ، ص ٨٧ .

طرق منها : تشجيع التأليف والاعتناء به والاثابة عليه واكرام العاملين واحترامهم وحثهم عليه سواء كانوا في داخل الاندلس أو في خارجها . فمثلا وجه الحكم المستنصر الى أبي الفرج الاصبهاني الف دينار ، ليرسل له نسخة من كتاب الأغاني من قبل ان يحصل عليها احد في العراق أو ينسخها احد منه ، فارسل له نسخة منقحة حسنة الخط ، فسر بها سرورا عظيما ، كما ارسل له أيضا كتابا آخر ألفه في انساب بني أمية ، يشيد فيه بأمجادهم وآثارهم وهممهم . فسر به ، وجدد له الصلة مرة أخرى [1] .

كما فعل ذلك مع القاضي ابي بكر الابهري المالكي في شرحه لمختصر ابن عبد الحكم [2] . ومع محمد بن القاسم بن شعبان بمصر ، ومحمد بن يوسف الوراق الذي قام بتصنيف كتاب ضخم له في (مسالك افريقيا وممالكها) ولقد الف في اخبارها وملوكها وحروبهم والقائمين عليها كتبا جمة ، وكذلك في اخبار تيهرت ووهران وتنس وسجلماسة ونكور والبصرة ، وغيرها من التواليف الحسان [3] .

أما في داخل الاندلس فقد كان نشاط الحكم المستنصر في مجال التشجيع على التأليف كبيرا جدا ، وقد اتخذ في هذا السبيل عدة وسائل منها : الاعفاء من الغزو في مقابل تأليف كتاب ، وهاذ ما حدث

---

(١) المقري : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٣٦٢ - ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ١٤٦ - المراكشي ، المعجب ، ص ٦١ - ٦٢ .

(٢) المقري : نفس المصدر ، ص ٣٦١ ، ص ٣٦٢ .

(٣) الضبي : بغية الملتمس ، ص ١٤١ .

مع الفقيه عبد الله بن مغيث (ت عام ٣٥٢ هـ / ٩٦٣م) المعروف بابن الصفار ووالد القاضي يونس قاضي الجماعة بقرطبه ، والذى يحدثنا فيقول : [لما اراد الحكم المستنصر غزو الروم سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة تقدم الى والدى ليكون فى صحبته فاعتذر بضعف فى جسمه ، فقال المستنصر لاحمد ابن نصر قل له : ان ضمن لى ان يؤلف فى اشعار خلفائنا بالمشرق والاندلس مثل كتاب الصولى فى اشعار خلفاء بنى العباس أعفيته من الغزو ، فخرج احمد بن نصر اليه بذلك فقال : افعل ذلك لامير المؤمنين ان شاء الله . فقال المستنصر : ان شاء ان يكون تأليفه فى منزله فذلك وان شاء ان يكون فى دار الملك المطلة على النهر فذلك له ، قال فسأل ان يكون ذلك فى دار الملك ، وقال انا رجل مورود فى منزلى وانفرادى فى دار الملك لهذه الخدمة اقطع لكل شغل فاجيب الى ذلك وكمل الكتاب فى مجلد صالح وخرج به احمد بن نصر الى الحكم المستنصر فلقيه بالمحلة بطليطله فسر الحكم به (١)] .

ومن هذه الوسائل التشجيعية ايضا تقديم الجوائز الكبرى واسناد الوظائف المهمة الى العلماء الذين يعملون على التأليف مثلما حدث مع احمد بن عبد الملك الاشبيلي (ت ٤٠١ هـ / ١٠١١م) . فلقد كان احفظ لاقوال مالك واصحابه ، جمع للحكم امير المؤمنين كتابا حافلا سماه كتاب (الاستيعاب) ، وقد جمعه له مع ابى بكر محمد بن عبد الله

---

(١) الضبى : بغية الملتمس ، ص ٣٣٣ - ابن خاقان - مطمح الانفس ، ص ٥٩ .

القرشى ، ثم رفعه الى الحكم ، فوصلهما بجائزة كبيرة . ثم قدمهما للشورى (١) .

وحدث هذا أيضا مع محمد بن ابى الحسين ، وكان عالما باللغة والأدب وكان اثيرا عند الحكم المستنصر ، وقد أمره بمقابلة كتاب (العين) للخليل مع ابى على البغدادى (٢) . وأيضا مع احمد بن سعيد بن مقدس من أهل البيره ، وكان نحويا لغويا ضابطا للكتب ، ولقد نسخ للمستنصر بالله رحمه الله كثيرا (٢) . اما اسحاق بن سلمة بن وليد بن بدر بن اسهد بن مهلهل بن ثعلبة بن مودعة ، فقد كان حافظا لاخبار اهل الاندلس ومعتنيا بها ، وجمع كتابا فى اخبار الاندلس أمره بجمعه المستنصر بالله (٣) . ومحمد بن ابان بن سيد اللخمى من أهل قرطبه ، وكان عالما بالعربية واللغة حافظا للأخبار والانساب والايام والمشاهد والتواريخ ، وكان مكينا عند الحكم المستنصر ، وألف الكتب وكتب عنه ، واكرمه وقربه منه (٤) .

هكذا كان الحكم المستنصر أكثر الخلفاء الاندلسيين تسامحا وحرية فكر حتى قال عنه دوزى : [لم يحكم اسبانيا يوما من الأيام حاكم على هذا الدرجه من العلم . نعم ان كل من جاءوا قبله من امراء الاندلس وخلفائها كانوا رجالا ذوى علم وولع بجمع الكتب ، ولكن احدا منهم لم

(١) الضبى : بغية الملتمس ، ص ٧١ .
(٢) ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الثانى ، ص ٧٣ .
(٣) ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الثانى ، ص ٦٧ .
(٤) ابن الفرضى : نفس المصدر ، القسم الثانى ، ص ٦٧ .

يطلب الكتب القيمه والناد ره بهذ ه الهمه] (١) .

تهيئة الجو العلمي للعلماء :

ونظرا لما كان عليه الحكم المستنصر من حب للعلم ورغبة منه في تشجيع العلماء على التأليف فقد حرص على أعداد المراجع العلمية لهم وعلى اعداد المكان المناسب لتأليفهم ، بل كان حريصا أيضا على متابعتهم في علمهم وتشجيعهم وتوفير كل ما كانوا يحتاجونه . ولم يكتف في هذا الصدد بالمساعدات والهبات المادية فحسب بل ساعد من الناحية العلمية في امداد هم بما يحتاجون من مصادر وبحوث قيمة ، فقد ارسل الى الكاتب المصري ابن سعيد عبد الرحمن بن يونس صاحب كتاب (تاريخ مصر والمغرب) كتابا استعان به هذا المؤرخ في تصنيف كتابه فيما يخص الاندلس . وكذلك أمر المستنصر محمد بن الحسين وابنه سعيد ، وأبا على القالى بمقابلة كتاب العين للخليل بن احمد في دار الملك التي بقصر قرطبه ، واحضر من الكتاب نسخا كثيرة في جملتها نسخة القاضي المنذر بن سعيد (٢) ، فلقد حرصوا على استحضار كافة النسخ والحصول عليها وذلك لتحقيق النصوص تحقيقا سليما (٣) .

وهكذا نلاحظ الجهود الكبيرة التي بذلها المستنصر في توفير الأجواء المناسبة لدفع الحركة العلمية ورعايتها ، فهو بما طبع عليه من محبة للعلوم والآداب وبما اكتسبه في صغره من المعرفة والثقافة ، كل ذلك دفعه بشكل قوى الى العمل على ارساء قواعد النهضة العلمية في بلاده ،

---

(١) انجل جنثالث بلنسيه : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ١٠ - ١١ .
(٢) الحميدى : المصدر السابق ، ص ٤٧ - ٤٩ .
(٣) محمد عيسى : تاريخ التعليم في اسبانيا ، ص ١٠ .

وتشجيع العلماء ورجالات الفكر والأدب واغداق الاموال والصلات عليهم .
ولم يقف عند هذا الحد بل سعى الى توفير اجواء العلم المناسبة من
استحضار الكتب النفيسة والمؤلفات النادرة لكي يبني صرحا علميا حضاريا
شامخا وقف له التاريخ باجلال ، وأشاد به المؤرخون والعلماء بصورة
لم ينلها غيره من خلفاء الاسلام .

د ـ انشاء مكتبة القصر والمكتبات الفرعية والخاصة :

نتيجة لاهتمام الحكم المستنصر بالعلم وأهله ، تكونت لديه مكتبة ضخمة ، وذلك لأنه رغب في البحث عن كل كتاب أو مخطوطه يمكن أن تضيف جديدا الى العلم واهله ، فوجه مجموعة من رجاله الى كل مكان للبحث والتنقيب والاستقصاء عن جميع الكتب النادره والقيمة ، وأمدهم بالأموال الجمه لشرائها ، أو كتابتها ، أو نقلها حتى جلب الى الاندلس منها مالم يوصف ، وحملت اليه من كل جهة . وفي ذلك يقول ابن الأبار : [كان حسن السيرة فاضلا عادلا شغوفا بالعلوم ، حريصا على اقتناء دواوينها ، يبعث فيها الى الاقطار والبلدان ، ويبذل في أعلاقها ودفاترها أنفس الاثمان ، ونفق ذلك لديه ، فحملت من كل جهه اليه ، والملك سوق مانفق فيه جلب اليها ، حتى غصت به بيوته وضاقت عنها خزائنه] (١) . وكان له عملاء في بغداد والقاهره والاسكندريه وبلاد الشام وبلاد فارس يبتاعون له الكتب العلمية والأدبية ويرسلونها له ، وفي ذلك يقول ابن الأبار أيضا : [كان له وراقون بأقطار البلاد ينتخبون له غرائب التواليف ، ورجال يوجههم الى الآفاق عنها] (٢) .

ونتيجة لذلك اجتمع لديه من المؤلفات والمخطوطات والكتب القيمه ما يضاهي ما جمعته ملوك بني العباس في الأزمنة الطويله (الا ما يذكر عن الناصر العباسي بن المستنصر) (٣) . وقد تهيأ له ذلك لفرط محبته

(١) ابن الأبار : الحله السيراء ، جـ ١ ، ص ٢٠٠ .
(٢) ابن الابار : نفس المصدر السابق والجزء ، ص ٢٠٢ .
(٣) المقري : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٣٦٢ .

فكثر تحرك الناس واقبالهم على القراءة والاستزادة من العلوم والمعارف ، وتعلم مذاهب الأولين . ولقد بلغ اهتمام الحكم المستنصر بالكتب والحصول عليها درجه عاليه جدا لم يدانه فيها أحد . وقد عرفنا في الجزء الماضي مدى حرصه على وصل العلماء وتهيئة الأجواء المناسبة لهم للتأليف وتشجيعه عليهم واغنائهم من كل مهمه بسببه وتهيئة الكتب والمصادر لهم ، فنشأ عن ذلك مكتبه ضخمه حوت جميع أنواع المؤلفات والمعارف في كل اتجاه ، ونتيجة لضخامة المكتبه وكثرة كتبها ضاقت عنها خزائنه في ابهاء القصر الملكي ، ولذلك قرر انشاء مكتبة كبيرة تتسع لتلك الثروات الضخمه . وفي ذلك يقول المقري : [كان يستجلب المصنفات من الاقاليم والنواحي باذلا فيها ما أمكن من الأموال حتى ضاقت عنها خزائنه .] (١) وعند ما عزم على انشاء المكتبه استمر العمال في نقلها من خزائن ابهاء القصر الملكي الى المكتبه الجديده مدة ستة أشهر لضخامتها وكثرة محتوياتها حتى انه قيل ان عدد الكتب قد بلغ أربعمائة ألف مجلد (٢) .

وكانت مكتبة المستنصر مرتبة على أحدث الطرق العلميه المستخدمه في عصرنا هذا ، فقد كانت مقسمة الى فهارس وكل فهرس الى أوراق مكتوب عليها

---

(١) المقري : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٣٧١ .

(٢) صاعد الاندلسي : طبقات الامم ، ص ١٠٢ - ابن خلدون : العبر ، جـ ٢ ، ص ١٤٦ .

أرقاما معينه . وقيل ان عدد الفهارس قد بلغت اربعة وأربعين فهرسا كل منها عشرون ورقة ، ليس فيها الا ذكر اسماء الدواوين فقط (١) .

ولقد قسمت المكتبه الى عدة أقسام ، فجزء منها للكتب ، وجزء للادراج والفهارس ، وجزء للنساخين والمجلدين ، وجزء للمراجعين للكتب التي تدخل المكتبه أي الكتب الجديده المستقدمه من كل مكان ، لأن الحكم المستنصر حرص على ان يجمع بداره الحذاق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والمجيدين في التجليد (٢) . اما المشرف على تلك المكتبه الضخمة فقد كان أخو الحكم المستنصر ، ويدعى عبدالعزيز بن عبد الرحمن الناصر، وحوت المكتبه من الدرر الثمينه والذخائر الشيء الكثير ، فقد احتوت على الكتب التي جمعها الامير عبد الرحمن الاوسط ، والذخائر والتحف التي جمعها عبد الرحمن الناصر ، بالاضافة الى ما جمعه هو نفسه من ثروات علميه نفيسه (٣) .

ولقد اختلف في تقدير محتوياتها ، فقدرها بعضهم بأربعمائة ألف مجلد ، وقدرها بعضهم الآخر بستمائة ألف مجلد . ولم تكن الاندلس مقتصره على تلك المكتبه الضخمة فقط ، بل كانت توجد في قواعد الاندلس

---

(١) ابن الابار : الحله ، جـ ١ ، ص ٢٠٣ - ابن حزم : جمهرة انساب العرب ،تحقيق وتعليق عبد السلام هارون ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف بمصر ، ص ٩٢ - المقرى : نفح الطيب ،جـ ١ ، ص ٣٦٢ - ابن خلدون : العبر ، جـ ٢ ،ص ١٤٦ .

(٢) المقرى : المصدر السابق ،ص ٣٦٢ - ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ١٤٦ .

(٣) عبد الكريم التوانى : مأساة انهيار الوجود العربى بالاندلس ،ص ٦٥٩ .

الاخرى سبعون مكتبه زاخره بالكتب النفيسه القيمه ، وهذا يدل على مدى التقدم العلمى العظيم الذى وصلت اليه الاندلس فى تشجيع الحركة الفكرية والعلميه فى البلاد (١) .

ولم يقتصر الشغف والاقبال على جمع الكتب واقتنائها على الخليفه المستنصر فحسب بل اعتنى الكثير من كبراء عصره وعلمائه بانشاء مكتبات خاصة حوت الكثير من الكتب القيمه ذات النفع العظيم . وحتى النساء المثقفات اشتغلن بجمع الكتب وانشاء المكتبات ، ومن اشهرهن عائشة بنت احمد بن قادم ، وكانت من أبرع النساء فى الأدب والشعر ، وكانت مكتبتها من أغنى المكتبات الخاصه بما حوته من ذخائر وتحف . ولم يقتصر هذا الاهتمام على ابناء المسلمين فحسب ، بل تعداه الى سائر الاجناس والديانات من يهود ونصارى ، فلقد برع أفراد الطائفتين باجادة اللغة العربية ، وبالتالى استطاعوا تذوق ثمارها بما أتيح لهم من فرص . ومن أشهر هؤلاء الطبيب اليهودى حسداى بن شبروط طبيب الخليفه عبد الرحمن الناصر وابنه المستنصر ، ففى ظله وتحت رعايته وتشجيعه كتب اليهود فى قرطبه باللغة العربية وألفوا الكتب عنها (٢) . ولقد اشتهر أهل قرطبه بتقديرهم للكتب وشغفهم باقتنائها حتى أصبح ذلك عندهم دلالة على الوجاهة والرئاسه ، وحتى أن بعضهم كان لا يعرف قيمة الكتاب ومادته

---

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، الجزء الاول ، القسم الثانى ، ص ٥٠٩ .

(٢) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، ج ١ ، القسم الثانى ، ص ٥٠٩ .
- ليفى بروفنسال : حضارة العرب ، ترجمة دوقان قرقوط ، ص ٦٤ .

ولكنه كان يحرص على شرائه لكي يزين به مكتبه ويسد به نقصا في المكتبه ، أو ليقال ان فلانا عنده الكتاب الفلاني من دون الناس (١) .

ويقص علينا المقري قصة رواها عن احد رواد سوق الكتب في قرطبه ويدعى الرجل بالحضرمي ، فيقول : [أقمت مرة بقرطبه ولازمت سوق كتبها مدة أترقب فيه وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء ، الى أن وقع وهو بخط فصيح وتفسير مليح ، ففرحت به أشد الفرح ، فجعلت أزيد في ثمنه فيرجع الي المنادي بالزيادة عليّ الى أن بلغ فوق حده ، فقلت له : يا هذا أرني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلغه الى ما لا يساوي . قال : فأراني شخصا عليه لباس رياسة ، فدنوت منه وقلت له : أعز الله سيدنا الفقيه ان كان لك غرض من هذا تركته لك فقد بلغت به الزياده بيننا فوق حده . قال : فقال لي : لست بفقيه ولا أدري ما فيه ولكني أقمت خزانة كتب واحتفلت بها لأتجمل بها بين أعيان البلد ، وبقى فيها موضع يسع هذا الكتاب فلما رأيته حسن الخط جيد التجليد استحسنته ولم أبال بما أزيد فيه . والحمد لله على ما أنعم به من الرزق فهو كثير . قال الحضرمي : فأحرجني وحملني على ان قلت له : نعم لا يكون الرزق كثيرا الا عند مثلك ، يعطي الجوز من لا له اسنان . وأنا الذي أعلم ما في هذا الكتاب ، وأطلب الانتفاع به يكون الرزق عندي قليلا وتحول قلة ما بيدي بيني وبينه] (٢) .

(١) السيد عبد العزيز سالم : قرطبه حاضرة الخلافه ، جـ ٢ ، ص ١٦٢ .
(٢) المقري : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ١١ .

وهكذا اسهم الخليفه الحكم المستنصر فى جعل سوق الأدب والعلم فى الاندلس من أكثر الاسواق رواجا ، فأمه العلماء والطلاب من جميع البقاع للشراء وللاستزاده فى معلوماتهم وللدراسه ، وأمه العلماء لشراء المزيد من الكتب ولبيع مؤلفاتهم بأثمان مغريه . وكان لتشجيع المستنصر واهتمامه بالكتب ان فتحت الأبواب لجميع العلماء للتأليف وللاثابة عليه حتى قيل عن الحكم انه لم يجمع فى الاسلام بخليفة بلغ مبلغه فى اقتناء الكتب والتشجيع عليها ، وايصال صلاته الى العلماء حتى فى الامصار والمناطق الخارجه عن الاندلس كما فعل مع ابن الفرج الاصبهانى للحصول على مؤلفه الاغانى قبل ان يحصل عليه احد (١) . ولقد اعتبر الحكم المستنصر فى حبه وشغفه بالعلم بعد عهد ابيه عبد الرحمن الناصر كالمأمون العباسى بعد عهد هارون الرشيد . فقد كان بحرا زاخرا فى الأدب والتاريخ وعالما كبيرا بالعلوم الدنيويه مشجعا على دراستها ومؤيدا فيها للرأى الحر والتفكير المنطقى السليم . وقد جاءت بعد حركة جمع الكتب حركة تنسيق وتبويب ونسخ وتعليم شارك فيها جميع أفراد الشعب وعلى رأسهم المستنصر الذى حرص على كل كتاب يقرأه ان يدون ملاحظاته ورأيه فيه . (٢)

وكان المستنصر يقضى جزء من وقته بين ابهاء وأروقه مكتبة القصر ، يطالع فيها ويقرأ ويبحث ويعلق ، وكان من أعظم اصفيائه فى هذه القرآت الشخصيه المفيده محمد بن يوسف الحجارى ، والفتى سابور الفارسى(٣).

---

(١) المقرى : المصدر السابق ، ص ٣٦٢ - ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ١٢٦ .

(٢) على محمد راضى : الاندلس والناصر ، ص ٦٨ .

(٣) عبد الكريم التوانى : المرجع السابق ، ص ٦٦٠ .

هـ - توسعته للمسجد الجامع بقرطبه وتحويله الى جامعه علمية :

يعتبر مسجد قرطبه الجامع من أضخم وأعظم الاعمال المماريه التى قام بها المسلمون فى الشرق والغرب . ويعد محرابه من أروع محاريب الجوامع الاثرية الباقيه حتى وقتنا الحاضر ، وهذا انما يدل على ان المسلمين كانوا من أعظم مهندسى الدنيا حتى مطالع العصور الحديثه ، وعجيبة هذا المسجد وميزته وجماله متركزه فى الزياده التى اضافها الحكم المستنصر فى عهده الزاهر ، والتى استطاع فيها أن يؤلف بين الوضع القديم والجديد بصورة فنية حفظت للبناء جدته وتكامله وجماله (١) .

ويروى لنا هذا الجامع فى تطوره قصة البيت الأموى الذى أسسه عبد الرحمن الداخل والتى وصلت بعده الخلافة الأمويه الى أوجها وعظمتها فى أيام عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر ، وكذلك وصل الجامع الى أوجه وعظمته فى ايامهما (٢) .

ولقد حرص حكام البيت الأموى ان يضيفوا الى هذا المسجد قدر ما استطاعوا فكان كل منهم يجتهد فى الاضافة اليه ووضع اسمه فيه (٣) .

ويقع المسجد الجامع بقرطبه على امتداد الواجهه الشرقيه للقصر الخلافى ، والى شمال قنطره قرطبه (٤) .

---

(١) حسين مؤنس : رحلة الاندلس ، القاهره ، ١٩٦٣ ، الطبعة الاولى ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ص ٧٢ .
(٢) حسين مؤنس : نفس المرجع السابق ، ص ٧٩ .
(٣) حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ١٠٢ .
(٤) السيد عبد العزيز سالم : قرطبه ، جـ ١ ، ص ١٩٥ .

ويصفه الحميرى بقوله : [من أجل مصانع الدنيا كبر مساحة ، واحكام صنعه ، وجمال هيئة ، واتقان بنيه ، تهمّم به الخلفاء المروانيون ، فزادوا فيه زيادة بعد زيادة ، وتتميما اثر تتميم ، حتى بلغ الغاية فى الاتقان فصار يحار فيه الطرق ويعجز عن حسنه الوصف] (١) .

ويعد هذا المسجد مفخره من مفاخر قرطبه حيث يقول فيه ابو محمد ابن عطيه :

بأربع فاقت الامصار قرطبه	منهن قنطرة الوادى وجامعها
هاتان ثنتان والزهراء ثالثه	والعلم أكبر شىء وهو رابعها (٢)

وكان هذا المسجد موضع تعظيم واجلال وتكريم من قبل أهل الاندلس جميعا لأن التابعين - رضوان الله عليهم - مثل حنش الصنعانى وغيره قد تولوا تأسيسه والمشاركة فى بنائه ، ولذلك أطلق عليه الجامع الأعظم ، والجامع المبارك ، والجامع المكرم . وبلغ من احترام أهل الأندلس وتعظيمهم له انهم اهتموا به وطوروه ، ولم يحاولوا ان يشيدوا غيره ، رغم ما كان لهم من أبهة الخلافة وعظمة الملك وكثرة الاموال . ولكن حرصا منهم على التقاليد ، والتمسك بمناهج أجيالهم الأولى (٣) .

ولم تقتصر وظيفة جامع قرطبه على اعتباره مركزا دينيا ومسجدا بل

---

(١) الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٥٣ .
(٢) السيد عبد العزيز سالم : قرطبه ، جـ ٢ ، ص ١٥٩ .
(٣) حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٩٢ .

كان يتخذ لبعض المهام الكبرى في الدوله مثل بيعة الأمراء والخليفة الجديد ، وكانت تعلن من فوق منبره العظيم الامور الهامه فى الدولة ، وتقرأ الأوامر الخلافية ليسمعها الجميع ، وفيه يعقد مجلس قاضى القضاة . وفضلا عن ذلك كله كان مركزا لجامعة قرطبه الشهيره التى نمت وازدهرت فى فترة الخلافة الزاهيه ، فقد كانت تنتظم بين أروقته حلقات الدراسة من كل فرع ولون ، والتى جعلت من قرطبه أعظم مركز للدراسات العلميه على اختلاف مجالاتها (١) .

ولقد افتتح الحكم المستنصر خلافته بالنظر فى زيادة المسجد الجامع بقرطبه وهو أول عمل حرص على تنفيذه عند ولايته للحكم . وقد قلد هذا الامر لحاجبه وسيف دولته جعفر المصحفى ، وكان ذلك فى اليوم الرابع من شهر رمضان من عام ٣٥٠ هـ / ٩٦١م ، وهو ثانى ايام حكمه السعيد (٢) .

وكان سبب تلك الزيادة ان عدد السكان فى مدينة قرطبه قد ازداد زيادة كبيرة فى عصر عبد الرحمن الناصر ، حتى ضاق بهم المسجد ولم يعد يتسع لجموع المصلين فى أيام الجمع والاعياد ، مما دعا الحكم المستنصر الى التفكير فى الزيادة فيه وتوسعته حتى تتسع جنباته لتلك الجموع الهائله من الناس . فقرر الخروج بنفسه لتقدير تلك الزيادة ، ثم دراسة

---

(١) محمد عبد الله عنان : الاثار الاندلسيه الباقيه فى اسبانيا والبرتغال ، القاهره ، (١٣٨١ هـ - ١٩٦٩ م ، الطبعة الثانيه ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، موسسة الخانجى بالقاهرة ، ص ٢٢ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

التخطيطات اللازمه للبناء وتفصيل وحدة المنيان ، ثم أمر بعد ذلك باحضار المختصين من مهندسين ، وبنائين ، وعرفاء ، وفعالين ، والآلات والمواد اللازمه للبناء وكل احتياجات المسجد سواء من رجال أو مواد بناء ، وبعد ذلك امر باحضار الاحجار اللازمة للبناء من جبل قرطبه .

وقد حددت الزيادة المطلوبه فكانت محددة من قبلة المسجد التى نهاية الفضاء القبلى ، وامتدت الزيادة نحو الجنوب فمدت صفوف من الاقواس القديمة جنوبا مسافة ٩٥ ذراعا أى ٤٦ مترا . ولكن قبل أن يبدأ المهندسون أعمالهم للمسجد اعترض العلماء وأهل التعديل على البناء حسب الاتجاه القديم ، لأن القبلة القديمة كانت منحرفه الى ناحية المغرب ، فاضطر الحكم المستنصر توقيف العمل ثم استشار أهل الرأى والعلم فى تحريفها ناحية المشرق ، ولكن الفقيه أبا ابراهيم - وكانت له مكانة خاصة عند الخليفه الحكم المستنصر - اعترض على ذلك قائلا : [يا أمير المؤمنين ، انه قد صلى الى هذه القبله خيار هذه الأمة من أجدادك الأئمة وصلحاء المسلمين وعلمائهم منذ افتتحت الاندلس الى هذا الوقت متأسين بأول من نصبها من التابعين كموسى بن نصير ، وحنشى الصنعانى ، وأمثالهم ، رحمهم الله تعالى ، وانما فضل من فضل بالاتباع وهلك من هلك بالابتداع . فأخذ الخليفه برأيه وقال : نعم ماقلت ، وانما مذهبنا الاتباع .] (١) . وهكذا تم بناء قبة المحراب فى جمادى الاخر من

---

(١) المقرى : نفح الطيب ، المجلد الاول ، جـ ٢ ، ص ٩٨ .

سنة ٣٥٤ هـ . وفى نفس هذه السنة وصلت الفسيفساء للمسجد الجامع للتزين به ، فزين به وجه المحراب ووجه العقدين فى الشرق والغرب ، وزينت به أيضا القبه الوسطى التى تعلو المحراب (١) .

ويذكر ابن عذارى : ان الحكم المستنصر ارسل الى ملك الروم طالبا منه الفسيفساء لتزيين المسجد مع العمال لتركيبها كما فعل مع الوليد بن عبد الملك عندما تم بناء مسجد دمشق ، فتم له ما أراد وارسل ملك الروم الفسيفساء والصناعين المهره ، فعملوا فى المسجد مع رجال من الصانعين فى الاندلس الذين تعلموا الصنعه منهم فاتقنوها وتم التزيين فى أحسن صوره (٢) .

وهكذا تم بناء قبة المحراب وسجل على القاعده المشبكه لهذه القبه الكتابة التذكارية الآتية مبدوءة بقوله تعالى [.. ﴿ ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين ﴾ الحمد لله رب العالمين موفق الامام المستنصر بالله عبد الله الحكم أمير المؤمنين أصلحه الله لهذه البنيه المكرمة ومعينه على نيته الخالدة فى التوسع لرعيته .. ما اليه واليهم الرغبة فيما ابتدا من فضله فيهم وصلى الله على محمد وسلم ... أمر الامام المستنصر بالله عبد الله الحكم أمير المؤمنين وفقه الله مولاه وحاجبه جعفر بن عبد الرحمن رحمه الله

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : قرطبه ، جـ ١ ، ص ٣٤١ .
(٢) السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع والجزء ، ص ٣٤٢ نقلا عن ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٣٥٤ .

بتشبيك هذه البنية ، فتم بعون الله بنظر محمد بن تمليخ واحمد بن نصر وخالد بن هاشم اصحاب شرطته ومطرف بن عبد الرحمن الكاتب ...] (١) .

ويعلو عقد المحراب نقش كوفى جميل فيه يظهر بوضوح امر الحكم المستنصر لحاجبه بعمل الفسيفساء فى البيت المكرم ، ولقد تم ذلك بالعمل فى عام ٣٥٤ هـ ، وفى نفس هذه السنه التى أقام فيها قبة المحراب ، وزينت الجدران بالفسيفساء تم عمل المشرع الى الساباط المتصل بالمقصوره عن طريق العقد المجاور للمحراب من اليمين ، والمخزن المتصل بالمقصوره عن طريق العقد الذى يلى عقد المحراب من اليسار (٢) .

وفى سنة ٣٥٤ هـ سجل ذلك فى نقش كتابى نصه [بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا * رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا * رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ * وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا * أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ . الملك لله على الهدى وصلى الله على محمد خاتم الانبياء ، امر الامام المستنصر بالله عبد الله الحكم أمير المؤمنين وفقه الله مولاه وحاجبه جعفر بن عبد الرحمن رحمه الله بعمل هذا المشرع الى مصلاه ، فتم بعون الله ، بنظر محمد بن تمليخ واحمد بن نصر وخالد بن هاشم ومطرف بن عبد الرحمن الكاتب . الحمد لله .] (٣) .

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : قرطبه ، جـ ١ ، ص ٣٤٠ .
(٢) السيد عبد العزيز سالم : قرطبه حاضرة الخلافه ، جـ ١ ، ص ٣٤٢ .
(٣) السيد عبد العزيز سالم : قرطبه ، جـ ١ ، ص ٣٤٣ .

وفى عام ٣٥٥ هـ أمر الحكم المستنصر بوضع المنبر القديم الى جانب المحراب . وفى عام ٣٥٦ هـ أمر الحكم المستنصر بهدم الميضاة القديمة التى بناها الامير هشام بن عبد الرحمن الداخل وبنى بدلا منها أربع ميضات فى كل جانب من جانبى المسجد الشرقى والغربى منها اثنتان كبرى للرجال واثنتان صغرى للنساء ، واجرى فيهما الماء من سفح جبل قرطبه الى أن صبت ماءها فى أحواض من الرخام لا ينقطع جريانه ليلا ونهارا وكانت مصنوعه من الداخل من الرصاص لكى تحفظه من كل دنس(1) .

ولقد تغنى الشعراء بتلك القنوات وفاطها التى كانت تمر بها المياه ، فهذا الشاعر محمد بن شخيص ينشد قائلا :

وقدْ خَرَقتَ بُطُون الأرضِ عن نُطَفٍ
مِن أعذَبِ الماءِ نحوَ البَيْتِ تَجْرِ بِهَا
طُهْر الجَسومِ إذا زالت طهارتها
رِىَ القلوب اذا حرت صَوَاديها
قَرَنت فَخْرًا بِأجْرٍ قَلَّ مَا اقْتَرنَا
فى أمةٍ أنتَ رَاعِيها وحاميها (2)

وقد اختتم الحكم المستنصر اعماله الانشائيه الخاصة بالمسجد الجامع بقرطبه ببناء دار للصدقه غربى المسجد الجامع لتوزيع الصدقات المتواليه وابتنى للفقراء البيوت قبالة باب المسجد الغربى (3) .

---

(1) المقرى : نفح الطيب ، المجلد الاول ، جـ ٢ ، ص ٩٢ - ٩٣ - ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٤٠ .
(2) ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ٣٤٠ .
(3) المقرى : المصدر السابق ، ص ٩٣ .

و ـ جامع قرطبة يتحول الى جامعة علمية فى عهده :

بعد أن علمنا ما كان من توسعة الحكم المستنصر بجامع قرطبه ، ننتقل لنرى كيف تحول الجامع الى تلك الجامعة العريقه . فنقول ان المسلمون لم يتخذوا المسجد فى فتره من الفترات للعبادة فحسب بل كان مركزا دينيا وعلميا فى وقت واحد . ولما كانت قرطبه عاصمة الخلافة فى الدولة الاموية بالاندلس فقد نشطت فيها الحركة العلمية نشاطا بارزا حتى غدت مركز اهل العلم والعلماء ، وصارت قاعدة للعلوم ومركزا للآداب ، وارتبط اسمها الى حد كبير بالعلم ، بل أصبح العلم من سماتها البارزة الواضحة ، وضربت الأمثال بشهرتها العلمية وباقبال أهلها على مجالس العلم وتزعمها بلاد الأندلس فى ذلك المجال . ويتضح لنا ذلك من قول ابن رشد لابن زهر فى مجال تفضيل قرطبة على اشبيليه [ما ادرى ما تقول غير انه اذا مات عالم بأشبيليه فأريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها ، وان مات مطرب بقرطبه فأريد بيع آلاته حملت الى أشبيليه .][1] .

ولقد اجتذبت قرطبه فحول العلماء والادباء والشعراء ، فقصدوها من كل مكان ، وأصبحت بلاد الاندلس مرتعا خصبا لنشاطاتهم العلمية وانتاجهم المثمر خصوصا حينما وجدوا البيئة الصالحة لنشر كل علومهم وأفكارهم بالاضافة الى الترحيب بهم من قبل حكامها الذين حرصوا على توفير الأمن والاستقرار ، وأمدوهم بكل ما يحتاجونه لتنمية مواهبهم

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : قرطبه حاضرة الخلافه ، جـ ٢ ، ص ١٥٩ ، ١٦٠ (نقلا عن المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٤٧) .

وقدراتهم ، ووفروا لهم كل السبل للانتاج والتأليف بصورة لم يعهدوها ، فشاركوهم فى مساجلاتهم الادبية وفى ندواتهم الشعرية ، ولقد حرص الحكم المستنصر بنفسه على كل ذلك حتى استحق ان يطلق عليه لقب الخليفة العالم (١) .

وكان من أبرز اهتماماته اهتمامه الكبير بجامع قرطبة ، فبفضل جهوده ومثابرته تحول الجامع الى جامعة علمية بكل ما تعنيه هذه الكلمه فى عصرنا الحاضر ، ومما ساعد على تحقيق هذا الهدف ما عرف عنه من اهتمام بجمع الكتب الثمينة ذات القيمة العلمية ، وما انفقه من أموال فى سبيل ذلك حتى تكونت لديه المكتبة الضخمة التى استفاد منها جميع رعاياه .

وكان جامع قرطبة شأنه شأن بقية الجوامع فى الامصار الاسلامية يقوم باداء رسالته العلمية فى المجتمع الاندلسى ، وكان علماء المسلمون يقومون بتدريس العلوم الشرعية فى المقام الأول ، ولكن الحلقات فى جامع قرطبه لم تقتصر على العلوم الشرعية واللغوية والأدبية فحسب بل تعدتها الى جميع العلوم الطبيعية من رياضة وفلك وكيمياء وطب وجغرافيا وتاريخ وغيرها من العلوم (٢) .

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : قرطبه ، جـ ٢ ، ص ١٦١ .
(٢) محمد عيسى : تاريخ التعليم فى اسبانيا الاسلامية ، ص ١ - ٢ ، عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، مطبعة معهد دون بوسكو ، الاسكندرية ، ط ٤ ، ١٩٧١م ، ص ٥٤ - ٥٥ .

ونتيجة لتدريس جميع المواد العلمية تحول جامع قرطبة الى جامعة علمية لكثرة العلماء والاساتذة الذين يحاضرون فيه ، ولكثرة الحلقات المعقودة فى أروقته للبحث والدراسة .

ولقد حرص الحكم المستنصر على امداد جامعة قرطبة بكل ما تتطلبه من امكانيات ماديه وتنظيمات ، فقد عين أخاه المنذر بن عبد الرحمن عميدا لها ، يرعى أمورها ويدير شؤونها ويتفقد أحوالها . ولم يكتف الحكم المستنصر بالقاء العبء على أخيه المنذر بل كان يراقب بنفسه تطور الامور وسيرها بالجامعة ، ويتتبع سير اخبارها ، ويسهر على امدادها بكل جديد ومفيد ، حتى بلغت تلك الجامعة فى عهده شأوا عظيما ، وبلغت قرطبه مكانة علمية عظيمة فحق لها ان تسمى دار العلوم . ولم تقتصر تلك الجامعة على الطلبه الاندلسيين فحسب ، بل توافد اليها الطلبه من جميع انحاء العالم الاسلامى والمسيحى معا فى جو رائع من التسامح والود (١) .

ولقد سبقت جامعة قرطبه فى تأسيسها الجامع الأزهر فى القاهره ، والمدرسه النظاميه فى بغداد (٢) .

ومن اشهر من درس فى جامعة قرطبه العالم الكبير أبو على القالى ،

---

(١) محمد كرد على : الاسلام والحضارة العربية ، ص ٢٠٦ - عبد الكريم التوانى : المرجع السابق ، ص ٦٦٠ - ٦٦١ - محمد الحسينى عبد العزيز : الحياة العلميه فى الدولة الاسلاميه ، بيروت ، دار العلم للملايين ، وكالة المطبوعات الكويت ، ١٩٧٣ ، ص ٢٤١ .

(٢) محمد مبروك نافع : تاريخ العرب ، الطبعه الاولى ، ١٩٤٩م ، مطبعة العالم العربى ، ص ٦٨٩ .

وابن القوطيه ، وابو بكر معاويه القرشى وغيرهم من فطاحل العلم والادب . اما القالى فقد املى دروسه فى الأدب ، وأماابن القوطيه فكان امام اللغة والتاريخ ، فقد املى كتبه وشروحه على طلبته وطال عمره فسمعه جيل بعد جيل . وكان أبو بكر معاويه القرشى استاذ العلوم الشرعيه وبخاصة علم الحديث (١) .

وفى الحقيقه كان الجامع مقر العلم والتعليم الذى يؤدى رسالته فى تعليم الناس وفتح أبواب المعرفة لهم والرقى بحياتهم الدينية والدنيويه . واتصف جامع قرطبة فى عصر الخلافه بالنشاط العلمى الكبير الذى كان بمثابة مصدر اشعاع اضاء للاندلسيين ولغيرهم الكثير من دروب المعرفة التى قادتهم الى درجة رفيعة من الحضارة والتقدم (٢) .

وبهذه الطريقة وتلك الرعاية الفائقة اقبل الجميع من مختلف النحل والملل الى قرطبه لتلقى العلوم ، ولقد اتاح الحكم المستنصر لهؤلاء جميعا فرص تلقى العلم فى قرطبة ، فلم يقتصر عطفه ورعايته على أهل العلم وطلبته من المسلمين فقط ، بل تعداه الى جميع الفئات الاخرى . ومن أبرز شواهد تلك الرعاية رعايته للعالم ريثموند و الالبيرى المسمى بربيع ابن زيد عند العرب ، والذى كان اثيرا لدى الحكم المستنصر لمكانته العلمية وتبحره فى علوم الفلك والفلسفة وعلوم اللغات العربية واللاتينية ،

---

(١) عبد الحميد العبادى : المجمل فى تاريخ الاندلس ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، دار العلم ، الطبعة الثانية ، ص ١٢٥ .
(٢) سعد البشرى : الحياه العلميه ، ص ١٤٦ .

فكان يرعاه ويعطف عليه ويقربه منه حتى استطاع ان يشغل مكانة كبيرة فى القصر (١) . ولقد اشاد كثيرون من العلماء الاوربيون والاسبان بجهود الحكم المستنصر العلميه وبرعايته للعلماء وبالحركة العلمية فى عهده التى لم يعرف العلماء لها نظيرا من قبل ولم تتسم بالتعصب قط . وفى هذا الصدد ينقل لنا محمد عبدالله عنان في موسوعته دولة الاسلام فى الاندلس أقوال المستشرقين دوزى ومود يستى لافونتى عن تسامح الحكم المستنصر فالمستشرق دوزى يقول عنه : [ان اغداق الحكم على العلماء الأسبان والاجانب لم يعرف حدا ، وقد كانوا يهرعون الى بلاطه ، وكان المليك يشجعهم ويوليهم رعايته ، حتى الفلاسفه استطاعوا فى ظله ان ينصرفوا الى بحوثهم دون خوف] (٢) .

اما مود يستو لافونتى فيقول عنه أيضا : [كانت دولة الحكم الثانى دولة الاداب والحضارة كما كانت دولة ابيه دولة العظمة والبهاء . وان الروايه العربيه لتحبو الحكم بكثير من جميل الذكر ، فهل نغضى نحن عن تسجيل اعجابنا بما لهذا الاموى المستنير من الصفاتالباهرة لأنه كان مسلما ولم يكن نصرانيا . . لقد قدم الأدلة على ان الرغبة فى السلم لم تكن لأنه لا يعرف الحروب ولا النصر . ولكن لأنه كان يؤثر الهام القريقى ويؤثر الكتب على خزائن السلاح واكليل الجامعات الحقيقى على اكليل الحروب الدموى . . . . لقد تحول بلاط قرطبه الى نوع من

---

(١) محمد عبدالله عنان : دولةالاسلام في الاندلس ، ص ٥٧ .
(٢) محمد عبدالله عنان : دولة الاسلام فىالاندلس ، العصر الاول ، القسم الثانى ، ص ٥٠٨ .

الاكاديمية العظيمة ، واغدق على ثمرات العبقرية فيض الاغداق والكرم الرائع ، ونستطيع ان نقدر مدى التضحيات العظيمة ومدى الصبر والمثابرة والنفقات التى أمكن أن يتحقق بها انشاء تلك المجموعة المدهشة من أربعمائة الف الى ستمائة الف مخطوط وهى محتويات مكتبة قصر بنى مروان . . إن هذا المستودع الزاخر من ثمرات العقل وتلك الحضارة التى وصل اليها العرب فى عصر الحكم كانت قد وضعت بذورها من قبل ، وتعاقب أمراء بنى أمية منذ عصر عبد الرحمن الداخل فى تعهدها بالغرس والنماء ، وقد كانوا جميعا من أهل العلم والادب ، ومن حماة العلوم والاداب . . . لقد جاء هذا الخليفه الشهير الذى يعشق الآداب فى عهد سعيد من السلم ، ولما كانت بذور التمدن موجودة من قبل فقد تفتحت فى ظل رعايته وازدهر الغرس ازدهارا عظيما حتى انه بعد الحرث الكثير والمطر الغزير بدت شمس وضاءة رائعة منعشة] (١) .

ويقول عنه ايضا ليفى بروفنسال : [علينا ان نبرز فى المقام الأول ذلك الاسم الخالد الحكم الثانى عالما لا غبار عليه ـ راعيا مهيبا عظيما للاداب والعلوم صديقا للفنون] (٢) .

أما غونثالث بالنسيا فيقول : [ان تسامح الحكم مع العلماء لم يكن له حدود مما دفعهم للالتفاف حول بلاطه ، ولقد قام بحمايتهم وتشجيعهم حتى الفلاسفه منهم ، أعطى الحريه لكى يقوم الرياضيون والفلكيون بالتدريس علنا لتلاميذهم] (٢)

---

(١) محمد عبدالله عنان : دولة الاسلام فى الاندلس ، ص ٨ - ٥ .
(٢) محمد عيسى : تاريخ التعليم فى اسبانيا ، ص ١ . نقلا عن (غونثالث بالنسيا : تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٤٤) .

(٣) الحياة العلمية فى الاندلس فى عهد الحكم المستنصر

كان عهد الحكم المستنصر فى مجال الحياة العلمية فى الاندلس - كما سبق ان ذكرت - امتدادا لما تحقق فى عهد ابيه عبد الرحمن الناصر ، بل لا أغالى اذا قلت أن عهد الحكم المستنصر يمثل ذروة ما وصلت اليه النهضة العلمية فى الاندلس فى كافة صورها . وسيرى القارىء هذه الحقيقة ناصعة تتكلم عن نفسها من خلال التراجم التى سأعرضها فيما يلى لمن برز من علماء الاندلس فى شتى مجالات العلوم الشرعيه ، واللغوية ، والأدبية ، والانسانية والتجريبية .

أ - العلوم الشرعيه

ففى مجال العلوم الشرعية برز فى عهد الحكم المستنصر علماء كثيرون فى القراءات والفقه والحديث . والى القارىء تراجم أبرز هؤلاء العلماء فى كل فرع من هذه الفروع .

علم القراءات

كان علم القراءات من العلوم التى استحوذت على انتباه أهل الاندلس، وخاصة اذا علمنا مدى العلاقة الوثيقة بينه وبين القرآن الكريم ، وبناء عليه فقد برز علماء اجلاء فى مجال القراءات . ولقد اقتبسوا علومهم فى هذا المجال بالذات من أهل الشرق الذين كانوا آنذاك فى ذروة تطورهم العلمى ونشاطهم الفكرى ، ومن العلماء البارزين فى هذا المجال :

- على بن محمد بن اسماعيل من بلدة انطاكية بالشام قدم الى الاندلس

سنة ٣٥٢ هـ فاستقبله المستنصر اجل استقبال واكرم وفادته ونزل من الناس منزلة رفيعة ، وكان عالما بالقراءات رأسا فيهما مقدما على أهل وقته في علومها ومعرفة مسائلها ، ولقد برع في القراءات جميعا باختلاف صورها ، وادخل الى الاندلس علما كثيرا من القراءات ، فقرأ الناس عليه وكتبوا عنه ، وقد توفي سنة ٣٧٧ هـ (١) .

ـ الفقيه محمد بن الحسين بن محمد المقرئ من أهل القيروان . درس هذا العلامة القرآن وعني بقراءاته والتعرف على وجوه القراءات المختلفه ، فلقد جود القرآن وتثبت من قراءته ، وكان حسن الصوت ، رحل الى الاندلس وقد أخذ عنه العلماء وطلاب العلم ، وكان الناس يقرؤون عليه ويأخذون عنه ، توفي سنة ٣٦٨ هـ (٢) .

ـ حكم بن محمد بن هشام ويعتبر من أبرز القراء الذين كانت لهم معرفه تامه بالقراءات . قرأ القرآن بالقيروان ثم في مصر ثم قدم الى الاندلس حيث اكرمه المستنصر بالله وقربه اليه ، ثم عاد الى المغرب حيث امتحنه عبيد الله الشيعي لقوله الحق ، فعاد الى الاندلس مرة أخرى ، فاكرمه المستنصر ايضا ورحب به . وقد كان يقرئ القرآن الى ان توفي رحمه الله سنة ٣٧٠ هـ (٣) .

---

(١) ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ، القسم الثاني ، ص ٣١٧ .
(٢) ابن الفرضي : نفس المصدر ، القسم الثاني ، ص ١١٤ .
(٣) ابن الفرضي : نفس المصدر ، القسم الاول ، ص ١٢١ .

الفقـــه

يعتبر الفقه من أهم العلوم التى نشط فيها الاندلسيون فى مجال الدراسات الدينية ، وعملوا على نشرها وازدهارها والبحث فى مسائلها ومناقشة ما جد على المسلمين من أمور مستحدثة دفعتهم الى البحث والنظر فى احكامها وموقف الشريعه منها . وكان علم الفقه من أول ما اشتغل به علماء الاندلس اذ كان للفقيه عندهم مكانة ومنزلة لا يسمو اليها احد . وكان أهل الاندلس ينهجون فى فقهم مذهب الامام مالك بن انس صاحب دار الهجرة (١) .

ومن ابرز الفقهاء فى عصر الخليفه المستنصر :

- عبدالله بن محمد بن قاسم التغرى ، وكانت له رحلات علميه الى الشرق وكان فقيها ودينا وورعا فى طلب الحق لا يخاف أحدا فى قول الحق والتصريح به ، وكان اصحابه يشبّهونه بسفيان الثورى علامة المشرق وفقيهها . سمع به المستنصر وبمعرفته الواسعة فى الفقه فاستقدمه واستقضاه ثم رحل عن قرطبه وعاد اليها ، فاستقبله طلاب العلم وعلماء الفقه بأحر استقبال واكرم ترحاب واخذ عنه الناس كتاب (معانى القرآن) للزجاج واستفاد منه العلماء وأخذوا عنه علما غزيرا ومنهم ابن الفرضى الذى أجاز له العلامة التغرى روايته . وكان لهذا العلامة وقفات مشرفة فى جهاد النصارى مع المستنصر وتوفى سنة ٣٨٣ هـ(٢) .

---

(١) لطفى عبد البديع : المرجع السابق ، ص ٤٠ .
(٢) ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الاول ، ص ٢٤٥ .

- محمد بن يحيى بن مفرج القاضي . حافظ جليل ، حدث بالاندلس وصنف كتبا في فقه الحديث وفي فقه التابعين ، منها فقه الحسن البصري في سبع مجلدات ، وفقه الزهري في اجزاء كثيرة . وجمع مسند حديث قاسم ابن اصبغ للحكم المستنصر ، وتوفى عام ٣٨٠ هـ (١) .

- اسحاق بن ابراهيم بن مسرة . كان حافظا للفقه على مذهب الامام مالك واصحابه متقدما فيه . وكان مشاورا في الاحكام صدرا في الفتيا ، وكان يناظر عليه في الفقه ، كان وقورا مهيبا ، خرج غازيا مع الحكم المستنصر بالله ، وقد توفى سنة ٣٥٢ هـ (٢) .

- زكريا بن يحيى بن زكريا التميمي . كان فقيها نبيلا في الفتيا وعقد الشروط ، وكان قد تولى القضاء في أيام الناصر والمستنصر وكان ثقة ، وقد كتب الناس عنه كثيرا . توفى عام ٣٥٩ هـ (٣) .

- محمد بن عبدالله بن أبي شيبة . كان من أهل اشبيلية ومعدودا في فقهائها وله مكانة كبيرة بينهم (٤) .

- صاعد احمد بن صاعد ابو القاسم الطليطلي . وهو فقيه مشهور ، وقد توفى سنة ٣٦٢ هـ (٥) .

---

(١) ابن الفرضي : المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص ٤٨ ، الضبي : المصدر السابق ، ص ١٤٥ .
(٢) ابن الفرضي : نفس المصدر ، القسم الأول ، ص ٧٢ .
(٣) ابن الفرضي : نفس المصدر ، القسم الأول ، ص ١٥١ .
(٤) ابن الفرضي : نفس المصدر ، القسم الثاني ، ص ٨٦ .
(٥) الضبي : بغية الملتمس ، ص ٣٢٣ .

- محمد بن عبد الله بن الوليد بن محمد القرشي المعيطي . كان فقيها جليلا زاهدا ورعا حافظا للفقه عالما بالرأي على مذهب الامام مالك وأصحابه ، وقد قدم الى الشورى وهو ابن ثلاثين سنة ، توفي سنة ٣٦٧هـ[1].

- قاسم بن خلف بن عبد الله بن جبير المعروف بالجبيري . كان فقيها عالما حسن النظر ، استقضاه المستنصر على طرطوسة وأعمالها ، وقد عهد الى الحكام بمشاورته فكان صدراً في أهل الشورى . وكان المستنصر يجتمع عنده ويناظر عليه في الفقه ، وكانت الدراية أغلب من الرواية ، ولقد توفي سنة ٣٧١ هـ[2] .

- محمد بن عبد الله بن سيده من اهل بجايه . كان فقيها ، حافظا للمسائل ، ولقد بوب المستخرجة للامام المستنصر ، وتوفي سنة ٣٦٣ هـ[3] .

- احمد بن عبد الوهاب بن يونس ، المعروف بابن صلى الله ، كان رجلا حافظا للفقه عالما بالاختلاف ذكيا بصيرا ، وكان يميل الى المذهب الشافعي فتفقه فيه وناظر عليه ،وكان له حظ في العربية واللغة وكان يعد من المقابلين للمستنصر[4] .

- ابو عبد الله محمد بن الحارث بن اسد الخشني القيرواني المغربي . كان حافظا عالما بالفتيا حسن القياس ، وشاعرا بليغا ومغرما بالكيميا* .

---

(١) ابن الفرضي : المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص ٧٨ .
(٢) ابن الفرضي : المصدر السابق ، القسم الأول ، ص ٣٦٩ .
(٣) ابن الفرضي : نفس المصدر ، القسم الثاني ، ص ٧٣ .
(٤) ابن الفرضي : المصدر السابق ، القسم الاول ، ص ٤٧ .

استطاع بعد انتقاله الى قرطبه ان ينمى ثقافته اللغوية والفقهيه وان يوطد علاقته بالحكم المستنصر الذى صنف له كتبا كثيره ، منها كتاب الاتفاق والاختلاف فى مذهب مالك ، وكتاب الفتيا ، وكتاب تاريخ الاندلس ، وكتاب تاريخ الافريقيين ، وكتاب النسب ، وكتاب اخبار القضاة بالاندلس . والاتفاق والاختلاف لمالك بن انس وأصحابه ، وقيل انه صنف مائة ديوان للحكم المستنصر ، وجمع له كتابا فى رجال الاندلس . هذه الثروة كلها كانت من انتاج الخشنى وحده فرحم الله العلماء المسلمين فلقد أفادوا أهل الاندلس بعلمهم (٢) .

الحديث

اهتم المسلمون بدراسة الحديث وحفظه ومعرفة صحيحه من سقيمه ، وترتب على ذلك ازدهار علم الحديث ، فتناوله العلماء بالتأليف والبحث ومناقشة ما استجد من الموضوعات فى مجال علوم الحديث . ومن أبرز علماء الحديث فى عهد الحكم المستنصر :-

- قاسم بن اصبغ بن محمد بن يوسف البيانى . من علماء قرطبه ، وقد كان صاحب مكانه علمية بارزة وعلم غزير . تهافت عليه طلاب العلم ، وقد سمع منه الحكم المستنصر واستفاد بعلمه الواسع فى مجال الحديث ، واستفاد من اخوته أيضا الذين تلقوا العلم على يديه ، وقد طال عمره حتى أخذت عنه طبقات تلو طبقات من طلاب العلم ، والحق الصغار بالكبار فى الأخذ

---

(١) الخشنى : قضاة قرطبه ، المقدمة - ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الثانى ، ص ١١٢ .

عنه ، وكان بصيرا بالحديث ورجاله والى جانب ذلك كان بارعا فى علوم اللغة والشعر ، وكان يستشيره الخليفة فى البتفى الأمور الفقهيه والقضائيه (١).

- ابى عبدالله محمد بن احمد بن يحيى القاضى ، ويعتبر أصح محدث وحافظ فى الاندلس ، وقد سمع فى دراسته للحديث على العلامة قاسم ابن اصبغ ، وحدث بعلمه وصنف كتبا فى فقه الحديث وفى فقه التابعين منها فقه الحسن البصرى فى سبع مجلدات ، وفقه الزهرى فى اجزاء كثيرة ، وجمع مسند حديث قاسم بن اصبغ للحكم المستنصر . وكان له تلامذة علماء فى مختلف الاقطار حيث روى عنه بالاندلس ابو الوليد الفرضى . ومما يدل على غزارة علمه وتمكنه فى اختصاصه انه روى عن مائتين وثلاثين شيخا ، وقد مات سنة ٣٨٠ هـ(٢) .

- محمد بن فرج بن سبعون النحلى ، تنقل فى اقطار عديدة ، ومن جملتها مكة المكرمة فسمع من علمائها . وقد روى مصنف الشيخ المحدث البخارى رواية النسفى . وقد ازدحم على مجلسه طلاب العلم ورواد الحديث حتى سمع به الخليفة المستنصر وادرك ما يمتاز به من علم ومعرفة بالحديث ودراية بعلومه ، فاستقدمه الى قرطبه للتدريس والحديث بها ، وكان ذلك عام ٣٦١ هـ حيث قدم الى قرطبه ودرس بها وصنف كتبه بها . واجتمع عليه خلق كثير أخذوا الحديث عنه (٣) .

---

(١) ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الثانى ، ص ٣٧٠ .
(٢) ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الثانى ، ص ٩١ - ٩٢ .
(٣) ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الثانى ، ص ٧٨ .

- خالد بن سعد الذى يعتبر اماما فى الحديث ، حافظا له بصيرا بعلله ، عالما بطرقه ، مقدما على أهل وقته . وقد قيل انه حفظ عشرين حديثا فى وقت واحد . وكان الخليفة المستنصر بالله يقول [اذا فاخرنا اهل الشرق بيحيى بن معين فاخرناهم بخالد بن سعد] ، ولخالد ابن سعد كتاب فى رجال الاندلس ألفه للمستنصر ، وقد توفى عام ٣٥٢ هـ (١) .

- يحيى بن عبدالله بن يحيى الليثى . سمع من شيوخ أجلاء مثل كتاب التفسير ليحيى بن سلام على يد على بن الحسن ، وسمع الواضحة ، ورحل الناس اليه من جميع كور الاندلس ، وكان مما رواه كتاب (الموطأ) وحديث الليث بن سعد وغيرها من أحاديث الشيوخ ، ولم يشهد بقرطبه مجلس مثل مجلسه ، ولقد سمع منه هشام المؤيد بالله ابن الحكم المستنصر ، وتوفى سنة ٣٦٧ هـ(٢) .

- زنباع بن الحارث . يذكره ابن الفرضى فيقول : انه رأى فى تاريخ ابن حارث ملحقا بخط امير المؤمنين الحكم بن عبد الرحمن . وكان زنباع يقظا ، سمع من بقّى بن مخلد ، ومحمد بن وضاح . وكان سريع الحفظ ، قيل انه كان يحفظ عشرين حديثا فى ساعة ، وتوفى فى الاربعين من عمره (٣) .

---

(١) ابن الفرضى : تاريخ علماء الاندلس ، القسم الاول ، ص ١٣٠ .
(٢) ابن الفرضى : نفس المصدر ، القسم الثانى ، ص ١٩٢ .
(٣) ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الاول ، ص ١٥٨ .

- محمد بن احمد بن ابراهيم ابن بردة الشافعي البغدادي . تفقه للشافعي على ابي اسحاق المروزي ، وابي سعيد الاصطخري . ووصل الى الاندلس سنة ٣٦١ هـ فأكرمه الحكم المستنصر وأحسن وفادته ، فقد كان من أعلم الناس بمذهب الشافعي ، ولم يصل الى الاندلس أحد أفهم منه بالمذهب الشافعي ولا أحسن قياما به منه . ولم تكن له كتب ، ويقال انها ذهبت له مع اموال في المغرب . ولقد اتهم بالاعتزال فخرج من الاندلس الى تيهرت وتوفي بها سنة ٣٦٧ هـ[1] .

- يعيش بن سعيد الوراق . سمع من محمد بن معاويه القرشي المعروف بابن الاحمر ، وقاسم بن اصبغ ، وكان من أروى الناس ، وألف (مسند حديث ابن الاحمر) بأمر من المستنصر . والف (مسند حديث ابي بكر محمد ابن معاويه القرشي) من تأليفه وما سمع منه [2] .

---

(١) ابن الفرضي : نفس المصدر ، القسم الثاني ، ص ١١٤ .

(٢) الحميدي : جذوه المقتبس ، ص ٣٨٦ .

ب ـ علوم اللغة والأدب

النحو

لقد اعتنى الاندلسيون باللغة والأدب منذ وقت مبكر ، فقد كانوا يحرصون على تلقين ابنائهم الفصيح من المنشور والمنظوم ليربّوا فيهم الملكات الأدبية منذ الطفولة (١) . ولما كان الأدب يقوم أساسا على قواعد اللغة العربية الفصحى ، فكان من العيب الكبير أن يخرج أحد على تلك القواعد ويقع في اللحن . لذلك حرص الاندلسيون على الاهتمام بقواعد اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم ، فنبغ منهم الكثير من النحويين الذين أضافوا مادة غزيرة الى ذلك العلم ،وكان أبرزهم في عهد الحكم المستنصر :

- محمد بن الحسن الزبيدى ، وكان يعد من اشهر النحاة ، فقد كان علامة ويعد من أئمة اللغة العربية . ألف كتابا اسماه (الواضح) واختصر كتاب (العين) اختصارا حسنا ، وجمع فى الابنية وفى لحن العامة وفى اخبار النحويين كتبا مشهورة ، وله تصانيف فى فنون الأدب ، وكان بالاضافة الى ذلك شاعرا كثير الشعر (٢) . وقد لقى من المستنصر كل تشجيع وتعظيم وقد خلع عليه خلعه سنيه بعد تصفحه لكتابه اختصار كتاب العين (٣) .

- العلامة ابن سيده ، وكان اماما فى اللغة العربية ومقدما فى

---

(١) لطفى عبد البديع : الاسلام فى اسبانيا ، ص ٧٣ .
(٢) الضبى : بغية الملتمس ، ص ٦٦ .
(٣) ابن حيان : المقتبس ، ص ١٣٣ .

علومها . ولقد ألف فى اللغة مصنفات عديدة قيل انها بلغت مائة مجلد ، تناول فيها علوما كثيره ومتعددة . وله فى العربية الكتاب المسمى (كتاب العالم والمتعلم على المسئله والجواب) ، وله أيضا (شروح على كتاب الاخفشى)[1] .

- مفرج بن مالك النحوى المعروف بالبغل ، كان نحويا لغويا عالما بمعانى الشعر ، وله مكانة كبيرة فى علمه[2] .

- محمد بن يحيى بن عبد السلام الرباحى نحوى مشهور ، ويقال عنه انه كان يعد من كبار النحويين ، ولا يقصر عن اكابر أصحاب المبرد ، مما يدل على غزارة علمه فى النحو[3] .

الأدب

وحظى مجال الأدب فى بلاد الاندلس باهتمام كبير بين الناس ، وخاصة العلماء والأدباء الذين انكبوا على دراسة الأدب والاهتمام بنواحيه المختلفة . ويعتبر ميدان الأدب هو الميدان الذى حاز على أغلبية النشاط الفكرى بنواحيه المختلفة . ولا نستطيع أن ننكر مكانة الأدب وشيوعه فى المجتمع الاندلسى عامة بل نكاد نجزم قائلين ان المجتمع الاندلسى مجتمع متأدب ، غلبت عليه الصبغة الأدبية والفطرة الشاعرية لما كان للبيئة من

---

(١) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٢٠٤ .
(٢) ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الثانى ، ص ١٤٢ .
(٣) الضبى : المصدر السابق ، ص ١٤٤ .

معطيات جمالية ، أنمت لديهم القدرة على العطاء بصورة متدفقة فظهر لدينا أدباء بارعون ، وشعراء موهوبون . أضف الى عامل البيئة القدرات الشعرية والملكات الأدبية التى جعلت منهم خطباء مصقعين وأدباء متمكنين وشعراء مبدعين . ومن أبرز الأدباء الذين حفظ لنا التاريخ فنونهم الرائعة ـ الاديب العلامة احمد بن فرج الجيانى ، وكان وافر الأدب ، خصيب الشعر ، جزيل القول معدودا فى العماء وفى الشعراء ، وله كتاب يسمى كتاب الحدائق ، وهذا الكتاب يعد من أثمن الكتب التى ضمت بين دفتيها روائع الشعر الاندلسى وانتاج ادبائه . ولقد ألفه للحكم المستنصر الذى كان يرعى الفنون والاداب ويوليهما عنايته . وقد عارض فى كتابه هذا كتاب الزهرة ، هذا الكتاب الأدبى المشرقى لمؤلفه ابى بكر محمد ابن داود . الا أن منهج هذا الأخير كان قائما على تقسيم الكتاب الى مائة باب وفى كل باب مائة بيت ، فى حين ان مؤلف الجيانى كان مقسوما على مائتى باب ، كل باب مائتا بيت ليس فيهما باب تكرر اسمه ، ولم يورد لغير اندلسى شيئا ، ولقد اثنى العلماء والادباء والمشتغلون بالأدب على هذا الكتاب لأن مؤلفه الجيانى قد أحسن الاختيار ، وأصاب الهدف المنشود والغاية المتوخاة من وراء هذا المحصول الأدبى البديع فأتى كتابه الحدائق نادرا فى موضوعه وفريدا فى معناه . وله كتاب آخر يسمى كتاب (المتزين والقائمين بالاندلس واخبارهم) ، وله كتب أخرى قيمة . ومن المؤسف ان نهاية هذا العالم الجليل كانت السجن ، حيث نقم عليه المستنصر لتصرف بلغه عنه ، فنفث اشجانه وأحزانه فى قوالب

شعريه بديعه(1) .

- الأديب العلامة احمد بن محمد بن عبد ربه صاحب المؤلف الأدبي القيم (العقد الفريد) الذى يعد من أركان الأدب وأصوله ، فهو مرآة لثقافة الاندلسيين تعكس ما كانوا عليه من بلاغة وجزالة اللفظ وأدب راق عظيم . كان مؤلفه اديبا شاعرا ، ولقد جمع شعره حتى ان الحميدى يذكر بأنه شاهد عنده عشرين جزءاً من جملة ما جمعه للخليفة المستنصر . وكان له فى العلم جلالة وفى الأدب رياسة مع دين ونزاهة بلغت اسمى المراتب(2) .

- عبدالله بن محمد بن مغيث بن عبدالله الانصارى . من اشراف قرطبه ، وكان من أهل المعرفة والنباهة والذكاء واليقظة والحذق والفهم ، ومن أهل الأدب والتاريخ والشعر الرائق والكتابة البليغة مع الدين والنسك والعبادة . ولقد جمع كتابا من شعر الخلفاء من بنى أمية ، وله كتاب (التوابين) من تأليفه . وكان اثيرا عند الحكم المستنصر ، قريبا منه ، توفى عام ٣٥٢ هـ(3) .

---

(1) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ١٠٥ - ابن دحيه : المطرب فى اشعار اهل المغرب ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، حامد عبدالمجيد ، أحمد بدوى ، مراجعة : طه حسين ، المطبعة الاميريه ، القاهرة ، ١٩٥٤م ، ص ٤ - ٥ .

(2) الحميدى : المصدر السابق ، ص ١٠٥ - لطفى عبدالبديع : المرجع السابق ، ص ٧٥ .

(3) الضبى : المصدر السابق ، ص ٣٥٢ - الحميدى : المصدر السابق ، ص ٢٦٣ .

الشـــعر :

ولقد ازدانت البيئة الاندلسية بعدد كبير من الشعراء الذين اسهموا بنصيب وافر في اثراء الأدب الاندلسي بألوان متعددة في موضوعات الشعر في عهد الحكم المستنصر ، وكان من أبرزهم :ـ

ـ يوسف بن هارون الكندي ، ويعرف بالرمادي ، وهو شاعر كثير الشعر ، سريع القول ، مشهور عند العامة والخاصة في الاندلس ، واتفق الجميع على انه(افتتح الشعر بكنده وختم بكنده) حتى ان كثيرا من شيوخ الأدب في وقته يرون ذلك أي أنهم يعنون امرأ القيس ، والمتنبي ، ويوسف بن هارون .

ومدح الرمادي أبا علي القالي عند قدومه الى الاندلس بقصيدة رائعة أولها :

من حاكم بيني وبين عذولي　　　الشجو شجوي والعويل عويلي

كما مدح الرمادي الحكم المستنصر . وألف في السجن كتابا رائعا سماه (كتاب الطير) وصف فيه كل طائر معروف ، وذكر خواصه ، وذيل كل قطعة بمدح ولي العهد هشام بن الحكم متشفعا به الى ابيه في اطلاقه بعد ان سجنه الحكم المستنصر هو وجماعة من الشعراء لاتهامهم بذم السلطان في قصيدة شعرية. وقد عاش مدة طويلة بعد ذلك ومدح الملوك والرؤساء(١) .

---

(١) الحميدي : جذوة المقتبس ،ص ٣٦٩ - ٣٧٠ .

- محمد بن الحسين التميمى الحمانى الطبنى الزابى ، وطنه بلد من أرض الزاب فى عدوة الأندلس . كان شاعرا مكثرا وأديبا مفتنا من بيت أدب وشعر وجلالة ورياسة . وكان معاصرا للحكم المستنصر ، وله أولاد نجباء مشهورون فى الأدب وفى الشعر (١) .

- أبو بكر المغيلى . شاعر مبدع ، كان فى أيام الحكم المستنصر ، وله مع الحاجب ابى الحسن جعفر بن عثمان المصحفى مجاوبات بالشعر ، وله قصيدة بعث بها الى ابى بكر اللوى اثر علة اعتلها يعظه فيها بقوله :

تبين فقد وضح المعلم	وبان لك الامر لو تفهم
هو الدهر لست له آمنا	ولا انت من صرفه تسلم
وان اخطاتك له اسهم	اصابتك بعد له اسهم
لياليه تدنى اليك الردى	دوائب فى ذاك ما تسأم (٢)

(١) الحميدى : المصدر السابق ، ص ٥٠ - ٥١ - الضبى : بغية الملتمس ، ص ٦٨ .

(٢) الحميدى : نفس المصدر ، ص ٣٩٢ - الضبى : نفس المصدر ، ص ٥١٨ .

الموشـــــحات :

وتعتبر الموشـــحات فنا من فنـون الشـعـر ابتدعه الاندلسـيون ولم يسبقهم فيـه احـد . وقـد نشأت الموشـحة لكي تكون فـي خدمة الغنـاء فـــي الاندلس نظرا لطبيعـة الحياة الرغدة الناعمة ، فهـو عـارة عن قطعـــة موسيقية أقـرب منهـا الى قصيدة شـعرية ، فهي تتسم بسـهولة فـي اللفـظ وموسـيقى فـي الكلمـات . اما معانيهـا فهـي سهلـة لا تحتـاج الى جهـــد لكي تفهـم ، حتى تصلح لأن تغـنى ، وتتيح للمغـنى تجويـد غنائه فيهـا . يقـال ان أول مـن ابتدعهـا محمـد بن محمـود القبرى ويقـال انـه مقدم ابـــن معافـى القبرى . ويجئ اسـم احمد بن عبـد ربـه صاحـب (العقـد الفريـد) فـي مقدمة مبتدعى هـذا الفـن الـذى ربما اقتبسـه من القبرى . ولكـــن المؤلف الفعلـي للموشـحات هو ابو بكر عبادة بن ماء السـماء المتوفى عــام ٤٢٢ هـ .

اما أشهـر الوشـاحين فكانـوا : الأعمى التطيلـي ومحمـد بن عبـادة ابـــن القـزاز ،وعبـادة بن ماء السـماء . ويحيى بن بقى ، وابن زهـر ، ولســان الدين بن الخطيب .

ولقـد أصبحـت الموشـحات من الفنـون الذائعـة فـي الأدب الاندلســي بعـد مغيب القرن الرابـع الهجـرى ومجـئ القرن الخامس الهجـرى . ولذلــك فالقرن الرابع الهجـرى لا يعنينـا كثيرا في دراستنا للموشحات فـي عهـــد الحكم المستنصر لانـه توفى عام ٣٦٦ هـ ، أى قبل اطلاله بمدة ليست بيسيرة (١) .

---

(١) مصطفى الشكعه : المرجع السابق ، ص ٣٧١ - ٣٧٣ .

جـ - العلوم الانسانية

التاريخ والجغرافيا :

احتل علم التاريخ والجغرافيا مكانة بارزة بين العلوم التى استحوذت على اهتمام أهل الاندلس ، فقد عنى الكثير من علمائهم بالتاريخ والجغرافيا وبخاصة تاريخ بلادهم ومعرفة اقاليمه وجغرافيته ، والواقع ان الاندلسيين قد برزوا فى ذلك وكأنهم قصدوا اظهار ما لهذا الصقع النائى من أفضلية يتميز بها بين بلاد العالم الاسلامى (١) .

ومن أبرز المؤرخين فى عهد الحكم المستنصر :-

- المؤرخ العلامه محمد بن يوسف ابو عبدالله التاريخى الوراق الذى ألف كتبا كثيرة فى التاريخ والجغرافيا . فقد ألف للمستنصر كتابا ضخما فى جغرافية افريقيا ومسالكها وسماه (مسالك افريقيا وممالكها) . كما انه أتبع ذلك بأخبار ملوك افريقيا وسيرهم وحروبهم والغالبين عليهم فى كتب جمه . وكذلك ألف فى مدن مختلفه مثل تيهرت ، ووهران ، وتنس ، وسجلماسة ، ونكور والبصرة ، وله تواليف كثيرة فى مستوى جيد تشمل الكثير من المعلومات الهامة عن تلك المدن (٢) .

- أبو بكر محمد بن عمر الذى اشتهر بابن القوطية ، نسبة الى سارة القوطية ابنه غيطشة القوطى . وكان بارعا فى اللغة والحديث والأدب والس

---

(١) لطفى عبد البديع : المرجع السابق ، ص ٦٦ .
(٢) الحميدى : المصدر السابق ، ص ٩٧ .

جانب ذلك فهو مؤرخ ممتاز ألف كتابا فى (تاريخ افتتاح المسلمين الاندلس) وهو من المراجع الهامة فى تاريخ تلك الحقبة ، وقد سرد تلك الاحداث وما بعدها فى عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر . ولابن القوطية مؤلفات عديدة منها كتاب (تصاريف الافعال) وكتاب (المقصور والممدود) وغيرها من الكتب . وكان حافظا لاخبار أهل الاندلس ، ملما برواية سير أمرائها وأحوال فقهائها وشعرائها عن ظهر قلب . وطال عمره حتى سمع الناس منه طبقة بعد طبقة ، وروى عنه جماعه من الشيوخ والكهول ممن ولى القضاء وقدم الى الشورى وتعرف فى الخطط مع ابناء الملوك وغيرهم ، وتوفى سنة ٣٦٧ هـ بعد أن أدى للعلم خدمات جليلة (١) .

- احمد بن محمد بن موسى الرازى ، وهو اندلسى أصله من الرى . له فى تواريخ وسير ملوك وحكام الاندلس كتاب كبير . كما انه ألف فى مدينة قرطبه وخططها ومنازل العظماء بها كتابا على النسق الذى اتبعه الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد . وله كتاب ضخم يقع فى خمسة أجزاء فى انساب مشاهير الاندلس من العلماء والحكام والولاة (٢) .

- مطرف بن عيسى الغسانى ، من أهل غرناطة . كان من أهل العلم والرواية للحديث ، وكان ذا علم غزير فقد ألف للخليفة الحكم المستنصر كتابا سماه (المعارف فى أخبار كورة البيره وأهلها ومآثرها وأقاليمها

---

(١) ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الثانى ، ٧٦- ٧٧ - ابن خلكان وفيات الأعيان ، ص ٣٦٨ .

(٢) الضبى : المصدر السابق ، ص ١٤٠ .

وغير ذلك من منافعها) ، وهو كتاب من أحسن الكتب وأمتعها أفاد به أهل الاندلس ، واثبت فيه اهتمامه بالناحية الجغرافية للبلاد بعد أن وقف على أهميتها وكونها عاملا مهما فى مجريات الاحداث التاريخية (١).

- اسحاق بن سلمه بن وليد بن بدر القينتى من اهل رية ، سمع حسن وهب بن مسرة الحجازى وغيره . وكان حافظا لاخبار أهل الاندلس معتنيا بها ، وجمع كتابا فى أخبار الاندلس أمره بجمعه المستنصر رحمه الله وقد كتب عنه (٢) .

الفلسفة :

لم تكن الفلسفة تشغل بال العلماء فى الاندلس فى بداية عهدهم بقدر ما كانت تشغل بالهم العلوم الشرعية وعلوم اللغة والآداب . الا اننا نلحظ ان التغيير فى نظرتهم الى الفلسفة قد بدأ حينما وفدت على الاندلس من المشرق المذاهب الفكرية والمجادلات المذهبية ، فبعد ورود تلك التيارات نلحظ اقبال بعض الاندلسيين على دراستها بل واعتناق بعضهم لتلك الافكار (٣) . فأول من عرف بالاشتغال بالفلسفة محمد بن عبدالله بن مسرة الباطنى ، وكان هذا الفيلسوف على طريقة من الزهد والعبادة حتى استطاع ان يفتن جماعة من أهل قرطبة

---

(١) ابن بشكوال : الصله ، القسم الثانى ، ص ٦٢٢ .
(٢) ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الثانى ، ص ٧٣ - الحميدى : الجذوه ، ص ١٦٩ - الضبى : المصدر السابق ، ص ٢٦٣ .
(٣) لطفى عبد البديع : المرجع السابق ، ص ٤٧ .

وان يؤثر فيهم بافكاره الباطنية المنحرفة التي تنطوي على اراء شاذة تقدح في الدين وتصطدم مع افكار الشريعة الاسلامية . وما سهل عليه مهمته تلك ما كان يتمتع به من عقلية فذة وبلاغة في القول . وكانت له آراء غامضة واشارات صوفية وتواليف في معاني غريبة احاطته بهالة من الشك وصورته بصورة جعلت العلماء يكفرونه ويتهمونه بالزندقة (١) . وعند ما وصل خبره الى الخليفة عبد الرحمن الناصر سعى في القبض عليه والتحقيق معه حتى اتضح له ما كان يروجه من افكار باطنية . ثم أخذ يتتبع اتباعه ويلاحق أنصاره وحملة آرائه ومؤيديه . ولقد خلف ابن مسره عدد من تلامذته مثل رشيد الدجاج القرطبي ، والياس الطليطلي ، وخليل ابن عبد الملك ومحمد القيسي (٢) .

وقد اهتم القاضي ابن زرب بطلب اصحاب ابن مسرة والكشف عنهم ، ولم يكتف بذلك بل انه اعد مؤلفا في الرد على آراء ابن مسرة سنة ٣٥٠ هـ واتى بجماعة منهم واستكشف حقيقتهم ثم أخذ ما تمكن من جمعه من مؤلفات ابن مسرة وأحرقها امامهم وهم ينظرون (٣) .

ومن الجدير بالذكر انه في عهد الخليفة الحكم المستنصر كانت هناك حرية تامة للبحث والنظر في جميع المسائل ولكن من غير قدح في الدين ومن غير نشر افكار شوشة ومضطربة يفزع لها العامة . ففي عهده

---

(١) الضبي : المصدر السابق ، ص ٧٨ ـ لطفي عبد البديع : المصدر السابق ، ص ٤٧ .
(٢) السيد عبد العزيز سالم : قرطبه حاضرة الخلافه ، جـ ٢ ، ص ٢١٧ - ٢١٨ .
(٣) النباهي : تاريخ قضاة الاندلس ، ص ٧٨ .

قرب العلماء وسهل لهم متطلباتهم ، وتهيأ له ذلك لشدة رغبته في العلوم وثقافات الأمم الأخرى . واقتداء بأهل العلم والحكمة من الملوك السابقين [١] ، فظهر في عهده بعض من الفلاسفة أمثال محمد بن الحسن المذحجي وكانت له قدم راسخه في علم المنطق والحكمة ، فألف رسائل في ذلك . وكان الى جانب ذلك له معرفة بالأدب والشعر والطب . وقد عاش الى مابعد القرن الرابع الهجري [٢] .

وهكذا لم يضيق الحكم المستنصر على علماء الفلسفة بل شجعهم ، وأتاح لهم الحرية التامة شريطة ان تكون في حدود لا تخرج عن اطار الشريعة الاسلاميه .

ومن ظهر في عهده أيضا احمد بن حكم بن حفصون ، ولكنه كان مشرفا على كثير من علوم الفلسفة ، متصلا بالحاجب جعفر المصحفي فأوصله الى الحكم المستنصر وقربه منه [٣] .

---

(١) لطفي عبد البديع : المرجع السابق ، ص ٤٧ .
(٢) الضبي : المصدر السابق ، ص ٥٧ .
(٣) صاعد الاندلسي : طبقات الامم ، ص ١٥٣ .

د ـ العلوم التجريبية

الرياضيات والفلك :

أشرت فيما مضى الى النشاط العلمى لأهل الاندلس فى ميادين العلوم الشرعيه والأدبيه واللغويه والانسانيه ، وننتقل للحديث التقدم العلمى فى ميدان العلوم التجريبية .

مما لا شك فيه ان أهل الاندلس كان لهم باع طويل فى تطوير تلك العلوم حتى انصرف الكثير منهم الى الاشتغال بها والنبوغ فيها ، وخصوصا فى فترة الخلافة المزدهره ، تلك الفترة التى ازدهرت فيها الحركة العلميه بصورة عامه ، وكان من الطبيعى انتشمل فى ازدهارها تلك العلوم . واذا اضفنا الى ذلك موقف الحكم المستنصر من تلك العلوم ومدى حرصه على تشجيع الدارسين لها والمشتغلون بها ادركنا نبوغ الكثير من العلماء فى ذلك المجال .

فقد ازدهر علم الفلك فى عهد الحكم المستنصر الذى أولاه كل رعايته واحاط المشتغلين به بتشجيعه ، واستحضر من العراق ومصر امهات الكتب فيه سواء قديمها وحديثها فأدى ذلك الى نبوغ الكثير من الفلكيين الذين تخصصوا فى حركات النجوم واستخدام آلات الرصد ، فأثبتوا نبوغهم وتفوقهم فى ذلك المجال ، بما قاموا به من تصحيح وتحسين الجداول الفلكيه ، وتقويم نتائج من سبقهم .

ونتيجة للارتباط العميق بين الدراسات الرياضية والفلكية نلاحظ

ان العديد منهم قد جمع الى تفوقه ، فى الرياضيات براعته فى علم الفلك . ولقد ازدهرت تلك الدراسات حتى اصبحت تدرس فى الجوامع مع العلوم الشرعية والأدبية الأخرى .

ومن أبرز العلماء الذين تفوقوا فى تلك العلوم احمد بن محمد الانصارى الذى برز فى علم الرياضيات وتفوق فى علم الفلك ، فكان يقوم بالتدريس لطلبته فى جامع قرطبه فى عصر الخليفه الحكم المستنصر ، وقد شهد له استاذه مسلمة المجريطى بالتفوق فى هذا المجال . وقد كان لمسلمه مدرسه عظيمه خرجت التلاميذ النجباء الذين برعوا فى تلك العلوم .

ويعتبر العلامه الفلكى أبو القاسم مسلمه بن احمد المعروف بالمجريطى امام الرياضيين فى وقته وأعلم من كان قبله بعلم الأفلاك وحركات النجوم ، وكانت له عناية بارصاد الكواكب ، ولقد شغف بفهم كتاب بطليموس المعروف (بالمجسطى) ، وله كتاب فى علم الحساب وعلم العدد المعروف لدى أهل الاندلس بالمعاملات ، وله كتاب اختصر فيه تعديل الكواكب من زيج [1] البتانى . كما انه اهتم بزيج محمد بن موسى الخوارزمى ، وحول تاريخه الفارسى الى التاريخ العربى ، ووضع اوساط الكواكب فيه لأول تاريخ الهجره ، ثم زاد فيه جداول حسنه . وتوفى أبو القاسم مسلمه بن أحمد

---

(١) الزيج وسيله من الوسائل الهامه فى الدراسات الفلكية ، وقد عرفه ابن خلدون بأنه صناعه حسابيه على قوانين عدديه فيما يخص كل كوكب عن طريق حركته وما ادى اليه برهان الهيئه فى وصفه به بسرعه وبطء واستقامه ورجوع وغير ذلك ، ويعرف به مواضع الكواكب فى افلاكها .

(سعد البشرى : الحياه العلميه فى عصر الخلافه فى الاندلس ، ص ٣٩٢) .

قبيل منبعث الفتنه فى سنة ثمان وتسعين وثلاثمائه للهجره ، وقد انجب تلاميذ لم ينجب عالم بالأندلس مثلهم مثل ابن السمح ، وابن الصفار ، والزهرى ، والكرمانى ، وابن خلدون (١) .

- عبد الله بن محمد المعروف بالسرى ،وكان عالما بالعدد والهندسه والحساب وله كتاب مشهور فى البيع وكان ينسب اليه العلم فى الكيمياء وكان معظما عند الحكم المستنصر ومقربا لديه (٢) .

الطب والصيدله :

اعتنى المسلمون فى الدولة الاسلامية بعلم الطب اهتماما بالغا ،فكما ان الاسلام حرص على معالجة العقول من الامراض الفكرية والانحرافات الدينية ، فقد حرص أيضا على معالجة الابدان وتطهيرها والاهتمام بها ، لأن العقل السليم فى الجسم السليم . وتبعا لهذا فقد ظهر لدينا اهتمام كبير من المسلمين فى الاندلس بالطب وأموره . ولقد نبغ فى عهد الحكم المستنصر اعلام كثيرون فى الطب .

ويبدو ان الحكم المستنصر قد استحدث نظاما جديدا للأطباء المشتغلين والملحقين بخدمته ، فقد انشأ ديوانا يضم أولئك الأطباء ويتزلهم بهم على درجات متفاوته حسب قدراتهم ومهاراتهم (٣) . ومن

---

(١) صاعد الاندلسى : طبقات الامم ، ص ٩٢ - ٩٣ .

(٢) صاعد الاندلسى : طبقات الأمم ص ٩٠ - ٩١ .

(٣) سعد البشرى : المرجع السابق ص ٣٥٦ .

أشهر هؤلاء :-

١ - الطبيب احمد بن حكم بن حفصون ، وكان نابغا فى معرفة أسباب الامراض ، جيد القريحه فى معرفة العلاج ثم وصف الدواء . ونظرا لشهرته قدمه الحاجب جعفر المصحفى فى ديوان الأطباء فى بلاط الحكم وبذلك قدم له خدمات كثيرة ونال بذلك مكانة عاليه بين أطباء البلاط طوال عهده (١) .

٢ - ابو الوليد محمد بن الحسين المعروف بالكتانى . لقد أدرك هذا الطبيب صدرا من خلافه الحكم المستنصر ، وكان رجلا فصيحا محبوبا ، وذلك لما جبل عليه من خلق حسن ومعرفة تامه بعلمه ، فلم يكن من يترفع بعلمه عن خدمة الناس بل استخدمه فى مداواة المريض وعلاج المسن وذوى الحاجه والفقير غير القادر على دفع الثمن ، وكان لطيفا مع مرضاه ماهرا فى صنعته متقنا لها . ومن العجيب انه توفى بمرض لم يستطيع ان ينقذ نفسه منه وكان ذلك مقدرا عليه (٢) .

٣ - عمر وأحمد ابنا يونس الحرانى . لقد رحلا الى المشرق فى عهد عبد الرحمن الناصر ، وقدما الى الاندلس فى عهد الحكم المستنصر ، فألحقهما بخدمته واستخلصهما لنفسه من سائر اطباء وقته لما يتميزان به من قدره وتفوق على علاج الامراض ، ومعرفة تامة بها . ولقد توفى عمر

---

(١) ابن جلجل : طبقات الاطباء ، ص ١١٠ - صاعد الاندلسى : المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

(٢) ابن جلجل : المصدر السابق ، ص ١٠٩ .

وبقى احمد اثيرا عند الحكم المستنصر الى آخر أيامه (١) .

٤ ـ محمد بن عبدون الجبلى . لقد رحل الى الشرق ، ودار فى بلدانه ، وتمهر فى الطب ، واحكم كثيرا من أصوله ، واهتم بعلم المنطق ، ثم عاد الى الاندلس والتحق بخدمة الخليفه الحكم المستنصر بالله وابنه هشام المؤيد بالله فى الطب ، وكان قبل ان يتطبب مؤدبا فى الحساب والهندسة ، وله فى التكسير كتاب حسن ، وكان من أبرز وأعظم المعلمين فى الطب ، ولم يبق طالب الا وتلقى العلم على يديه ، ولم يجاره أحد فى صناعة الطب وتفوقه فيه وضبطه له وحسن تدريبه عليه (٢) .

وخلاصة القول ان العلوم بجميع أنواعها سواء كانت من العلوم الشرعيه واللغويه والأدبيه والانسانيه والتجريبيه قد لاقت كل اهتمام وعناية من الحكم المستنصر ، فكان تشجيعه للعلماء فى هذه الدراسات المختلفه عاملا كبيرا من عوامل الازدهار العلمى فى عهده .

---

(١) صاعد الاندلسى : المصدر السابق ، ص ١٢٤ ـ ابن جلجل : نفس المصدر السابق ، ص ١١٢ .

(٢) ابن جلجل : المصدر السابق ، ص ١٠٩ ـ صاعد الاندلسى : المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

الخاتمة

الخاتمـــــــة

يلاحظ القارئ بعد هذه الدراسة الشاملة لعهد الخليفه الحكم المستنصر عدة نتائج هامة يمكن تلخيصها فيما يلى :-

١ - حرص الخليفه عبد الرحمن الناصر على تهيئة ابنه الحكم للخلافه ، فقد حرص على ان يختار بين رجاله وجلسائه من العلماء الافاضل من يعينه على تنشئته تنشئة تعينه على تولى الخلافه من بعده وادارة شئون الدولة ومعالجة أمور الرعية بحكمة وروية والبعد عن الصغائر التى لاتليق بمركز الخليفه ، كما عهد اليه منذ وقت مبكر بعد ان تعهده بالرعايه والتوجيه بالاشراف على شئون العلم والعلماء أى أنه أصبح اشبه بوزير التعليم كما نسميه فى بلادنا فى وقتنا الحاضر ، وكان لذلك أثر كبير فى صقل شخصيته وبروزها ، وتدربه على المواقف حتى اذا ما تولى الخلافة باشر شئون الحكم والرعية فكان فيها الرجل المبرز القادر على تصريف الأمور ووضعها فى نصابها بحنكة وذكاء نادرين .

٢ - بعد ان تربى الحكم فى تلك المدرسة العالية وتدرب على خوض الأمور والمهام الصعبة تسلم كرسى الخلافة بعد وفاة ابيه فى شهر رمضان ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م . وبعد ان بويع له البيعة الخاصة ثم العامة انصرف الى ادارة دفة الدولة بكل نشاط وحماس وقوة واقتدار . فلقد تمت توليته بالبيعة الأولى أو الخاصة التى بايعه فيها كبار رجال الدولة وعلى رأسهم اخوته جميعا حال وفاة ابيه وبصورة فائقة فى السرعة لاتسمح لأحد بالتفكير فى الخروج عليه أو عدم

مبايعته بالخلافه . ثم كانت البيعة الثانية أو العامة التى توافـد فيهـا أفـراد الشعب من كل مكان لمبايعته والتسليم عليه بالخلافه .

٣ - أن جهاد الحكم المستنصر مع ملوك وأمراء الأسبان النصارى أثبت لهم انه ليس بأقل من والده قوة وعزما على استئصال شأفتهم والوقوف فى وجههم حتى أصبحوا يفدون عليه جماعات تلو جماعات للتقرب منه والتزلف اليه حاملين معهم هداياهم القيمة ومصطحبين أبنائهم رهينة لديه . وكان الحكم المستنصر بدوره يقابل تلك الوفود باستقبالات رائعة يحضرها الأدباء والشعراء حيث يلقون القصائد فى مدحه والتغنى بعظمة الخلافة امام ضيوفه . وعلى الرغم من ذلك فلم يكن الحكم المستنصر يغفل عن جانب الحذر والحيطة من هؤلاء النصارى وأمرائهم فبث العيون فى الثغور والموانىء لتتبع حركاتهم خفية ، وعندما كانت تحدث من أحدهم أى بادرة تدل على نكوصه عن عهده معه كان يسارع الى حربه . وقد حدث فعلا ما كان يخشاه من خروج بعضهم عليه مثل حاكم قشتاله الذى قام بالاغاره على أراضى المسلمين واحراق مزارعهم وكان ذلك ورجال وفده الذين بعثهم الى الحكم المستنصر مازالوا فى طريق عودتهم اليه ، بعد أن أحسن الحكم المستنصر استقبالهم فى قرطبه ، فما كان منه الا أن أمر بالقاء القبض عليهم والزج بهم فى السجن عقابا لما قام به أميرهم ، ثم بادر بالزحف على بلاد امارة قشتاله ليلقن أميرها درسا لن ينساه .

٤ - أن الحكم المستنصر فى جهاده ضد النورمان لم ينتظر تعرض الاندلس لخطر الغارات الفاجئة التى كانوا يقومون بها على شواطئ الاندلس وثغورها . كما كان يحدث فى عهد أسلافه وانما حرص على بث الجواسيس والمراقبين لتتبع أخبارهم ومعرفة وجهتهم للاستعداد لرد غاراتهم اذا ما اتجهوا الى الاندلس ، كما اهتم ببناء المزيد من القوة البحرية وتحصين الشواطئ والثغور الأندلسيه . وعندما أحس النورمان باستعدادات الأندلسيين الحربية البحرية المكثفة وتأهبهم لملاقاتهم وصد غاراتهم لاذوا بالفرار وجاءت البشائر الى الخليفة تبشره بفرارهم وخوفهم من ملاقاة الاندلسيين والاغارة على شواطئهم وثغورهم .

٥ - أنه بقيام الدولة الفاطميه فى بلاد المغرب ومد سلطانها على كافة بلاد المغرب وعلى وجه التخصيص المغرب الأقصى تطلع الفاطميون الى نشر الدعوة الشيعية فى الأندلس والقضاء على ملك الأمويين بها ، وبعد أن شعر عبد الرحمن الناصر بهذا الخطر أخذ يتصدى له بكل ما أوتى من قوة وحسن سياسة فاتجه الى الاهتمام بالبحرية الأندلسيه لاستخدامها فى الدفاع عن الشواطئ الأندلسيه وفى بسط النفوذ الأموى على المغرب الأقصى الذى اتخذ منه بمثابة خط دفاع أماس عن الاندلس ، كما أخذ يناصر أعداء الفاطميين فى بلاد المغرب ويمدهم بأسباب القوة والتمرد عليهم ، وقد سار على هذه السياسة من بعده ابنه الحكم المستنصر ، بل كان نجاحه

فى تحقيقها اكثر من نجاح أبيه . ولقد ظل الحكم المستنصر شوكة فى حلق الفاطميين حتى بعد رحيلهم الى مصر . ولم يتركه الفاطميون بدورهم هانىء البال بل وضعوا له نوايا عنهم من آل زيرى فى حكم المغرب يقومون باثارة البربر ضده والخروج عليه .

ولقد تكللت تلك المعارك والخصومات بين الحكم المستنصر والفاطميين ونوابهم آل زيرى بالنصرة للحكم المستنصر الذى استطاع ان يسد كل ثغرة تأتى عن طريقهم . وفى هذه الاثناء خرج الادارسة حكام طنجه من بنى محمد بقيادة الحسن بن قنون وخلعوا طاعة الأمويين ، فما كان من الحكم المستنصر الا أن أعد لكل أمر عدته ، فرسم لمحاربتهم والقضاء عليهم الخطط الجيدة ، وجذب كبار رؤوسهم بالأموال الجمه . وقد تكللت خططه فى هذا الصدد بالنجاح الساحق الذى أثمر عن استسلام الحسن بن قنون زعيمهم وحضوره الى قرطبة بصحبة جيش الحكم المظفر فعاش فى كنف الخليفة الى ان حدث منه مالم يكن فى الحسبان ، فأمر باخراجه من الأندلس حيث توجه الى تونس ومنها الى مصر لاجئا الى الفاطميين مرة أخرى .

٦ - وفى ظل تلك الاحداث الجسام ازدهرت الدولة الاسلاميه فى الاندلس ازدهارا عظيما ليس من الناحية السياسية وقوة الخلافة فحسب بل من حيث النهضة العلمية وتطور العمران والحياة الاجتماعية وذلك نتيجة للعناية الفائقة التى بذلها عبد الرحمن الناصر لرفع

مستوى الحياة العلمية ومستوى المعيشة وخلق الأجواء المناسبة للابتكار والابداع . ولقد وجد أهل العلم من الشارقة والمغاربة على حد سواء كل تقدير ورعاية وتشجيع أدبي ملموس فكان عهد الخليفه عبد الرحمن الناصر عصرا ذهبيا احتل فيه الاندلس مكانة مرموقة بين بلدان العالم الاسلامي والأوروبي معا .

٧ - كما ان ابنه الحكم الذى اهتم ابوه عبد الرحمن الناصر بتربيته واعداده لتولى الخلافه من بعده قد ظهرت نجابته وهو مازال وليا للعهد فلم تكن مجالسه تخلو من العلماء والشعراء والساسه والفقهاء والمشايخ الذين تلقى العلم عنهم وفى مقدمتهم قاسم ابن اصبغ ، واحمد بن دحيم ، وزكريا بن خطاب ، وثابت بن قاسم ، وأبو على القالى الذى غرس فيه حب العلم واقتناء الكتب وحفظها بعد قراءتها وكتابة تعليقات على هوامشها اذ لم يكن القصد من الكتب الاقتناء وحده بل الاستفاده منها ، وترغيب الخاصه فى اقامة المكتبات ونشر ما فى الكتب من معلومات بين طلاب العلم والأدب . كما كان احترامه للعلماء وتقديره لهم ان جعلهم يحرصون على طلبتهم من حيث التحصيل والتلقى ورفع مستواهم العلمى . ولم يكتف الحكم المستنصر بتشجيع العلماء ماديا بل كان حريصا على تبجيلهم واحترامهم فقد كان يقوم بزيارتهم من وقت لآخر لمشاهدتهم مع طلابهم ومعرفة أحوالهم ، ومن زارهم العالم أبا الحسن على ابن محمد الانطاكى .

ومن شدة حرصه على جعل قرطبه مركزا للعلم كان يستقدم اليها كل من يسمع بعلو مكانته فى العلم والأدب أو فى أى ناحيه من نواحى المعرفه ويعهد اليه بمهمة القاء دروس عامه فى مسجد هنا الجامع . فقد استقدم الى قرطبه على بن معاذ الرعينى وكان عالما لغويا وطلب منه القاء دروسه فى مسجد مسلمه سنه كامله . وهيأ ولأمثاله من العلماء الزائرين المسكن المريح والحياة الرغدة .

ومن ابتكاراته فى النهوض بالعلم انشاء مدارس أوليه لتعليم أولاد الفقراء بالمجان . وبذلك يعتبر الحكم المستنصر أول من فكر فى مكافحة الأمية بين الرعية . ولم يقتصر التعليم فى عهده على الرجال فقط ، بل شاع كذلك بين النساء فأقبلت الكثيرات على التعليم وحفظن المتون والدواوين الشعريه ونتيجة لذلك ظهر فى الاندلس مايقرب من مائه وسبعين امرأة يشتغلن بالعلم ونسخ الكتب ، ومن أشهر هؤلاء لبنى كاتبة الحكم المستنصر .

ولقد بلغ اهتمام الحكم بتشجيع العلماء على تأليف الكتب درجة كبيرة وذلك بمنحهم الجوائز المادية كما ابتكر لذلك طرقا حافزه منها اعفاء المؤلف من الجهاد مقابل تأليف الكتب وتخصيص جوائز مادية كبيرة واسناد اعمال هامه فى الدولة للمؤلفين ، مع اعداد المصادر والمراجع وتأمين جميع وسائل الراحة والاستقرار لهم . كل هذه الوسائل شجعت العلماء على تأليف الكتب ودفع عجلة الحركة

العلمية الى الامام .

٨ - انشاء مكتبة القصر والمكتبات الفرعيه والخاصة نتيجة لا هتمامه الكبير بالعلم والكتب فتكونت فى قصر الخلافه مكتبة عظيمة . وقد اعتنى الحكم المستنصر عناية كبيرة بالبحث عن الكتب النادرة ونقلها بالنسخ أو الشراء فحملت اليه الكتب من جميع الجهات . ولقد اختلف فى تحديد عدد الكتب فى هذه المكتبه فقال بعضهم انها كانت اربعمائة ألف كتاب ، وقال آخرون انها ستمائة ألف . وهذا ان دل على شىء فانما يدل على ضخامة تلك المكتبه وكثرة كتبها حتى اختلف فى عددها ، وكان المشرف على تلك المكتبة أخوه عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر .

ولم تقتصر العنايه بالكتب وجمعها على الحكم المستنصر وحده بل امتد ذلك الى كبار رجال الدوله بل تجاوزتهم الى معظم أهل قرطبه والمناطق الأخرى . وحتى النساء كانت لهن عناية باقتناء الكتب ، ومن اشتهرن فى هذا المجال عائشه بنت احمد ابن قادم .

٩ - واذا نظرنا الى اهتمام الحكم المستنصر بالناحية العمرانيه نجد أن من أبرز أمثلتها جامع قرطبه الذى عد من أجمل جوامع العالم من الناحيه العمرانيه ببدائع نقوشه وكتاباته . اما محرابه فكانت تضرب بجماله وروعة نقوشه الأمثال ، وقد حرص الامراء الأمويون

على تزيينه وتوسيعه وتحسينه لدرجة لا تدخل فى الحسبان ، ولقد افتتح الحكم المستنصر عهده بتوسعة هذا الجامع وبنى فى غربه دارا للصدقه وبيوتا للفقراء .

ولم يكتف الحكم المستنصر بأن تقام فى الجامع صلاة الجمع والجماعات فى أوقاتها بل حوله الى جامعه تزدان أروقتها بالعلماء الاجلاء الذين كانوا يقومون بالتدريس فيه .

١٠- نتيجة لتلك الجهود برز العلماء الاجلاء فى مختلف جوانب العلم . ففى علم القراءات برز المقرى محمد بن الحسين بن محمد المقرى . وفى علم الفقه برز الكثير من العلماء أشهرهم محمد بن يحيى بن مفرج القاضى ، وعبدالله بن محمد بن قاسم الثغرى ، واسحاق بن ابراهيم ابن سره . أما أشهر علماء الحديث فهم قاسم بن اصبغ ، ومحمد ابن فرج بن سبعون النحلى ، وزنهاع بن الحارث .

كما برز فى علم اللغة والأدب الذى اعتنى به الأندلسيون عناية فائقه الأدباء والنحويين والوشاحين . فمن أبرزهم فى علم النحو محمد بن الحسن الزبيدى ، والعلامه ابن سيده . أما أشهر الأدباء فأحمد بن فرج الجيانى ، وابن عبد ربه . وأما أشهر الشعراء فيوسف بن هارون الكندى ، وأبو بكر المغيلى . ومن برز فى فن الموشحات الاعمى التطيلى ، ومحمد بن عباده القزاز . وفى التاريخ والجغرافيا برز محمد بن يوسف الوراق ، وأبو بكر محمد بن عمر

القوطيه ، واحمد بن محمد الرازى .

وفى الفلسفه محمد بن عبدالله بن مسره الباطنى ، وكان من تلامذته علماء مشهورون منهم رشيد الدجاج والياس الطليطلى .

وفى العلوم التجريبيه برز فى علم الفلك احمد بن محمد الانصارى ، وأبو القاسم النجريطى . واما علم الطب والصيدله فقد برز فيه كثير من العلماء أشهرهم عز واحمد ابناء يونس الحرانى ، واحمد بن حكيم وغيرهم .

وأخيرا أرجو أن أكون قد وفقت فيما توصلت اليه من نتائج فى هذه الدراسه .

والله اسأل ان يكتب لى التوفيق والنجاح .

قائمة

المصادر والمراجع

(أ) المصـــادر

١ ـ ابن الابـــار (ت ٦٥٨ هـ)

الحله السيراء ، جزآن ، تحقيـق وتعليق حسين مؤنس ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٣م .

٢ ـ ابن ابى زرع (ت ٧٢٦ هـ)

الانيس المطرب بروض القرطاس فى اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، الرباط ، طبعه محمد خلالى ، ١٩٣٦م .

٣ ـ ابن الاثـير (ت ٦٣٠ هـ)

الكامل فى التاريخ ، تسعة أجزاء ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، الطبعة الثانيـة ، ١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧م .

٤ ـ ابن بشـكوال (ت ٥٧٨ هـ)

الصله ، جزآن ، الدار المصرية للتأليف والترجمه ، مطابع سجل العرب ، ١٩٦٦م .

٥ - ابن جلجل (ت فى القرن الرابع الهجرى)

طبقات الاطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد سيد ، امين المخطوطات بدار الكتب المصريه ، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للاثار الشرقيه ، القاهرة ، ١٩٥٥م.

٦ - ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ)

جمهره انساب العرب ، تحقيق وتعليق عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ، الطبعه الرابعه ، ١٩٧٧م.

٧ - ابن حيان (ت ٤٦٩ هـ)

المقتبس ، تحقيق وتعليق عبد الرحمن الحجى ، نشر وتوزيع دار الثقافة ، مطبعة سميا ، ١٩٦٥م.

٨ - ابن خاقان (ت ٥٢٨ هـ)

مطمح الانفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الاندلس ، مطبعة الجوانب بقسطنطينيه ، الطبعة الأولى ، ١٣٠٢ هـ .

٩ - ابن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ)

اعمال الاعلام فى من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ، تحقيق وتعليق أ. ليفى بروفنسال ، دار المكشوف ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٥٦م.

١٠- ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ)

تاريخ ابن خلدون المسمى بالعبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر من ذوى السلطان الأكبر ، سبعة أجزاء ، موسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.

١١- ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ)

وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، ثمانية أجزاء ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر للطباعة والنشر ، مطبعة الغريب ، بيروت ١٩٧٢ م .

١٢- ابن دحيه (ت ٦٣٣ هـ)

المطرب فى اشعار اهل المغرب ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، حامد عبد المجيد ، واحمد بدوى ، مراجعة طه حسين ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ، ١٩٥٤م.

١٣- ابن سعيد (ت ٦٨٥ هـ)

المغرب فى حلى المغرب ، جزءان ، تحقيق وتعليق شوقى ضيف ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٤م.

١٤- ابن عبد ربـــــه (ت ٣٢٨ هـ)

العقد الفريد ، ستة أجزاء ، تحقيـــق محمد سعيد العريان ، المكتبة التجاريــه الكبرى ، لبنان ، ١٣٧٢هـ ، ١٩٥٣م.

١٥- ابن عــــــذارى (ت نحو ٦٩٥ هـ)

البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، أربعة أجزاء ، تحقيق ومراجعـــــــة ج . س . كولان ، وليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت .

١٦- ابن الفرضـــــى (ت ٤٠٣ هـ)

تاريخ علماء الاندلس ، الدار المصريـــــة للتأليف والترجمة ، مطابع سجل العـــرب ، القاهرة ، ١٩٦٦م.

١٧- حاجى خليفـــــه (ت ١٠٦٧ هـ)

كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنـــون ، ستة أجزاء ، تقديم السيد شهاب الديـن النجفي ، اعادت طبعه بالأوفست ، منشورات مكتبة المثنى ، بغداد .

١٨- الحميـــــدى (ت ٤٨٨ هـ)

جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهــــرة ، ١٩٦٦م.

١٩- الحميري (جمعه ٨٦٦ هـ)
صفة جزيرة الاندلس منتخبه من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار ، نشر وتصحيح وتعليق حواشيه أ . ليفي بروفنسال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمه والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٧م .

٢٠- الخشني (ت ٣٦١ هـ)
قضاة قرطبه ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مطابع سجل العرب ، ١٩٦٦م .

٢١- السلاوي (ت ١٣١٥ هـ)
الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، تسعة أجزاء ، تحقيق وتعليق ولدى المؤلف الاستاذ جعفر الناصري ومحمد ومحمد الناصري ، مطبعة دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤م .

٢٢- صاعد الاندلسي (ت ٤٦٣ هـ)
طبقات الامم ، مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر (بدون طبعه) .

٢٣- الضبي (ت ٥٩٩ هـ)
بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الاندلس، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧م .

٢٤- القالـــــــــى (ت ٣٥٦ هـ)

الامالي ، جزآن ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .

٢٥- المراكشـــي عبد الواحـــد (ت ٦٤٧ هـ)

المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، تحقيق الاستاذ محمد سعيد العريان ، مطابع شركة الاعلانات الشرقية ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م .

٢٦- المراكشـي عبد الملك (ت ٧٠٣ هـ)

الذيل والتكمله لكتاب الموصول والصلـــه ، ستة اسفار ، تحقيق محمد بن شريفـــه واحسان عباس ، بيروت .

٢٧- المقـــــــــري (ت ١٠٤١ هـ)

نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيـــب ، خمسة أجزاء ، حققه وضبط غرائبه وعلـــق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميـــد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٦٩هـ .

٢٨- النبـــــــاهي (كان حيا سنة ٧٩٣ هـ)

تاريخ قضاة الاندلس ، المكتب التجـــاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .

٢٩- ياقـــــــــــوت (ت ٦٢٦ هـ)
معجم البلـدان ، خمسة أجزاء ، دار صادر ،
بيروت ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م .

(ب) المراجع

١ - ابراهيم بيضون

الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافه ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠م.

٢ - ابراهيم العدوى

الاساطيل العربيه في البحر الأبيض المتوسط ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٧م.

٣ - احمد مختار العبادى

في تاريخ المغرب والاندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، (بدون طبعه) .

٤ - ــــــــــــــــ

في التاريخ العباسى والاندلسى ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٧٢م.

٥ - ــــــــــــــــ

في التاريخ العباسى والفاطمى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧١م.

٦ - احمد هيكل

الادب الاندلسى من الفتح الى سقوط الخلافه ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩م.

٧ - ارشيبالد لويس

القوى البحرية والتجاريه فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة محمد عيسى ، القاهرة ، ١٩٦٠م٠

٨ - انجل جنثالث بالنثيا

تاريخ الفكر الاندلسى ، ترجمة حسين مؤنس ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥م٠

٩ - حسن ابراهيم حسن

تاريخ الدولة الفاطمية ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٨م من كتاب الفاطميون فى مصر ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٨م٠

١٠- رجب محمد عبد الحليم

العلاقات بين الاندلس والممالك النصرانيه منذ عصر الاماره حتى نهاية القرن الخامس الهجرى ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب، جامعة القاهرة ، سنة ١٩٨٠م (لم تطبع) ٠

١١- حسين مؤنس

رحلة الاندلس ، الشركة العربية للطباعة والنشر، الطبعة الاولى ، القاهرة، ١٩٦٣م٠

١٢- سعاد ماهر

البحرية الاسلاميه وآثارها الباقية ،
دار المجمع العلمى بجده ، الطبعة الثانية ،
جده ، ١٣٩٩هـ.

١٣- سعد البشرى

الحياة العلميه فى عصر الخلافة فى الاندلس ،
رسالة ماجستير مقدمه من جامعة ام القرى
بمكة المكرمه ، ١٤٠١/١٤٠٢ هـ (لم
تطبع) .

١٤- سعيد عبدالفتاح عاشور

أوروبا العصور الوسطى ، مكتبة الانجلو
المصريه ، الطبعة الخامسة ، القاهرة ،
١٩٧٢م.

١٥- السيد عبدالعزيز سالم

قرطبه حاضرة الخلافه ، دار النهضة
العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧١م،
جزئين .

١٦- ______________

المغرب الكبير ، العصر الاسلامى ، الدار
القومية للطباعة والنشر، الاسكندرية ، الجزء
الثانى .

١٧- السيد عبدالعزيز سالم

تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس من الفتح العربى حتى سقوط الخلافه بقرطبه ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٨١م.

١٨- ـــــــــــــــ

تاريخ مدينة المريه قاعدة اسطول الاندلس ، دار النهضة العربية ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٦٩م.

١٩- السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادى

تاريخ البحريه الاسلاميه فى المغرب والاندلس ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت .

٢٠- سيمون حايك

صبح البشكنسيه او الازلس على عهد الحكم المستنصر والدوله العامريه ، ١٩٧٦م.

٢١- شكيب ارسلان

الحلل السندسيه فى الاخبار والآثار الاندلسيه ، دار مكتبة الحياه ، بيروت ، المجلد الثانى .

٢٢- صابر دياب

سياسة الدولة الاسلاميه فى حوض البحر المتوسط من أوائل القرن الثانى للهجرة حتى نهاية العصر الفاطمى ، عالم الكتب ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٩٧٣م.

٢٣- عبد الحميد الشرقاوى

الملاحه البحريه الاندلسية فى القرنين الثالث والرابع، رسالةماجستير مقدمه من جامعة القاهرة ، ١٩٣٥م (لم تطبع) .

٢٤- عبدالحميد العبادى

المجمل فى تاريخ الاندلس ، دار القلم ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٦٤م.

٢٥- عبدالحليم منتصر

تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ، دار المعارف بمصر ، مطبعة معهد دون بوسكو ، الاسكندرية ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧١م.

٢٦- عبدالرحمن الحجى

تاريخ الاندلس منذ الفتح الاسلامى حتى سقوط غرناطه ، ساعدت جامعة بغداد على نشره/ دمشق ، دار العلم ، الكويت ، دار القلم ، الرياض ، دار القلم ، الطبعة الاولى ، ١٣٩٦ .

٢٧- عبد العزيز البدري

الاسلام بين العلماء والحكماء ، منشورات
المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ، ١٩٦٦م .

٢٨- عبد الكريم التواتي

مأساة انهيار الوجود العربي بالاندلس ،
مكتبة الرشاد ، الدار البيضاء ، الطبعة
الاولى ، ١٩٦٧م .

٢٩- علي عبد الله القحطاني

الدولة العامرية في الاندلس ، رسالة ماجستير
مقدمة من جامعة ام القرى بمكة المكرمة ،
١٤٠١م (لم تطبع) .

٣٠- علي محمد راضي

الاندلس والناصر ، دار الكتاب العربي
للطباعة والنشر ، القاهرة .

٣١- لطفي عبد البديع

الاسلام في اسبانيا ، مكتبة النهضة المصرية ،
الطبعة الثانية ، ١٩٦٩م .

٣٢- لوثـــروب اســـــــــتوارد

حاضر العالم الاسلامى ، ترجمة عجـــــاج
نـهويض ، علق عليه الامير شكيب ارســـــلان ،
دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، القاهرة،
الطبعة الرابعة ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٣م٠

٣٣- ليفـــى بروفنســــــــــال

حضارة العرب فى الاندلس ، ترجمة دوقـان
قرقوط ، منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت ،
مطبعة النحوى ٠

٣٤- محمـــد مبروك نافــــــــع

تاريخ العـرب ، مطبعة العالم العربـــى ،
الطبعة الاولى ، ١٩٤٩م ، الكتاب الرابع ٠

٣٥- محمـد جمال الدين ســــرور

سياسة الفاطميين الخارجيه ، دار الفكـــــر
العربى ، الطبعة الرابعة ،١٣٩٣ هـ -
١٩٧٣م٠

٣٦- محمد الحسينى عبدالعزيــــز

الحياه العلميه فى الدوله الاسلاميـــة ، دار
العلم للملايين ، بيروت ، وكالة المطبوعات ،
الكويت ، ١٩٧٣م٠

٣٧- محمد عبد الله عنان

دولة الاسلام فى الاندلس ، عصر الخلافه والدولة العامريه ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الرابعة ، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م٠

٣٨- ــــــــــــــــ

تراجم اسلاميه شرقيه واندلسيه ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م٠

٣٩- ــــــــــــــــ

الاثار الاندلسية الباقيه فى اسبانيا والبرتغال ، مؤسسة الخانجى بالقاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٣٨١ هـ ، ١٩٦١م٠

٤٠- محمد عيسى

تاريخ التعليم فى اسبانيا ، رسالة لنيل درجة الدكتوراه ـ مقدمه من جامعة الاوتونوما بمدريد ، ١٩٧٩م - ١٩٨٠م٠

٤١- محمد كرد على

الاسلام والحضارة العربية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٩م٠

٤٢- محمد كرد علي .

غابر الاندلس وحاضرها ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، بدون سنة طبع .

٤٣- كمال اليازجي وانطوان غطاس

اعلام الفلسفه العربيه ، دار المكشوف ، مكتبة انطوان ولبنان - بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٨م .

٤٤- مصطفى الشكعه

الادب الاندلسى موضوعاته وفنونه ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٧٥م .

٤٥- هـ . أ . فشر

تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ترجمة : محمد مصطفى زياده ، والسيد الباز العرينى دار المعارف بمصر ، الطبعة الخامسة ، القسم الاول .

٤٦- هشام أبو رميله

نظم الحكم فى عصر الخلافه ، رسالةماجستير مقدمه من جامعة القاهرة ، سنة ١٩٧٦م ، (لم تطبع) .

٤٧ - Abdurrahman Ali Elhajji: Andalusian diplomotic relations with western Europe during the Umayyad period (A.H. 138-366), A.D. 755-976, Daral Irshad, Beirut, 1910.

الفهرس

الصفحة

شكر وتقديــر

المقدمـــــة ١

التعريف بأهم المصادر والمراجع ٩

الفصل الأول

الخليفة عبد الرحمن الناصر يهيئ ابنه الحكم للخلافه

١ ـ اعداد عبد الرحمن الناصر ابنه الحكم لتولى الخلافه ٢٠

٢ ـ تولية الحكم المستنصر الخلافه ٣٣

الفصل الثانى

جهاد الحكم المستنصر ضد الممالك والامـــارات

الاسبانية النصرانيه وضد النورمـــان

١ ـ نظرة عامة عن أحوال الممالك الأسبانية النصرانيـــة وعلاقاتها بالأندلس حتى نهاية عهد عبد الرحمـــن الناصر . ٣٩

٢ ـ علاقات الحكم المستنصر بالممالك الأسبانيه النصرانية : ٥١

أ ـ جهاد الحكم المستنصر ضد مملكة ليون ، ومملكة نبره ، وامارة قشتاله . ٥١

ب ـ عهود السلام بين الحكم المستنصر وملـــوك الأسبان وأمرائهم النصارى . ٥٨

جـ ـ نقض ملوك وأمراء الأسبان النصارى لعهـــود السلام وعودتهم الى شن الغارات على الأراضـى الاسلامية . ٦٥

الصفحه

٣ ـ جهاد الحكم المستنصر ضد النورمان : ٦٩

أ ـ النورمان وغاراتهم على الاندلس قبل عهد الحكم المستنصر . ٦٩

ب ـ غارات النورمان على الاندلس في عهد الحكم المستنصر . ٨١

الفصل الثالث

النزاع على المغرب الأقصى بين الحكم المستنصر والفاطميين

١ ـ النزاع بين عبد الرحمن الناصر وخلفاء الفاطميين على المغرب الأقصى . ٨٨

٢ ـ النزاع على المغرب الأقصى بين الحكم المستنصر والمعز لدين الله الفاطمي . ١٠٠

٣ ـ الحكم المستنصر يقضي على محاولة آخر أمراء الأدارسه الحسن بن قنون في استعادة نفوذ الادارسه على المغرب الأقصى . ١١٠

الفصل الرابع

الحياة العلمية في الأندلس في عهد الحكم المستنصر

١ ـ صورة موجزة عن تطور الحياة العلمية في الأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر . ١٢١

٢ ـ الحكم المستنصر الخليفه العالم وجهوده العلمية والتعليميه : ١٣١

أ ـ تنشئته العلميه وهو ولي العهد . ١٣١

ب ـ شخصية الحكم المستنصر العلمية . ١٣٧

الصفحة

جـ ـ جهوده العلميه والتعليميه	١٤١
د ـ انشاء مكتبة القصر والمكتبات الفرعيه والخاصه .	١٥٢
هـ ـ توسعته للمسجد الجامع بقرطبه وتحويله الــى جامعة علميه .	١٥٨
و ـ جامع قرطبه يتحول الى جامعه علميه فى عهده .	١٦٥
٣ ـ الحياة العلمية فى الاندلس فى عهد الحكم المستنصر :	١٧١
أ ـ العلوم الشرعيه	١٧١
ب ـ علوم اللغة والأدب	١٨٠
جـ ـ العلوم الانسانيــة	١٨٧
د ـ العلوم التجريبيه	١٩٢
الخاتمــــــه	١٩٨
قائمة المصادر والمراجع :	
أ ـ المصــادر	٢٠٨
ب ـ المراجــع	٢١٥

* * *

* *

*